KINGDOMS OF BLOOD 2: THE PROPHECY

محمود قشطة

النبوءة

ممالك الدم 2



الإهـــداء

إلى هؤلاء الراكضين خلف أحلامهم؛

المؤمنين بقدرتهم على تحقيقها؛

فلتُهدوا للجميع هذا الدّافع بداخلكم؛

علَّ الأحلام تُصبح حقيقة...

محمود قشطة

ميلسا

لم يجد النوم طريقه صوب «ميلسا»؛ فقد قضت النصف الأول من ليلتها في القراءة عن تاريخ «زاندو» برفقة معلمها وعمها الحكيم «شوبار» حتى غلبه النوم ليعلن نهاية الدرس لهذا اليوم، لكنها لم تنعم بالنوم في مضجعها فقد بدأ عقلها في العمل فأخذت تضع كل الاحتمالات تتساءل عما حدث، أطلقت العنان لخيالها ليفرض كافة التصورات؛ ماذا أصاب «ليدلي» في سجنه؟ وما علاقة أبناء «المنجالا» بما حدث وقد انتهى بهم الوضع في السجن أيضًا؟ وماذا سيفعل «أتريموس» بعد أن أحكم قبضته على مملكة الوسط وباقي بقاع «زاندو»؟ وتلك الأميرة «كاترينا» التي ضحت بحبها وحياتها لتفدي أخيها «ليدلي» من بين أنياب «أتريموس» نظير أن تكون زوجته؟ والحكيم «توساني» الذي شق طريقه نحو الجنوب بحثًا عن أي أملٍ ينقذ بها ممالك الاتحاد في رحلته صوب «آل بنتلي»، وماذا عن الملاعين ؟؟! ماذا سيفعلون ب «زاندو» وأهلها ؟؟!!

حاولت أن تتسلل خِلسة مرة أخرى لتطالع باقي الرحلة لكن المعلم «شوبار» كان لها بالمرصاد ليعيدها لمخدعها من جديد بدون أي فائدة من تلك المحاولة لتصارع الأرق والفكر والنوم

معًا، حتى سيطر عليها الإرهاق لتغفو قبل شروق الشمس بقليل.

أيقظها المعلم «شوبار» في الصباح لتقوم متكاسلة من أثر السهر، ليبدو الإرهاق واضحًا عليها ليعنفها المعلم «شوبار» على سهرها بعد أن أمرها بالخلود للنوم، لتتحامل «ميلسا» على نفسها لتنتهي مهامها المنزلية سريعًا قبل أن تستعد للتدريب في ساحة قتال المعلم «جواتشي»، لم تكن «ميلسا» في تركيزها أو لياقتها المعتادة لترسب في كافة الاختبارات التي خضعت لها والمبارزات التي خاضتها، فإن كنتَ شاهدت مبارزتها بالأمس أمام «باكو» هذا المقاتل الشرس صاحب الجسد الضخم لا تراها وهي تترنح أمام الجميع، أثار هذا غضب المعلم «جواتشي» الذي استبعدها من التدريبات كما أمرها أن تقوم بتنظيف الساحة بمفردها عقب انتهاء الجميع من تدريباتهم، وأن تهتم بثيابهم وأسلحتهم لتقوم بتنظيفها أيضًا، فدائمًا ما تتم معاقبة المتخاذلين بتلك الطريقة وفي حال استمرار تخاذلهم يتم طردهم مباشرة من ساحة قتال المعلم «جواتشي».

انصرف الجميع من الساحة لتبقى «ميلسا» بمفردها تقوم بتنفيذ عقابها، لتشعر بحركة ما بالقرب منها مما دفعها لتستل

السيف القريب منها متأهبةً لأي شيءٍ، لتجده «باكو» يراقبها وهي تقوم بتنظيف ملابس الجميع لتشعر به يتشفى منها بعد أن نالت منه في اليوم السابق.

-هل أتيت إلى هنا حتى تتشفى فيَّ يا «باكو»؟! في حال إن كنت انتهيت مما آتيت لأجله فلترحل الآن، فمازال أمامي الكثير من العمل لأقوم به.

-دائمًا أنتِ هكذا يا «ميلسا» تسيئين الظن بالجميع، فلقد أتيت حتى أساعدك في مهامك التي تقومين به.

شعرت وكأنه يشفق عليها بقدومه لمساعدتها مما دفعها لتجيبه بسخريه سريعة لتحافظ على ما تبقى من كبريائها أمامه، فمنذ أن ارتادت ساحة المعلم «جواتشي» للقتال لم توضع في هذا الموقف من قبل، دائمًا كانت في الصفوف الأولى تتنافس على الصدارة بين أقرانها وفي حال فقدتها تكون في قمة حزنها، لكن اليوم تعود إلى الصفوف الخلفية بين المتخاذلين والمنبوذين بعد يومٍ عصيب مرت به في كل الاختبارات التي خضعت لها.

-تساعدني؟! هل تنازل «باكو» العظيم عن كبريائه ليساعد أحد المتخاذلين مثلي؟

-لما هذا العناد يا «ميلسا»؟ أنا فقط أتيت لأساعدك وأنتِ تعلمين أنكِ لستِ مثل أي أحدٍ آخر.

-إنك لا تمل هذا الحديث يا «باكو»، أنت تعلم أنك صديقي وأخي، زميلي في ساحات القتال، الفارس الذي سآمن له وهو يقوم بتأمين ظهري في ساحات القتال.

-لكني أحبك يا «ميلسا».

نهرته «ميلسا» من جديد كعادتها في كل مرة يصارحها فيها بحبه لها لكنه لم يستسلم أبدًا لهذا، بل كظم غيظه وصب جام غضبه على إنهاء المهام التي أوكلت لها ليساعدها صامتًا في تنظيف المكان قبل أن يرحل دون أن ينطق بحرفٍ واحد لتشعر أنها قد جرحته من جديد، لكنها لا تستطيع أن تبوح بشيءٍ ليس في صدرها وهي لا ترى في الحب شغفًا يملأ قلبها، بل إن القتال والعلوم هي كل هدفها في حياتها لتنهل من علم المعلم «شوبار» وتتدرب بقوة على يد أحد أعظم المقاتلين «جواتشي».

***

لم يبدُ المعلم «جواتشي» سعيدًا في حديثه مع الحكيم «شوبار»؛ سرد له ما حدث ل «ميلسا» في يومها بساحة

التدريب وتراجع مستواها بشكلٍ لافت بين ليلة وضحاها.

-لا تقلق عزيزي»جواتشي»، فأنا أعلم «ميلسا» جيدًا إنها فتاة عنيدة، لقد قضيت ليلة أمس في القراءة بشكلٍ كبير وسعت لتكمل هذا بعد نومي مما جعلها تبدو بهذا الشكل السيء اليوم في ساحة القتال.

-وهذا ما أخشاه سيد «شوبار»، أن تكون بهذا الوهن والضعف النفسي، أن تؤثر عليها صغائر الأمور، لا يجب أن تكون بها تلك الصفات؛ فلقد أمضينا سنواتٍ في رعايتها وإعدادها لما هي مقبلة عليه، إن ما يحدث الآن قد يعرض كل ما قمنا به للخطر وفشل مهمتنا جميعًا.

-لا تقلق يا عزيزي، اترك لي هذا الأمر فأنا أكثر من يعرفها، سأعالج كل هذا وغدًا ستراها في كامل تركيزها وقوتها.

لم يكن «جواتشي» سعيدًا بما حدث معها من اهتزازٍ في الثقة والمستوى، ولم يبقَ أمامه إلا أن يعتمد على الحكيم «شوبار»؛ فهو الموكل بها وأدرى الناس بالتعامل معها.

***

بعد أن أنهت مهمة التنظيف في ساحة القتال سارعت «ميلسا» لإنهاء باقي أعمالها اليومية إلى أن أتى موعد

العشاء برفقة المعلم «شوبار» الذي اكتفى بردوده المقتضبة عليها ليسود بينهما جو من الفتور، لكنها لم تشغل بالها بذلك إلى أن أنهيا تناول الطعام استعدت لجلسة المطالعة الليلية، لتتجه سريعًا صوب هدفها في المكتبة لتقتني مجددًا كتاب التاريخ الخاص ب «زاندو» ليوقفها صوت المعلم «شوبار».

-لا تتعبين نفسك، لقد ألغيت حصة المطالعة لليوم.

شعرت بالصدمة مما أخبرها به معلمها؛ فقد تحملت كل ما في هذا اليوم من عناء حتى تأتي إلى تلك اللحظة لتقضي ليلتها في المطالعة لتجد المعلم «شوبار» يخبرها بإلغاء المطالعة لهذا اليوم، فسعت لتستفسر منه أبه شيء من مرض دفعه للراحة اليوم.

-عمي، أبك شيء من إجهاد أو مرض دفعك لإلغاء درس اليوم؟!

-لا يا عزيزتي، إنني بأتم صحة وعافية وسأقضي ليلتي في مطالعة بعض الكتب التي أفضلها.

أنهى المعلم «شوبار» جملته ليتوجه نحو المكتبة ويقتني أحد الكتب العتيقة ليبدأ في مطالعته بكل هدوء وهو يحتسي الدخان من غليونه الخاص به، لتبدو الدهشة كبيرة

على وجه «ميلسا»؛ فتلك هي الليلة الأولى منذ أن بدأت مداركها في التفتح التي لا يقضيها معها المعلم «شوبار» في تعلميها أو تلقينها العلوم المختلفة.

-هل أسأت الأدب في شيء أو أحزنتك في أمرٍ قمت به دون قصد يا عمي حتى تلغي درس اليوم؟

-أنتِ لم تسيئ لي يا عزيزتي، لكنكِ أسأتي لنفسك وللمعلم «جواتشي» بتراجعك الكبير اليوم في ساحة القتال.

تذكرت «ميلسا» يومها المرير في ساحة القتال وما ألمّ بها من هزائم أمام أقرانها فسعت لترتب أفكارها أمام عمها، لكنه هو من سارع بالحديث من جديد.

-لقد أتى المعلم «جواتشي» لي وأخبرني بما حدث، وأنا قدمت له الوعود حتى لا يتكرر هذا مجددًا، والآن عليكِ أن تخلدي للنوم والراحة، فلن أقبل أن تأتيني شكوى أخرى عنكِ.

-معلمي، أعدك أن أكون بأفضل حالٍ وألا يتكرر هذا الأمر مجددًا، لكن لا تلغ درس الليلة.

قاطعها المعلم «شوبار» بإشارة من يده فسعت للتوسل إليه جاهدة علّه يغفر لها ما حدث لينظر لها مجددًا:

-لا تتعبين نفسك يا «ميلسا»، فلن أتراجع عن قراري

لتعتبري هذا عقاب صغير؛ فأنا أريد أن أرى فيكِ الكمال ذهنيًا وبدنيًا، فأنتِ لا تعلمين ما أراه لكِ من مستقبل يا عزيزتي.

شعرت «ميلسا» أن كل الطرق لن تجدي مع معلمها من أجل التراجع عن قراره فما كان منها إلا أن خلدت لمضجعها لتريح جسدها رغم إنهاك عقلها وفضوله من أجل معرفة المزيد عن تاريخ «زاندو»، لكن إنهاكها البدني لم يدع لعقلها أي فرصة ليتسلل النوم لها سريعًا.

***

لم يسيطر على «ميلسا» إلا الغضب لتطلق العنان لروح المحارب بداخلها، أظهرت شراستها وبراعتها في كل النزالات التي خاضتها، لم ترحم منافسيها ليتعجب الجميع من عودتها بتلك السرعة لمستواها بعد أن تعرضت لانتكاسه كبيرة في يومها السابق في تقلبات سريعة ومزاجيه لمستوى المقاتل بداخلها، وقف المعلم «جواتشي» متعجبًا من عودتها السريعة لهذا المستوى، بينما الحكيم «شوبار» جلس على مقربة منه وهو يشاهد ما تقوم به بكل فخرٍ واعتزازٍ بها، ليوجه المعلم «جواتشي» حديثه له:

-تلك هي «ميلسا» التي أعرفها جيدًا، لكن أخبرني يا سيد «شوبار» ماذا حدث لتتحول هكذا بين ليلة وضحاها؟

لتعتبري هذا عقاب صغير؛ فأنا أريد أن أرى فيكِ الكمال ذهنيًا وبدنيًا، فأنتِ لا تعلمين ما أراه لكِ من مستقبل يا عزيزتي.

شعرت «ميلسا» أن كل الطرق لن تجدي مع معلمها من أجل التراجع عن قراره فما كان منها إلا أن خلدت لمضجعها لتريح جسدها رغم إنهاك عقلها وفضوله من أجل معرفة المزيد عن تاريخ «زاندو»، لكن إنهاكها البدني لم يدع لعقلها أي فرصة ليتسلل النوم لها سريعًا.

***

لم يسيطر على «ميلسا» إلا الغضب لتطلق العنان لروح المحارب بداخلها، أظهرت شراستها وبراعتها في كل النزالات التي خاضتها، لم ترحم منافسيها ليتعجب الجميع من عودتها بتلك السرعة لمستواها بعد أن تعرضت لانتكاسه كبيرة في يومها السابق في تقلبات سريعة ومزاجيه لمستوى المقاتل بداخلها، وقف المعلم «جواتشي» متعجبًا من عودتها السريعة لهذا المستوى، بينما الحكيم «شوبار» جلس على مقربة منه وهو يشاهد ما تقوم به بكل فخرٍ واعتزازٍ بها، ليوجه المعلم «جواتشي» حديثه له:

-تلك هي «ميلسا» التي أعرفها جيدًا، لكن أخبرني يا سيد «شوبار» ماذا حدث لتتحول هكذا بين ليلة وضحاها؟

-لا شيء يا عزيزي، أنه الثواب والعقاب؛ أن تجعل لها حافزًا تعمل من أجله، «ميلسا» يشغل بالها العديد من الأمور في تلك المرحلة لكني حرمتها من أهمهم؛ إنها تمتلك شغف لا محدود بالقراءة والمطالعة، كما أن التاريخ هو محطتها الحالية وهي تريد أن تعرف المزيد، بعد إخفاقها بالأمس منعتها من المطالعة ووضعت أمامها خيارًا واحدًا؛ إما أن تستعيد مستواها وتكون بأفضل حال في باقي مهامها وإلا فلن تقرأ من جديد.

-أيًا كان ما فعلته سيد «شوبار»، لكني سعيد بالنتيجة التي أراها أمام الآن.

ظل كلاهما يراقبانها عن كثبٍ سعيدين بالمستوى الذي وصلت له في ميادين القتال وما تتمتع به من قوة ورشاقة وقدرة على التباري مع أقرانها الآخرين.

***

دائمًا ما يمر الوقت ببطءٍ مرير في حالات الانتظار هكذا شعرت «ميلسا»، تجرعت مرارة الوقت وهي يمر عليها شعرت بالملل يتسلل إليها فسعت للقيام بأي شيء تقتل به مللها إلى أن حلّ المساء عليها حيث وقتها درسها اليوم فقد

أمضت يومين كاملين في حالة من العقاب حتى يكمل لها الحكيم «شوبار» دروس التاريخ الخاص ب «زاندو»؛ عليها لتجلس أمامه في تأدبٍ شديد ليغلق هو ما في يده من أوراقٍ يطالعها ليضعها جانبًا وينظر إليها محدثًا إياها بكل حنوٍ:

-يبدو أنك مستعدة لدرس اليوم؟ لكن قبل أن نشرع به هناك أمر يجب أن تعلميه يا عزيزتي.

-كلي آذان صاغية يا سيدي.

-أعلم أنكِ تعتقدين أني أعاقبك على تخاذلك في ساحة القتال، لكني يا عزيزتي أردت أن أعلمك درسًا صغيرًا؛ فالحياة دائمًا ما تعطينا الدروس والتجارب لنتعلم منها، لتسعي دائمًا أن تحافظي على ما نجحتِ في الوصول إليه في مجالٍ ما، لا تدعي اندفاعك لأمرٍ آخر ومجالٍ جديد يفقدك ما نجحتِ فيه سابقًا، لا تدعي الجديد يؤثر على القديم أو يطغى عليه، ولا تجعلي أيًا منهما يؤثر على الآخر، ولا تفقدي تركيزك واتزانك، دائمًا وازني بين أمور حياتك، حكمي عقلك قبل كل شيء، أعطي لكل مقامٍ حقه حتى لا تفقدي كلا الأمرين.

-إنني أعتذر عما بدر مني لكني لم أكن أقصد ذلك.

-إن هذا ليس وقت الاعتذار بل هو وقت التعلم، اجعلي في كل تجربة شيئًا تتعلمين منه فإن تعلمتِ من دروس التاريخ الماضي فاسعي لأن تستفيدي بهذا في حاضرك ومستقبلك، لا تنغمسي في الماضي وتتركي حاضرك.

كعادته اتسم الحكيم «شوبار» برصانته وهدوئه لم يوبخ «ميلسا» أو يخرج عن وقاره في أي من المرات، لم يسمح لغضبه أن يسيطر عليه، في أي وقت تبادل معها الحديث بكل لين ليعلمها ما يريد وهي تقبلت منه كل ما يلقيه على مسامعها كما هي عادتها ليعطي لها الإذن لتأتي بكتاب التاريخ العتيق؛ حتى تكمل رحلتها في أورقة تاريخ «زاندو» علّها تعرف ما آلت إليه الأمور بعد أن سيطر الخونة والملاعين على حكم البلاد وأردى ملوكها صرعى وأبيد ذويهم أو أودعوا في غياهب السجون.

***

1

تلك الأشعة البسيطة التي تسربت من ضوء الشمس بين طبقات الغيوم التي تلازم سماء مملكة الثلج في هذا التوقيت الشتوي أعطت بعضًا من الدفء لتجلس تلك الحسناء الشقراء في شرفتها المطلة على كل أرجاء المملكة، حيث قصر الحكم الثلجي مثل كل شيء في تلك البقعة التي تقع في أقصى شمال أراضي «زاندو» وأراضي الملاعين، لم تعبأ تلك الحسناء بما يحدث في أراضي «زاندو» من اجتياحٍ غاشم، بل سعت لمتابعة ما يحدث في مملكتها الهادئة بعيدًا عن تلك الصراعات وهي تداعب بأناملها حيوانها الأليف القابع بجوارها ومن حولها وصيفاتها يعملن على توفير كل سبل الراحة لها، إلى أن دلف عليهم الحاجب الخاص ببلاطها الملكي مصدرًا صوتًا خافتًا؛ لينبئها عن قدومه لتلتفت تلك الحسناء إليه مشيرة إليه بالحديث.

-جلالة الملكة، إن السيد «دوراتي» وزير المملكة الأول وقادة البلاط الملكي بانتظار جلالتك في الديوان الملكي؛ فلقد دعاهم السيد «دوراتي» لاجتماعٍ عاجل بعد أن وردته بعض الرسائل من أرض «زاندو» على حد وصفه.

أشارت الملكة لوصيفاتها بالمغادرة لتعد نفسها لهذا

الاجتماع العاجل بناءً على طلب الوزير «دوراتي» قبل أن توجه حديثها إلى حاجب البلاط الملكي.

-حسنًا يا «ألفونس» لتخبر الجميع أنني في الطريق إليهم في غضون دقائق قليلة.

انحنى الحاجب في تأدب شديد أمام مولاته قبل أن يغادر، بينما الملكة عدلت من هيئتها وزينتها لتبدو في حلة ملكية كاملة كما هي عادة الملوك المتفاخرين، وزد عليهم إن كن من الفتيات الحسناوات اللواتي يولعن بحسنهن وأناقتهن لتسارع الوصيفات في تلبية أوامر مليكتهن والتأكد من كونها في كامل زينتها وأناقتها، لتمشي بعدها الهوينا بكل دلال الحسناوات وشموخ وكبرياء الملوك بين جنبات قصر الحكم الثلجي المغاير تمامًا لقصور أهل زاند وفي طراز البناء والفنون بداخله لكنه يبقى مهيب الطلة يخطف أنظار الجميع منبهرين بمدى روعته، لم تغب كثيرًا على مجلسها ليقف الحاجب على باب القاعة معلنًا عن قدوم ملكة الثلج لجميع الحضور بصوته الجهوري أمام جميع الحضور.

-أيها السادة، لتتأدبوا جميعًا في حضرة ملكة الثلج وريثة « آل ياشين» سيدة الشمال الأولى وملكة بحر الثلج العظيم، إنها جلالة الملكة «إلينا» ابنة «دانيال» وريثت العظام «آل

ياشين» الكرام.

تعالت الأبواق لينحني الجميع أمام الملكة «إلينا» التي دلفت عليهم بزيها الملكي الكامل يتوج رأسها تاج صُنِع خصيصًا من الجليد لملوك «آل ياشين»، لتطل على مجلسها المغاير تمامًا لملوك أرض»زاندو»؛ فأرض الثلج قد اتسعت لجميع الأجناس فهؤلاء هم من غادروا أرض «زاندو» عقب الحرب العظمى الأولى من بشرٍ يقوهم «آل ياشين»، وقناطير يقودهم «آل شيروان»، وعمالقة يقودهم «آل زيمر»، وأقزام يقودهم»آل سترومان». الجميع رحلوا سويًا تركوا «زاندو» لأهلها، عبروا «أرض الملاعين» ليجتازوا الصعاب وقتها ويعبروا سلاسل جبال الثلج شديدة البرودة، لم ينج منهم الكثيرون لكنهم تكاتفوا جميعًا ليصلوا لتلك البقعة النائية والموحشة؛ فقد حاصرهم الجليد من كل مكانٍ، لكن رجلًا واحدًا قادهم نحو الأمان إنه ملكهم الأول»فينوس ياشين» الأول من سلالته وحاكم الثلج المجيد، استوطنوا تلك البقعة من الأرض ويدين الجميع له بالولاء، لكنه لم يفرق بين أي عرقٍ وجنسٍ الجميع كانوا سواسيه تحت رايته، الوزير الأول للملكة كان من نصيب»آل فرينجز»، من البشر قيادة الجيوش كانت من نصيب «آل شيروان»، من القناطير نظرًا لبراعتهم الفائقة في القتال، أما أمور البناء، والاستيطان، وتشيد القلاع

والمدن الجديدة فقد كان من نصيب»آل زيمر» من العمالقة الأشداء الأقوياء، بينما التنقيب واكتشاف ما في جوف الأرض من كنوزٍ وموارد فقد عُهِد إلى»آل سترومان» من الأقزام؛ فهم أبرع الأجناس في تلك الأمور لا يضاهيهم في براعتهم إلا الغيلان لكنهم منبوذون ملعونون من أتباع السيد، بينما الزراعة والتجارة وغيرها من أمور الحياة فهي حق للجميع ليتعايشوا في سلامٍ. اجتازوا معًا سنواتهم الأولى في محنٍ وصعاب حتى استطاعوا أن يبنوا مملكتهم الخاصة لكن ظل في قلوبهم وقلوب أنسالهم شيءٌ تجاه «زاندو» وأهلها خاصةً؛ عندما أخبرهم من رافقهم من سحرة وعرافين أن الحرب لم تنتهِ فستعود في زمنٍ آخر ستنهار فيه «زاندو» ليعود أهل الشمال إلى وطنهم الأول ليعلوا رايتهم ويسودوا من جديد، ويبدو أن عرافيهم لم يقلوا في البراعة عن عرافي غجر الجنوب؛ فهم أيضًا قد توقعوا ما آلت إليه «زاندو» بل أرسلوا فتيانهم من أجل نبوءتهم العظيمة من قبل.

ظل الجميع منحنين لمليكتهم حتى اتكأت على عرشها لتشير للجميع بالنهوض؛ اتخذ الوزير الأول»دوراتي» ذو البنية القوية والعقود الخمسين من العمر موضعه بالقرب من عرش الملكة «إلينا» عن يسارها، بينما على يمينها جلس رجلٌ قد غزا الشيب شعره بدا عليه ملامح الوقار والهيبة بين

الجميع، لتشير الملكة «إلينا» إلى الوزير الأول «دوراتي» الذي حياها وحيا جميع الحضور ليشرع في البدء بكلمته أمام الجميع:

-جلالة الملكة، السادة وزراء ومستشارو المجلس الملكي الكرام، في البداية أعتذر إليكم جميعًا على تلك الدعوة المفاجأة لكن ما جد من أمورٍ هو ما دعاني لذلك؛ فالأمر لا يتحمل التأخير أو التأجيل.

صمت الوزير»دوراتي»قليلًا ليجذب انتباه الجميع بشكلٍ أكبر وليرى وقع كلماته على مُحياهم بطريقة مسرحيه ليعاود حديثه من جديدٍ على مسامع الحضور:

-أيها السادة، لقد وردتنا رسالة من أرض»زاندو» فلقد سيطر الملاعين عليها، وإن تسمحوا لي دعوني أتلوا عليكم ما ورد إلينا:

"إلى «آل ياشين» العظام، ورثة عرش الجليد، وجموع أبناء الجليد الأوفياء، إن نبوءتنا المنتظرة قد آن أوانها؛ فالملاعين قد عادوا بقوة غاشمة وسقطت»زاندو» أرضنا الأم، الخيانة قد اخترقت الصفوف، والملوك سقطوا صرعى في أرض المعركة، إنه دورنا الآن أن نمد يد العون للجميع ونثبت ماهيتنا وأحقيتنا بأن نعود إلى وطننا الأم

من جديد. خادمكم المخلص «راجاك»

أنهى الوزير»دوراتي» قراءة الرسالة المقتضبة ليصمت بعدها للحظات أخرى ليعطي الفرصة للحضور لإدراك ما هم مقبلون عليه، إنه حُلمهم الذي عاشوا من أجله لقرونٍ عديدة، توارثوه جيلًا بعد جيلٍ أن يعودوا من جديدٍ لأرضهم ووطنهم الأم ليعاود من جديد الحديث مرة أخرى:

-جلالة الملكة، الحضور الكرام، أرى أن تلك الرسالة مختلفة تمامًا عن كل ما وردنا من «راجاك» مبعوثنا في أرض «زاندو»، وما نعرفه عنه من مكانته وسط أهلها تجعل كل ما ينطق به هو أمر صدقٍ، وأن تلك هي اللحظة الفارقة التي ننتظرها جميعًا؛ إما أن نستغلها ونهب لنصرة «زاندو»، أو أن نبقى هنا نشاهد ما يحدث من بعيد، إن الخيار مطروحٌ إليكِ جلالة الملكة.

بدأت الهمهمات بين الحضور في القاعة الجميع يتشاورون فيما بينهم؛ فقد تربوا جميعًا من أجل تلك النبوءة، وعلى الرغم من هدوء مملكتهم وقوتها لكنهم دائمًا ما سعوا للعودة إلى أرض «زاندو» من أجل إثبات أحقيتهم بأن يكونوا بين أهلها، لكن أن تحيا من أجل أمرٍ ولا تعلم إن كان سيحدث أم لا ثم تجده أمامك هو أمرٌ مغاير بالمرة. ظلت الهمهمات

لدقائق معدودة حتى لاحظ الجميع نهوض الكهل المجاورة للملكة ليصمت الجميع منتظرين حديثه فقد بدا جليًا مكانته لدى الجميع حتى أن الملكة قد انحنت له في احترامٍ من مجلسها ليهبط الرجل تلك الدرجات ليبدأ في حديثه:

-جلالة الملكة «إلينا»، حضرة الوزير الأول «دوراتي»، الحضور الكرام، لقد حظى أسلافنا الأوائل بإرثٍ عظيم توارثناه جميعًا لأجيالٍ متلاحقة على حُلم نبوءة العودة مرة أخرى إلى أرض «زاندو» مرفوعي الرؤوس. ما حدث في الماضى السحيق لم يكن إلا نتاج حرب ضارية ظُلِم على إثرها أجناسٌ بكاملها، أجناسٌ أثبتوا القوة والبراعة في تلك الحرب ببسالتهم وقوتهم مدافعين عن أرضهم وعرضهم ضد الملاعين، قدموا من التضحيات ما يثبت ذلك، لكنها الفتنة قد ضربت أواصر المحبة بين الجميع شتت كل الجهود، جعلت الخلاف يحتدم بين الناجين، جميعنا يعرف ما حدث وجميعنا يعرف مدى الصعاب التي تقبلها أسلافنا حتى يقيموا تلك المملكة المنيعة، إنه القدر يا سادة قد دفعنا إلى قلب الجليد لنكتشف بعدها أن الملاعين لا يمكنهم التعايش مع تلك الأجواء البادرة لنحصل على هبة من الآلهة يكافئونا بها على ما تحملناه، أيضًا أذكر أننا جميعًا في نشأتنا وصبانا تعلمنا أول ما تعلمنا تاريخنا ونبوءتنا الخالدة؛ نبوءة العودة

إلى أرض «زاندو» لكن ليس كل ما نتمناه يُدرك فقد انتظرت أجيالٌ عدة تلك اللحظة ويبدو أن جيلنا هو الجيل المختار لتلك المهمة، لكن الأمر ليس بالهين أن نضحي بكل ما نملك ونخوض حربًا ليست لنا من الأساس فمن خاضوها هم مَن أساءوا إلينا من البداية، كما أنها حربٌ ليست بالهينة أو بالمضمونة؛ لذا إن سمحت لي جلالة الملكة أن نتريث في قرارنا جميعًا وأن نطرح أمرنا للشورى بين الجميع.

أنهى الكهل حديثة ليعود إلى مجلسه من جديدٍ بجوار الملكة التي حيته بإماءة بسيطة من رأسها قبل أن تبدأ بالحديث هي الأخرى:

-شكرًا لك سيد «دوراتي»، وأنت أيضًا سيد «جورج» مستشار المملكة الأول على ما قدمتموه من إيضاحٍ للجميع، إن الأمر حقًا مربك وليس بالهين، أعرف أن أسلافي من «آل ياشين» قد ظلوا طيلة تاريخهم في انتظار لحظة مماثلة، لكن أن ننتظر شيئًا لا نعلم إن كنا سيحدث أم لا هو أمرٌ، وأن نجده أمامنا بكل جرأة لهو أمرٌ مغاير. أنا لن أترك إرث أسلافنا الأوائل وما عاشوا من أجله، وأيضًا على الجانب الآخر لن أقود شعبنا العظيم إلى قلب التهلكة، على مدار الفترة السابقة وردتنا عدة رسائل من خادمنا «راجاك» سرد

لنا ما حدث من تطوراتٍ في تلك الحرب كيف افتخر ملوك «زاندو» بذاتهم كالعادة وافتعلوا حربًا لم يكن لها محلٌ حتى أصبحت لا مفر منها، إن الملاعين ليسوا كما الماضي السحيق بل أصبحوا أكثر عددًا وأشد قوة؛ لذا دعونا في مجلسنا هذا نستعرض ما هو موقف مملكتنا قبل أي شيء.

عاد الوزير «دوراتي» مرة أخرى ليتصدر المشهد من جديدٍ ساعيًا في استعراض أوضاع المملكة أمام الجميع:

-جلالة الملكة، منذ أن وصلتنا الرسالة الأولى من «راجاك» ومعرفتنا بنية أهل «زاندو» بخوض تلك الحرب ونحن نعمل جاهدين على حصر كل شيء في المملكة وتجهيزها كما ينبغي المؤن والطعام وما يكفي عامة الشعب في حالة خوضنا لتلك الحرب لعامٍ كامل، كما قام قادة المملكة بالعمل بشكلٍ كبير من أجل الاستعداد لأي أمرٍ طارئ؛ ولذا لندع كلًا يتحدث في مجاله فليبدأ السيد»سوكراتيس» قائد جيش المملكة.

تنحى الوزير»دوراتي» جانبًا ليتيح المجال لقائد الجيش القنطور «سوكراتيس» حيث يتوارث القناطير قيادة الجيش نظرًا لبسالتهم الكبيرة في القتال والحروب.

-مولاتي الملكة «إلينا»، سيدي الوزير، السادة الحضور، نبلاء

وقادة المملكة الكرام، إن عهدنا

«آل شيرون» دائمًا بقيادة الجيوش وتدريب الفتيان الأشداء والمقاتلين الأقوياء لقد شرفنا أسلافنا الأوائل من كل الأجناس حين أسسوا هذا الوطن بأن جعلوا من القناطير سادة الحروب وحلبات القتال، أبدًا لم نتوانَ في هذا الشأن ودائمًا على أتم استعدادٍ لدحر أي خطرٍ قد يواجه المملكة، ومنذ أن وصلتنا الرسائل الأولى وقد جعلت الجيش بأكمله في حالة استنفارٍعام؛ استدعينا كل من لديه القدرة على القتا،ل حلبات التدريب تعمل على مدار اليوم، يمكننا أن نقدم جيشًا كبيرًا من كافة أبناء المملكة قد يتخطى حاجز المائتي ألف مقاتل. أعلم أن العدد قليلٌ مقارنة بالأعداد المتوقعة للملاعين لكننا متحدون جميعًا معًا وتنبض قلوبنا بالقوة والعزيمة ولا يوجد أي نبتة شيطانية بيننا للخيانة.

أنهى القنطور»سوكراتيس» حديثه ليحيي الجميع ويعود لموقعة مرة أخرى، بينما الوزير»دوراتي» تولى الدفة مرة أخرى ليعطي طرف الحديث للعملاق «جوناس» قائد العمالقة الذي تحدث باقتضابٍ كبير كما هي عادة العمالقة دائمًا:

-مولاتي الملكة، منذ أن وصلت الرسالة الأولى وقد قمنا بالانتشار في كافة الطرقات المؤدية إلى أرض الملاعين،

وضعنا الحواجز والمتاريس اللازمة لعرقلتهم، بنينا الفخاخ لاصطيادهم؛ لنجعل مملكتنا آمنة إن أرادوا القدوم إلى هنا ليجدوا نهايتهم.

حيا الجميع العملاق «جوناس» قبل أن يعطي الوزير «دوراتي» الكلمة للسيد «جريفز» قائد الأقزام وكبيرهم الذي ترجل من مقعدة ليبدأ الحديث:

-مولاتي الملكة، نحن دائمًا لا نكل ولا نمل من العمل؛ لم نترك موضعًا في باطن الأرض إلا وسعينا لاستخراج ما به من موارد غالية ونفيسة للمملكة ككل، وقد قمنا بحصر خزائن المملكة لدينا الكثير من العملات والذهب، ولدينا من كل معدن ما يكفي لخوض حروب كثيرة وليست حربًا واحدة، كما أننا لم نوقف العمل في ترسانة الأسلحة بل عملنا على زيادة الإنتاج لتمتلئ عن أخرها، بل قمنا بتجهيز مخازن جديدة لكل ما يتم إنتاجه. إننا على أهبة الاستعداد لأي شيءٍ ونحن معشر الأقزام ننتظر تلك الحرب بكل شغفٍ لنثبت لأهل «زاندو» ماهيتنا، وأن الأقزام وكل أبناء مملكتنا لا يقلوا عنهم في شيءٍ، بل إننا أكثر براعة وشجاعة وقوة.

أنهى»جريفز» حديثة ليعود لمقعده لكنه اقترب من الوزير»دوراتي» ليهمس له (كان يجب أن تعطيني الكلمة

أولًا عزيزي دوراتي، الأقزام لا يقلون عن الجميع في شيءٍ)
ابتسم الوزير«دوراتي» محييًا إياه فتلك هي طبيعة الأقزام دائمًا ما يسعون للطليعة ومقدمة الصفوف متفاخرين بأنفسهم، لكنه كتم ضحكاته ليعود بالحديث مرة أخرى للملكة «إلينا»:

-مولاتي، أرى أن الجميع على أهبة الاستعداد لردع أي خطرٍ عن مملكتنا وخوض أي حربٍ مقبلة يبقى الأمر في النهاية لكِ يا مولاتي.

-شكرًا لكم أيها السادة، نبلاء وقادة أرض الثلج، أبدًا لم أشكك في قدرتكم على القتال أو خوض تلك الحرب، إن شجاعتكم وبسالتكم لا نظير لها، وعلينا جميعًا أن نطرح الأمر للتصويت للجميع فمن يوافق منكم على خوض تلك الحرب فليشر بيده.

لم يتوانَ أي من الحضور برفع يده، لم يكن القادة الحاضرون فقط بل مساعديهم وباقي نبلاء المملكة قد أبدوا استعدادهم لخوض تلك الحرب إن لزم الأمر، فقط المستشار «جورج» هو من لم يوافق الرأي، بينما الوزير «دوراتي» كان يحصي الحاضرين ويسجل رأيهم ويوثقه في السجل الخاص بمجلس الديوان الملكي بعد أن انتهى الأمر عادت

أولًا عزيزي دوراتي، الأقزام لا يقلون عن الجميع في شيءٍ)
ابتسم الوزير»دوراتي» محييًا إياه فتلك هي طبيعة الأقزام دائمًا ما يسعون للطليعة ومقدمة الصفوف متفاخرين بأنفسهم، لكنه كتم ضحكاته ليعود بالحديث مرة أخرى للملكة «إلينا»:

-مولاتي، أرى أن الجميع على أهبة الاستعداد لردع أي خطرٍ عن مملكتنا وخوض أي حربٍ مقبلة يبقى الأمر في النهاية لكِ يا مولاتي.

-شكرًا لكم أيها السادة، نبلاء وقادة أرض الثلج، أبدًا لم أشكك في قدرتكم على القتال أو خوض تلك الحرب، إن شجاعتكم وبسالتكم لا نظير لها، وعلينا جميعًا أن نطرح الأمر للتصويت للجميع فمن يوافق منكم على خوض تلك الحرب فليشر بيده.

لم يتوانَ أي من الحضور برفع يده، لم يكن القادة الحاضرون فقط بل مساعديهم وباقي نبلاء المملكة قد أبدوا استعدادهم لخوض تلك الحرب إن لزم الأمر، فقط المستشار «جورج» هو من لم يوافق الرأي، بينما الوزير «دوراتي» كان يحصي الحاضرين ويسجل رأيهم ويوثقه في السجل الخاص بمجلس الديوان الملكي بعد أن انتهى الأمر عادت

الملكة من جديد لحديثها:

-حسنًا أيها السادة، يبدو أنكم جميعًا لا تخشون خوض تلك الحرب، والجميع على أتم استعداد لإظهار ماهيتنا وأحقيتنا بأرض «زاندو» فإن كُتبت علينا الحرب فلا مفر منها. أيها السادة، على الجميع أن يستعد لتلك الحرب سواء خضناها أم لا، فيجب عليّ أولًا أن أقوم برحلة إلى الشمال، فلن ندخل تلك الحرب بدون سحرة الجليد. سيدي الوزير دوراتي، لتأمر بتجيهز الركب الملكي الخاص بي وأخبرهم في الميناء الثلجي أن يجهزوا السفينة الملكية؛ فعند وصولي إلى هناك سأبحر مباشرة إلى سحرة الجليد وفي تلك الفترة سيعهد إليك بإدارة شئون المملكة وأن تجعل الجميع في حالة تأهب كبرى.

بدا الحزم جليًا في نبرات صوت وتعابير وجه تلك الفتاة الحسناء التي لم تتم عامها الخامس والعشرين بعد لكنها توارثت سمات الملوك وقوتهم؛ فقد رحل والدها قبل أن تتم العشرين من عمرها لتعتلي عرش المملكة وتظهر للجميع قوة وصلابة منذ البداية ليدعمها وبقوة عمها «جورج» مستشارها الخاص ومستشار المملكة الأول، فقد رفض أن يعتلي العرش بدلًا من ابنة أخيه وكان داعمها الأول؛ فهو لم

يرزق بالأبناء نتيجة لعقمه كما أنه قد بلغ من الكبر مبلغًا ليس بالهين فوضع نصب عينيه أن يستمر نسل «آل ياشين» فوق مجد شخصي له. بعد أن أنهت حديثها غادرت القاعة ليحييها الجميع ويشرعوا للإعداد سريعًا لتلك الحرب الوشيكة، بينما الوزير «دوراتي» أمر بتجهيز الموكب الملكي وتأمين طريق الملكة صوب الميناء.

***

أنهت الملكة «إلينا» اجتماعها بقرارٍ حاسم لتغادر القاعة صوب جناحها الملكي، بدأت تتخلى عن زينتها الملكية لتعود من جديد كفتاةٍ بارعة الجمال ووصيفاتها حولها يلبين طلباتها، لم يمر الكثير من الوقت حتى تعالت الطرقات على باب جناحها لتخبرها الوصيفات أن السيد «جورج» مستشار المملكة بالخارج يريد لقاءها، أذنت لهن أن يدخلنه سريعًا وأن يغادرن الجناح، تقدمت الملكة «إلينا» صوب عمها المستشار «جورج» لتستقبله بكل ترحابٍ.

-إنه لشرفٌ عظيم أن يزورني عمي في جناحي الخاص، آمل أن يكون خيرًا.

-مرحبًا يا عزيزتي، دائمًا ما تمتازين بالذكاء وأعلم جيدًا أنك تعرفين مقصدي من تلك الزيارة.

-إن أصبت في التوقع يا عماه فهذا لكونك قد علمتني جيدًا، وإن أخفقت فهذا يعني أني لم أكن التلميذة الجيدة.

-لن أخفي قدرتك البارعة على امتصاص غضب من أمامك بل وتجذبين تركيزه معك، لكن لنختبرك يا بنيتي ما هو توقعك لتلك الزيارة؟

-دعني أخمن قليلًا؛ أعتقد أنك مستاء من قراري تجاه تلك الحرب المقبلة وتميل لإقناعي بعدم الولوج لها الآن أليس كذلك؟

-دائمًا ما تثبتين حسن ظني بكِ يا بنيتي، وهذا ما جعلني آتي إليكِ وأتمنى أن تتعقلي في قرارك هذا، وأن تتروي؛ فالحرب ليست هينة فنحن لن نواجه الملاعين فقط بس سنواجه أهل «زاندو» أيضًا، فلن يكون من السهل أن يتقبلوا وجودنا فلقد اعتبرنا أسلافهم أننا خائنون حين وقفنا في صف باقي الأجناس، كما أنهم لن يتقبلوا وجود أجناس أخرى بين صفوفهم.

نظرت «إلينا» بكل ترقب إلى عمها وهو يخبرها بمخاوفه من تلك الحرب وتعلم أنه لديه كل الحق فيما قاله فهي أيضًا قد دار بخلدها أمور مماثلة، لكن توجب عليها أن تتخذ

قرارًا، في النهاية ارتسمت ابتسامتها على وجهها قبل أن تبدأ حديثها:

-أعلم كل هذا يا عماه، بل إنه يؤرقني أكثر مما تتوقع، لكن ملكة الثلج لا يجب أن تظهر أمام قادتها في موقف الضعف أو الخوف، لقد تمعنت كثيرًا في قراري تخيلت لو كان أبي مازال بيننا ويقود تلك الحرب فلم يكن ليتريث لبرهة بل كان سيسعى لخوضها بكل قوة، وضعت نفسي في موضعك وأعملت عقلي كما لو كنت أنت وجدت نفسي بين خيارين كلاهما صحيح وكلاهما ليس بالهين؛ أولًا: أن نستغل فرصتنا ونثبت أحقيتنا بأرض»زاندو» وأن نكون بين أهلها ونقضي على الملاعين. وثانيًا: أن أحافظ على شعبي وألا أخوض تلك الحرب لكني سأصيبهم بالإحباط جميعًا، ولقد رأيت يا عماه اليوم كيف هي حماسة قادة المملكة ورغبتهم في تلك الحرب.

-وهل رغبة القادة واندفاعهم يا بنيتي وحدهم يكفوا لخوض تلك الحرب، التاريخ لن يذكر سواكِ يا عزيزتي نتيجة هذا القرار.

-ومن قال أنني قد اتخذت قرار الحرب يا عماه، أنا فقط أردت اكتساب المزيد من الوقت، رحلتي تلك صوب سحرة

الجليد ستأخذ سودسين على الأقل وقتها قد تتضح الأمور بشكلٍ أكبر، إما أن نخوض حربنا أو أن نظل في أرضنا، وأيضًا لن أخوض تلك الحرب بدون رأي سحرة الجليد وعرافيهم، وإن وافقوا على الحرب فلن أخوضها بدونهم؛ لذا يا عماه، أريدك أن ترافقني في تلك الرحلة فلن أجد أحدًا أفضل منك ناصحًا ومرشدًا لي؛ فأنت هو أبي الثاني الذي رُزقت به.

لم يجد «جورج» بدًا من الموافقة على مرافقتها كما أنه قد ازداد إعجابه بها وبقدرتها على اتخاذ القرارات، فقد اطمئن قلبه على المملكة في ظل وجودها، ابتسم لها ثم نهض ليحتضنها ويقبل جبينها قبل أن يودعها ليستعد لرحلتهم المقبلة.

2

إن كانت قبائل «المنجالا» هي وجهة كافة أبناء الغجر نظرًا لكونها القبيلة الأكبر والمركز التجاري الأهم في جنوب جبال «زاندو» لكنها في تلك الأيام لم تكن قِبلة تجارية فقط، بل كانت قِبلة كافة قادة قبائل الغجر الذين استجابوا لدعوة زعيم «المنجالا» توافدوا من كل بقعة في أقصى الجنوب ليرحب بهم أهل «المنجالا» بأفضل ما يكون بما يليق بزعماء الجنوب. انتظر زعيم «المنجالا» حتى يصل كافة ممثلي القبائل الذين توالى حضورهم ليكتمل جمعهم إلا من قبيلة واحدة علم الجميع أن قدومهم محل شك؛ إنهم قبائل «النوماكي» أصحاب القوة الباطشة والرأي المخالف دائمًا للجميع، لم يدم الانتظار كثيرًا قبل أن يقرر زعماء القبائل أن يبدأوا اجتماعهم بدون المزيد من الانتظار، ليتوجهوا حيث معبد «آبتشك» كما هي عادتهم في اجتماعاتهم فعندما أتى أسلافهم الأوائل أسسوا معبدًا كبيرًا يكون مقرًا لاجتماعات قبائل الغجر فيما بعد لتتوارث الأجيال هذا العُرف.

تقدم الجميع اثني عشر رجلًا هم زعماء القبائل في كل شموخٍ وفخرٍ ليحتلوا موقعهم أمام كهنة المعبد ليحصلوا على التبريكات ويتموا الصلوات قبل بداية اجتماعهم، تعالت

تبريكات الكاهن الأكبر مستعينًا بأرواح القدماء وبركات الآلهة. الزعماء مطأطئو الرؤوس في خشوعٍ تام، وحاشيتهم من خلفهم يرددون مؤمنين على دعوات وتبريكات الكاهن الأعظم، بينما باقي الكهنة ينثرون ماءهم المقدس على الحضور ليحصل الجميع على التبريكات حتى ينتهي الكاهن الأعظم من صلواته، لم تدم حالة الخشوع كثيرًا حتى أصاب المكان جلبة كبيرة صاحبت وصول زعماء قبيلة «النوماكي» ليلتفت الجميع إليهم بينهم زعيمهم وقف متباهيًا أمام الجميع ليشير إليهم بأن يعودوا لسكونهم مرة أخرى.

-يبدو أننا قد تأخرنا لكن على كل الأحوال لم نتأخر كثيرًا سيدي الكاهن يمكن استكمال ما تقوم به.

أنهى جملته قبل أن يشير لأتباعه ليأخذوا أماكنهم بين التابعين وحاشية زعماء باقي القبائل، بينما هو تقدم صوب الزعماء ليتاخم زعيم «المنجالا» في مجلسه ليكون بجواره كنوعٍ من فرض الذات؛ فهو لا يقبل أن يكون في مكانة أقل. استرق زعيم «المنجالا» النظر إليه لكنه لم يرد أن يبدأ أي نوعٍ من المشادات ليفسح له المجال، بينما الكاهن الأعظم حاول أن يستعيد رباطة جأشه ليشير لكهنته ليعودوا لما يقومون، بينما هو أتم صلواته وتبريكاته على الجميع في

هدوءٍ من جديد.

انتهت الصلوات لينصرف الجميع، بينما الزعماء قد اتجهوا بصحبة الكاهن الأعظم وكبير عرافي «الفودا» إلى ردهة الاجتماعات الملحقة بالمعبد، اتخذ الجميع مواضعهم ليبدأ كبير الكهنة جلستهم:

-أيها السادة، زعماء قبائل الجنوب، مرحبًا بكم في جمعنا المبارك هذا تحت معية وحفظ آلهتنا، إننا هنا اليوم بعد دعوة طيبة قام بها السيد «إيكابي» زعيم قبيلة «المنجالا» فلم يعد خفيًا على الجميع ما أصاب أهل «زاندو» في الشمال؛ فالملاعين قد عادوا من جديدٍ والخيانة قد ضربت أركان «زاندو» في كل مكانٍ. أعلم أننا جميعًا نحمل لهم بداخل صدورنا مشاعر مختلفة وأعلم أن بعضنا قد تغمره السعادة لما أصابهم من مكروهٍ، لكننا هنا اليوم من أجلنا نحن من أجل مستقبلنا، فكلنا نعلم بنبوءتنا الموعودة؛ لذا نحن هنا أيها السادة، ولكي نعيدها للأذهان فلتستمعوا جميعًا للسيد « توفا» كبير عرافي «الفودا».

عاد كبير الكهنة لموقعه بينما تقدم كبير العرافين والذي بارك من قبل «أشوري» وأنتيكوس» أبناء المنجالا الشجعان اللذان شقا طريقهما نحو أرض «زاندو» في سبيل نبوءة

الأجداد الأولى، لم يتحدث كبير العرافين إلا عندما قام بطقوسه؛ حيث رسم الدوائر على الأرض ليقف في منتصفها، وبداخلها كتب العديد من الإشارات والحروف، وضع بعضًا من مواقد البخور بداخل تلك الدوائر لينثر عليها بعض المواد من يديه والتي جعلت الأبخرة تتعالى في المكان، بينما أحجاره قد ألقى بها بشكلٍ قد يبدو عبثيًا في كل دائرة لكن في قرارة نفسه يعلم أنهم في غاية الترتيب، تابع كافة الزعماء ما يقوم به كبير العرافين بكل اهتمامٍ، بينما زعيم «النوماكي» قد بدا عليه التملل مما يحدث أمامه ليقطع كبير العرافين هذا الصمت موجهًا حديثه له وللجميع.

-أعرف أن الملل قد أصابكم يا أهل «النوماكي»، لكن لو علمتم ما ذُكر عنكم في تلك النبوءة لكنتم أول المنبهرين لها، أيها السادة، لقد عُهِد إلينا نحن عرافو «الفودا» من القدم حفظ سر قبائل الغجر، نعم أيها السادة يجب أن نصارح أنفسنا بحقيقتنا نحن الغجر أبناء الريح كل أرض هي أرضنا، كل موضع هو لنا. أيها السادة، كوننا غجرًا فهو مصدرُ فخرٍ لنا، بعضكم يبغض هذا المسمى لكن تلك هي حقيقتنا وفخرنا، لقد تركنا «زاندو» لكوننا غجر ليس لكوننا أقل منهم في شيءٍ، ولكن لأننا قد رفضنا الانصياع لهم، لم يكن دورنا في الحرب العظمى بالهين بل تاريخنا هو مدعاة فخرٍ يا سادة،

في تلك الحرب التي كتب تاريخها سادة «زاندو» بعد رحيلنا، لكن تلك هي فرصتنا لنكتب نحن التاريخ من جديدٍ، لنكتب تاريخ الغجر فتلك هي النبوءة المعهودة؛ عودة الغجر لقلب «زاندو» ليسطروا تاريخ من المجد.

لم يستطع زعيم قبيلة «النوماكي» أن يظل صامتًا بل نهض من موضعه مقاطعًا كبير العرافين.

-سيد «توفا»، اسمح لى أن أختصر الوقت؛ فجميعنا يعلم ما تقوله يعلم تلك النبوءة لكن ما هي النبوءة كيف سنعود إلى «زاندو» نحن أناس قد نبذونا منذ دهرٍ بعيد، كيف سنقاتل من أجلهم في حربٍ ليست حربنا إن أتى الملاعين هنا لنلقنهم درسًا لكن لماذا نذهب إلى أرضٍ لم تعد أرضنا؟! دعنا من كل هذا يا سيدي، لتخبرنا هنا ما هي تلك النبوءة، أخبرنا كيف سنعود لأرض «زاندو»؟ ألم يخطر في بالكم أن أهلها سيروننا نحن أيضًا غزاة لها مثل الملاعين؟ أم أن مخيلتكم قد صورت لكم أنهم سيستقبلوننا بالورود كفاتحين ومحررين لهم؟ إن بقاءنا وانتظار الملاعين إن أتوا سيكون أفضل، أما أن ندفع بأنفسنا في حربٍ ليست لنا ومن أجل أناس يبغضوننا ونبغضهم لهو شيء غير مرحبٍ به على الأقل منا نحن شعب «النوماكي»؛ فنحن لسنا بخائفين والجميع يعلم بأسنا وقوتنا

ولكننا نتعقل في الأمر.

عاد زعيم قبيلة النوماكي لموقعه من جديد بعد أن شعر بخطابه يؤثر في نفوس بعض الزعماء الآخرين، جلس بزهوٍ وهو على يقينٍ كامل بعدم وجود رد مقنع لدى أي من الحاضرين، عاد كبير الكهنة من جديدٍ ليكمل الحديث:

-إن كنت قد انتهيت سيد «بيرشا» فلتسمح لي ولتسمحوا جميعًا أن أكمل حديثي، على كل حالٍ فأنت قد جعلتنا نقفز في حديثنا خطواتٍ عدة عن النبوءة وما بها، فحسب نبوءة الأولين وأسلافنا الأوائل من عرافي «الفودا» وهم أيضًا من تنبأوا بالحرب العظمى الأولى وما حدث بها، وإن كان الدهر قد أنساكم يا سادة فهم أيضًا من تنبأوا بنزوحنا إلى أقصى الجنوب، كل نبوءةٍ وكل حدثٍ قد سجلها أسلافي منذ قديم الأزل تحقق الكثير وما بقي هو الأعظم، لكن كيف سندخل «زاندو» نحن بها بالفعل يا سادة سيأتينا رجل ذو شأن كبير في أرضها لنكون نحن عونه الأول، سيكون قائدًا لحربٍ عظمى ثانية، حرب ستعيد تشكيل «زاندوا» من جديد، سينتهي عصر الممالك وينتهي زمن العائلات الكبرى ليبدأ زمن جديد؛ الجميع فيه سواسية لكن بعد حربٍ ضاريه ستقضي على الجميع وتوحد مَن بقى مِن أهل «زاندو»،

سيقاتلون فيها بعضهم البعض ويقاتلون عدوهم، سيحظون بدعمٍ من أناس من خارجها وسيعود لزاندوا أبناء قد غادروها منذ زمنٍ.

لم يدع زعيم قبيلة النوماكي كبير العرافين ينهي حواره حتى عاد لمقاطعته من جديد:

-حسنًا، سيد «توفا»، عندما يأتيكم هذا الرجل يمكنكم أن تخاطبونا أما الآن فأرى أن اجتماعنا هذا ليس له أي داعٍ.

عُرف عن «النوماكي» دائمًا تعجرفهم بين قبائل الغجر، لكن ما وصل له زعيمهم «بيرشا» من تعالٍ وعدم احترام لأي أعرافٍ أو تقاليد بل أيضًا عدم احترامه لآداب الحديث دفع «إيكابي» زعيم قبائل «المنجالا» للرد عليه:

-سيد «بيرشا»، إن لم تكن قادرًا على ضبط نفسك والتمسك بأداب الحوار وتقاليدنا فلتعتبر أن دعوتي التي وجهت لك قد أتتك بالخطأ، فلم أكن أعلم أن صلفكم قد وصل إلى هذا الحد.

-اتجرؤ على إهانتنا يا هذا؟! ليس لكونك زعيم المنجالا تهيننا فلو كنت أحد ملوك زاندو لن أسمح لك بهذا.

-بل أنت من أتيت لهنا لتتهكم على جمعنا وتقاطع الجميع

لم أكن أعلم أنك بهذا الغباء.

احتدم الموقف بين زعيم المنجالا الموقر وزعيم النوماكي الشاب الذي اندفع للاشتباك معه وربما القتال، فسعى كافة الزعماء للفض بينهما بينما كبير الكهنة لم يعجبه الوضع ليصيح بهم جميعًا:

-أيها السادة، لتحترموا قدسية المكان المتواجدين به فهنا لا تقبل الأخطاء ولا ترتكب.

تراجع زعيم المنجالا للخلف محترمًا لقدسية معبدهم، بينما زعيم النوماكي وقف في تحدٍ كبير قبل أن يبصق أرضًا ويغادر المكان وهو يصيح بهم:

-إنكم مجموعة من الكهول المخرفين، لقد ذهب عقلكم منذ زمنٍ عن أي نبوءةٍ تتحدثون وأي زندو تلك التي تسعون إلى إنقاذها. بحق الآلهة لو رأيناكم تقطعوا أشلاءً لما اهتز لنا جفن ولا سندناكم أبدًا، من يريد أن يتقي شر النوماكي فهو يعرف معقلنا يمكنه أن يأتي إلينا لعقد الصلح، أما أنت يا كبير المنجالا فلن أقبل منك إلا الركوع أمامي جزاءًا لما فعلت.

انصرف «بيرشا» زعيم «النوماكي» هذا الفتى الثلاثيني والذي يقود قومه بقوةٍ وبطشٍ كبير؛ فالنوماكي هم ثاني

قبائل الغجر من حيث العدد بعد قبائل المنجالا ويكادون يقاربونهم في القوة التي يزيد عليها البطش والصلابة؛ فأبناء النوماكي يلقبون بمروضي الوحوش سادة بحر الجنوب، سعى الجميع لاستعادة هدوءهم، ليتقدم زعيم المنجالا في وسطهم مستعيدًا رصانته من جديدٍ.

-إخواني الكرام، أعتذر منكم جميعًا إن كنت قد فقدت صوابي بعض الشيء لكن أنتم تعرفون أهل النوماكي وهذا الفتى لم يأتِ إلى هنا إلا ليهزأ بنا؛ فنحن قد توالت أجيالنا على معتقداتهم وتقاليدهم واحترامهم المتبادل باحترمنا نحن زعماؤهم لبعضنا البعض، وتلك النبوءة الموعودة لنا جميعًا ونحن أهل المنجالا لن نقطع عهد الآباء والأجداد وسنسعى لأجل نبوءتنا إن حان وقتها.

عاد الجميع للحديث فمنهم مَن يؤمن بكل ما لديه بنبوءة الأسلاف، ومنهم من اهتزت نفسه بعض الشيء بحديث زعيم النوماكي، شرعوا جميعًا يتناقشون ليخبرهم كبير العرافين بأن رسل النبوءة في طريقهم من أجل الأمير الموعود، فاتفقوا جميعًا أنه إن أتى الموعود يكون لعهودهم موعدًا آخر يتحدثون فيه.

***

لم تكن الأوضاع في قلعة «بنتلي» بعيدة عن أجواء «زاندو»؛ فقد وضع الأمير «فيليب» إمارته وكل مَن فيها في حالة استنفارٍ عام بعد الأحداث الأخيرة التي عصفت بأرض الاتحاد، فمنذ وصلته رسائل الحكيم «توساني» ومعرفته بالخيانة التي ألمت بملوك «زاندو» وهو يخشى على «زاندو» وإمارته، بينما جنوده قد انتشروا في كل الطرق التي تؤدي لقلعتهم لتأمينها وانتظار وصول الحكيم توساني ورفقته، بينما مجلسهم الحربي والسياسي لم يتوقف عن الانعقاد يسعون للبحث عن أفضل السبل للنجاة بأنفسهم وشعبهم، توالت الأنباء والأخبار تباعًا في الأيام السابقة ما حدث في مدينة الشمس وجلوس «أتريموس» على العرش بعد أن تزعم الخيانة ومساندة «آل نيكلسين» له وسقوط مملكة الغرب في أيد الملاعين، أما الأكثر شناعة فكانت المجازر التي ارتكبها كل من «كيجان» و«تيري» في مملكتي الشرق والجنوب؛ فقد سيطرا على مدن الحكم في الممالك بحكم السيف والدم فلم يقتصر الأمر على سفكهم الكثير من دماء معارضيهم بل أنهم سفكوا دماء «آل والاس» حكام الشرق جميعهم صغارهم قبل كبارهم واستحلوا نساءهم لهم، كما حدث الأمر نفسه مع «آل روبرتسون» جميعًا في مملكة الجنوب في محاولة منهم لفرض سيطرتهم على ملكهم

الجديد.

بدا القلق واضحًا على الأمير«فيليب» وحاشيته فإن كانوا يحظون بحكمٍ ذاتي لإمارتهم إلا أنهم لا طاقة لهم لمجابهة ممالك «زاندو» ولا يعلمون إن كان قادتهم الجدد سيبقون على عهود مَن سبقوهم أن سيستحلون دماء «آل بنتلي» كما استحلوا دماء ملوكهم، سعى لتعزيز تحصينات قلعته وحشد كل التابعين ورعايا مملكته بداخلها، لم يكن يهنأ في نومه وقليلًا ما يزور مخدعه بل واصل ليله بنهاره يفكر ويتدبر أمره حتى ظل لهذا الوقت المتأخر من الليل في ديوانه الخاص ليجد من يقطع عليه خلوته ولم يكن غير أخيه الأصغر «لويس»، فقد كان فيليب في عامه الثاني والثلاثين من العمر بينما أخوه «لويس» قد قارب من إتمام ربيعه العشرين، فبعد أن رحل والدهما وهو بعمر الثانية عشر كان «فيليب» بمثابة الأخ والأب له رغم كونه مازال يافعًا صغير السن، ليستقبله «فيليب» وبه شيء من الإرهاق ليشير لأخيه بالجلوس قبل أن يبدأ في حديثه معه.

-مرحبًا «لويس»، ماذا أتى بك في هذا الوقت المتأخر يا عزيزي؟ ألم تذهب لمخدعك بعد؟

-من منا يا أخي لديه القدرة على النوم حاليًا، لكن على

كل حالٍ ليس قلة النوم ما أتى بي إليك الآن؛ فقد وصلتني الأخبار من رجالنا أن موكب الحكيم «توساني» قد قارب من القلعة عبر طريق التجارة القديم كما توقعت أنت فأتيت لأخبرك بالأمر في عجالة.

هب الأمير «فيليب» من جلسته ليتبعه أخوه، جال في ديوانه بعض الشيء يفكر قبل أن يشير لأخيه بما يجب فعله.

-«لويس»، يجب ألا يعلم أحدٌ بقدومهم إلى هنا، عليك أن تذهب مباشرة في استقبالهم وقدومهم للقلعة عبر السراديب الخاصة بنا أسفل القلعة، وأنا سألقاكم هناك وخذ معك مَن تثق بهم مِن حرسك الخاص وتكتمون أمرهم حتى أعد لهم مكانهم هنا.

-أخي، هل تخشى من وجودهم هنا في قلعتنا؟

-أنا أخشى أن يذاع سر وصولهم إلى هنا؛ فالحكيم»توساني» ليس بالرجل الهين في «زاندو» فهو أمين سر أرض الاتحاد وهو بكل تأكيدٍ ليس في صف المعتدين، فإن نشر خبر وجوده هنا فهذا يعني أننا في صراعٍ مباشر معهم.

-إذًا لما نعرض أنفسنا للخطر؟

فلينتظروا قدومه، لكن «لويس» أصر على الذهاب بنفسه لاستقبال الحكيم «توساني» فأكملوا طريقهم نحوه على وجه السرعة.

تقدم «لويس» بكل ترحابٍ نحو «توساني» ليبادله التحية بكل ودٍ وحبٍ بعد أن بدا على محياهم الإرهاق والتعب، ليقلهم «لويس» نحو طريق بداية سراديب القلعة التي تبدأ في باطن الجبل خارج القلعة، ليخبرهم بسرية الأمر وأن أخاه الأمير «فيليب» ينتظرهم جميعًا، قد يستغرق الأمر بعض الوقت في تلك السراديب لكنه سيكون آمن لهم جميعًا من أجل سلامتهم، حاول «جراكوس» أن يبدي اعتراضه لكن الحكيم «توساني» وافقه على الأمر ليذهب مع «لويس»، وبرفقته الحكيم «كولن»، والقائد «جراكوس»، بينما طلب من الحرس أن ينزلوا متاعهم وخاصةً ما جمعوه من مخطوطات لينقلوها بحذرٍ برفقة حرس الأمير»لويس» لداخل القلعة.

بحفاوةٍ كبيرة استقبل الأمير»فيليب» الحيكم «توساني» وصحبته ليقودهم سريعًا نحو قصر الضيافة الملحق بالقلعة في سرية تامة، بدا الإرهاق وعناء السفر واضحًا على الحكيم «توساني» ليطلب منه «فيليب» أن يخلد للراحة ويتباحثون في الصباح مستجدات ما حدث في «زاندو»،

لكن إصرار «توساني» على الحديث في الحال جعل الأمير «فيليب» يقودهم رأسًا إلى بهو القصر الرئيس، لم يكن بضخامة البهو في قصر الحكم لكنه كان كافيًا للغرض نظرًا لعددهم، فتوسطهم الحكيم «توساني» في مجلسهم وعن يمينه الأمير»فيليب» وأخوه «لويس» ووزير الإمارة السيد «نيكولاس»، بينما عن يساره كان كل من المستشار»كولن» والقائد «جراكوس» ليبدأ «توساني» بالحديث.

-نشكرك سمو الأمير «فيليب» على ضيافتنا في قلعتك، ولكننا من طيلة مدة السفر التي قضيناها حتى هنا جهلنا الكثير عن أخبار «زاندو» فكما تعلم طريق التجارة القديم مهجور الآن ونحن عمدنا إليه حتى لا يرصدنا أحدٌ، فلتخبرنا يا عزيزي، بما آلت إليه الأوضاع في أرض «زاندو».

بدا الحزن جليًا على محيا الأمير «فيليب» الذي بدأ في سرد ما حدث؛ أخبرهم عن سقوط مملكة الغرب في أيدي الملاعين بعد أن أبادوا جيش الغرب في موقعة «آلانا»، وكيف غزوا الغرب وأسقطوا مدينة النسور، كما أخبرهم عما قام به «آل نيكلسين» من سيطرتهم على مدينة الشمس وإعلان «أتريموس» حاكمًا لقلب «زاندو» النابض في حفلٍ كبير، كما أخبرهم بالأخبار التي تناثرت أنه سيعقد قرانه على

الأميرة «كاترينا» سليلة الملك الراحل «شيرار»، لكنه أخبرهم أن ما حدث في أرض الوسط كان أقل ضررًا مما حدث في الشرق وفي الجنوب؛ فقد قاد «كيجان» و«وتيري» مجزرتين دمويتين حيث أبادوا كل من عارضهم بحد السيف ليعلنوا أنفسهما ملوكًا أيضًا على ممالك قد لطخت الدماء أرضها ووصمة بعار الخيانة.

حاول الحكيمان «توساني» و«كولن» تمالك أعصابهما مما حدث فقد سقطت «زاندو» في بئرٍ عميق من الخيانة والدماء، لا يعلم أحدٌ إلى أي مدى سيستمر الأمر، على عكسهما لم يتمالك «جراكوس» نفسه ليطلق العنان للسانه بالصياح والسباب لكل هؤلاء الخونة، ظل في حالة هستيرية حتى اقترب الحكيم «توساني» منه ليحتضنه بأبوة صادقه ليهدئ من روعه وأطلق كلاهما العنان لدموعهما حزنًا على ما يحدث ليتمالك «توساني» نفسه مجددًا ويعاود الحديث.

-حقيقةً لا أعلم ماذا أقول أيها الأمير«فيليب»، فيبدو أن سفينة «زاندو» قد غرقت في بحرٍ عميقٍ وسط عاصفة هوجاء، أعلم أن الأمور صعبة للغاية وأننا هنا ليس بيدنا الكثير لنقدمه في الوضع الراهن، فعلينا أن نرتب أنفسنا جيدًا واعلم سمو الأمير«فيليب» أن مصلحة إمارتك فوق كل

شيء، ولا نستطيع أن نورطكم في حربٍ ما، لكن لي سؤالًا ما؛ ألا يوجد أي أخبارٍ عن الأمير «ليدلي»؟ هل وصل إلى ممالك القديسين لطلب العون؟ فربما يكون هذا هو عوننا الأول في تلك المرحلة.

لم يكن لدى الأمير فيليب الكثير من المعلومات؛ فقد كان آخر ما وردهم عن الأمير ليدلي أنه كان في مدينة النسور قبل سقوطها، لا يعلمون إن كان غادرها قبل ما حدث بها أم أنه قد سقط في قبضة الملاعين؟ فقد غير الأمير ليدلي وجهته في ميناء اللؤلؤة لأسبابٍ مجهولة. ساد الصمت على الجميع كل منهم في قرارة نفسه يسعى للتفكير في الوضع الراهن لأرض «زاندو»، وهل من حلولٍ لتخطي تلك الأعاصير الضارية التي تضرب بها أم أن عليهم الرضوخ لواقع الأحداث وانتظار معجزة ما قد تحدث، قاطع صمتهم إعلان الحاجب عن وصول الوزير الأول لقلعة بنتلي السيد سبستيان ليسمح الأمير فيليب بدخوله واستقباله مستفسرًا منه عن سبب تأخره في الحضور عندما أرسل له لكن الجواب أتى سريعًا.

-مرحبًا بكم جميعًا سادتي، أعتذر عن التأخر في الحضور لكن الطير أتى في وقتٍ متأخر محملًا برسالتين لك سمو الأمير «فيليب»، الأولى أتت من مدينة الشمس فيها دعوة

من «أتريموس» لك لحضور حفل زفافه على الأميرة «كاترينا» سليلة الملك الراحل «شيرار»، والرسالة الثانية أتت من مدينة سوران في دعوة لك من «كيجان» الذي لقب نفسه ملكًا على الشرق بعد مجازره المؤسفة.

لم يتمالك «جراكوس» و«لويس» أنفسهما وهما يكيلان السباب إلى هؤلاء الخونة ووقاحتهما المبالغة بأن ينصبا أنفسهم ملوك ويوجهون له دعوات مزيلة بألقاب ملوك «زاندو» الجدد، تناول الأمير«فيليب الدعوات ليقرأها بنفسه باديًا عليه الغضب، لكنه لزم الصمت محاولًا كبت جماح ضيقه الواضح مما يحدث، قبل أن يسأل المشورة من الحكيم «توساني» الذي تنهد قليلًا قبل أن يسبقه الحكيم «كولن» في الحديث.

-أيها السادة، اسمحوا لي بالحديث وإدلاء رأيي المتواضع فنحن الآن في حالة حرب والحرب خدعة كما نعلم جميعًا، إن رفض الأمير فيليب الذهاب لأي منهما فسيعلن نفسه معارضًا لهم وهؤلاء ليسوا أهل نخوة أو مروءة بل هم أهل خسة يحكمون بالسيف قبل كل شيء؛ لذا علينا أن نتبع سياسة النفس الطويل أن نكسب ثقتهم بعض الشيء، وأن نعلم ما يخططون له لنبقى أنفسنا على مقربة منهم.

بادر«جراكوس» و«لويس» مرة أخرى على إظهار غضبهما ورفض ما يقترحه الحكيم «كولن» لكن الأمير «فيليب أراد أن يستمع أكثر ويتفهم أكثر لما يرمي إليه الحكيم «كولن»، لكن تأييد هذا الرأي أتى من قبل الحكيم «توساني» الذي أيد الفكرة والذي شرح وجهة نظرة بمثالٍ بسيط:[لكي تتقي شر الذئاب فعليك أن تكون ذئبًا مثلهم] فطلب من الأمير فيليب أن يدخل في عرينهم وأن يبدي طمعه مثلهم فهم سيسعون لإرضائه بشتى الطرق؛ لذا عليه أن يطلب المزيد من الامتيازات لإمارته ولنفسه، فهذا سيكون أسرع الطرق لإقناعهم، فعاد الأمير «فيليب» ليتساءل أي الطرفين يجيب أولًا ليعود الحكيم «توساني» بالحديث مرة أخرى.

-عليك أن تصل للعقل المدبر للأمر«أتريموس» اللعين، فجميعهم سيذهبون لحفل زفافه ليأكدوا قوتهم واتحادهم معًا، فراسل «كيجان» وأخبره أنك ستذهب لزفاف «أتريموس» وهناك تلتقي بهم جميعًا وتتناقشون على مستقبل «آل بنتلي» وموقعهم في خريطة «زاندوا» الجديدة وبالتأكيد جميعهم سيعلم بالأمر.

اقتنع الجميع بما طرحه الحكيمان «كولن» و«توساني» من مقترحاتٍ فمهما كان حجم وقوة «آل بنتلي» لن يستطيعوا

وحدهم الوقوف في وجه الجميع، ليطلب الحكيم «توساني» الحديث منفردًا مع الأمير فيليب الذي لبى طلبه على الفور.

-سمو الأمير»فيليب»، جميعنا نلمس فيك الحكمة والرزانة؛ لذا عليك أن تتحلى بالهدوء أمامهم لتظهر لهم كمنتفع جديد معهم، لكن عليك أن تعلم ما حدث في مدينة الشمس تقفى أي أثرٍ عن الأمير «ليدلي»؛ فهو أمين سر «زاندو» السابق وولي عهد الوسط وأحد أكثر رجال «زاندو» سطوة. لتلتقي بالوزير «كيني» إن استطعت ولتعلم منه إن كان لديه أي خبرٍ، لكن هناك يوجد رجلٌ نبيل أعرفه لا يترك «آل فيرجسون» أبدًا اسمه «فيرديناند روز» ف «آل روز» هم أغنى رجال الوسط بيدهم كل سبل التجارة وهم حلفاء أوفياء للملك شيرار الراحل فلتحاول الوصول إليه واستفسر منه عن أمر الأمير ليدلي.

بدا أن قلعة بنتلي ستكون معقل كل الرافضين لما يحدث في أرض «زاندو» في ظل هذا الاجتماع السريع وسعيهم من أجل إنشاء نواة للمقاومة واستعادة ثبات ووحدة «زاندو» من جديدٍ حتى وإن كان ما يخططون له طويل الأمد.

***

3

نحو بوزان سارع هذا الموكب للوصول في سرية تامة، كتيبة كاملة من عسكر «آل نيكلسين» المخلصين مهمتهم أن يأمنوا وصول ملك قد غُدر به كبلته الأغلال من كل موضعٍ لكن روحه قد أظلمت وبقلبه حسرات الغدر والخيانة؛ حزينًا على ملوك قد قُتلوا غدرًا، وخونة قد جلسوا على عروشهم، وعدو غاشم دنس أرض زاندو. كانت روحة تبكي أبًا قد قُتل في أرض الميدان بيد خائن قد أمنوه على أرواحهم وجيوشهم لكن ها هو الآن يعتلي عرش مدينة الشمس بكل فجور، بينما ثنايا نفسه تنزف من الألم لشقيقة قد افتدت حياته بأن ترضى بالسبي لهذا الدنس الذي خانهم. قضى أيامًا في أسره بداخل هذا القفص الحديد تجرهم الخيول بأقصى سرعة ممكنة، يسمحون له بالخروج لدقائق قليلة يوميًا لقضاء حاجته، لم يرَ رجاله أو أعوانه الذين ألقى القبض عليهم معه فقد عزلوهم عن بعضهم البعض، بينما أندرو حارسه المخلص كان قلبه يبكي دمًا على حبيبته كاترينا، لم يكترث لكل ما حدث في زاندو من نكباتٍ؛ فقد كانت نكبته الكبرى في قلبه الذي كتب عليه الموت، أما ثالثهما فكان «ديجو» هذا الفارس الذي رافق الأمير «ليدلي» من أرض الغرب وبقى برفقته ونال ثقته ليكون من بين رجاله في

رحلته نحو الخلاص بأرض»زاندو«، لكنه لم يكن يعلم أن تلك الرحلة ستنتهي بهم في غيابات السجون، بكى وطنه الذي سقط وزملاءه الذين لاقوا حتفهم في موقعة «آلانا»، تمنى لو يعود يومًا للوراء ويدافع معهم عن أرضه حتى وإن لاقى نفس مصيرهم بدلًا من وضعه ذليلًا مكبلًا في قيود الأسر.

لم يكن «أتريموس» بالغباء أن يبعث كل رجال «ليدلي» معه إلى محبسه حتى يقيموا هناك ثورة من جديد بل أمر بحبس باقي رجاله في سراديب مدينة الشمس الخفية ومن اعترض منهم أمر رجاله بجز رقبته سريعًا؛ ليؤمن عرشه ولم يكن ينوي أن يترك «ليدلي» على قيد الحياة لوقتٍ طويل فهو فقط يسعى لكسب بعض الوقت حتى يثبت أركان ملكه بقوة أكبر.

***

في قلب قلعة «بوزان» أو بمعنى أدق هذا السجن الحصين كان أبناء غجر الجنوب»أشوري« و»أنتيكوس«بين مساجين «زاندو» يقومون بعملٍ شاق في الجبال المحيطة؛ بتقطيع صخورها وأشجارها فقد كان السجن به أعمالًا شاقة وما يحصلون عليه من موارد يتم بيعها وتوضع أموالها في ميزانية السجن الضخمة الذي يدعمه كل ممالك «زاندو»

بالمال للإنفاق عليه وإبقائه آمنًا، كان «أداميوس» الذي أُلقى القبض عليهم بعد خيانة»برانكو» لهم يشرف على إنهاكهم في تلك الأعمال طيلة اليوم منذ بزوغ الشمس حتى غروبها، فقد كان كلاهما يتمتع ببنية فرسان قوية، بينما مرافقهم «ميلاني» كان ضعيف البنية لا يقوى على تلك الأعمال فجعلوه يعمل في سقاية المساجين، يقضون يومهم في عملٍ شاق ويمكثون ليلهم في محبسٍ منفرد يضم ثلاثتهم فقط. ظل يراقبهم بعض الوقت إلى أن أتى إليه أحد الجنود يخبره أن قائد القلعة يريده في عجالة هو وباقي ضباط القلعة، ليلاحظ المساجين انسحاب الضباط المشرفين عليهم سريعًا ليبقى حولهم الجنود فقط.

في مكتب قائد القلعة اجتمع كافة الضباط المتواجدين تحت إمرته، تأكد من حضور الجميع وأمر حرسه بإغلاق الأبواب والخروج وتركهم بمفردهم، ليبدأ معهم بحديثٍ بدا كونه سريًا ليبدأ في حديثه معهم بكل جدية:

-أيها السادةن جميعكم بكل تأكيدٍ على علمٍ بما يحدث في أرض «زاندو» نحن في «بوزان» لا ننتمي إلا لهذا المكان، لقد دفع حكام «زاندو» بنا لهنا لا لشيءٍ إلا لكوننا قساة القلوب شديدي البأس، لا يشغل بالنا من يحكم طالما أننا نتحصل

على أموالنا ونفعل ما نشاء هنا ولا أعتقد أن أي منكم قد يلقى بالًا بكل تلك المتغيرات.

انتظر ليرى ردود رجاله على ما قاله لكن لم يظهر منهم إلا انعدام بالشعور بأي شيءٍ يحدث حولهم فقد عمد قادة «زاندو» من قبل على جعل سجن «بوزان» مقبرة لكل من يدخله، إدارته وشئونه لا ينشغل بها إلا رجال القلعة، فقد كان أغلبهم من المنبوذين أو المطرودين من رحمة «زاندو» ليتفننوا فى إظهار ما لديهم من كرهٍ وظلام ملأ قلوبهم بأشد أنواع التعذيب على سجنائهم حتى يلقوا حتفهم، عاد القائد ليكمل حديثه من جديدٍ لرجاله المخلصين.

- حسنًا، أيها السادة، لندخل في صلب القضية التي اجتمعنا بشأنها اليوم؛ ففي الأيام المقبلة سيأتي إلينا نزلاء ذوو قيمة عالية وأتوقع أن يجزل لنا العطاء نظير جعلهم هنا حتى مماتهم.

لم يبدو على رجاله أي انفعالٍ ليتساءل أحدهم بكل هدوءٍ عن هوية السجناء القادمين إليهم، ليتنهد قائد القلعة قبل أن يلقي بقذيفة من اللهب المشتعل على طاولة الحوار بإخبارهم أن النزيل القادم هو الأمير «ليدلي» وريث عرش الوسط السابق، بدت الدهشة على أنظار الجميع كما بدا التشفى على

وجه بعضهم من كارهي»آل فيرجسون» لكن لم يعلق أحدٌ منهم، قد كانت تعابير وجوههم كافية لمعرفة ما يدور في سرائر أنفسهم ليعاود الرجل حديثه من جديدٍ.

-أيها السادة، المطلوب منا أن نجعلهم بعيدًا عن الأعين مع أناسٍ لا يعرفونهم، لتشددوا الحراسة عليهم وقت العمل في الجبل ولتلقوا بهم في السجون منفردة بعيدًا عن الجميع. فهل لدى أيًا منكم أي اقتراحٍ؟

سارع «أداميوس» بأخذ طرف الحديث ليلقي باقتراحٍ في جعبته قبل أن يسبقه أحد أقرانه بأي حديثٍ آخر.

-سيد «إيفان، لدي اقتراحٌ مناسب، فأنت تعلم أنه منذ مدة ألقينا القبض على «ثلاثة» من المشردين وألقيتهم في حبسٍ انفرادي من الممكن أن نلقي بليدلي ورفقته معهم، فهم في محبسٍ بأسفل البرج الشرقي للقلعة سيكونون في عزلة عن الجميع هناك.

درس «إيفان» اقتراح «أداميوس» سريعًا وأيضًا كان الاقتراح الوحيد من بين كل رجاله الحاضرين ليخبرهم بتقبله لتلك الفكرة مشددًا عليهم بالتكتم على الخبر سامحًا لهم بالانصراف مبقيًا فقط على «أداميوس» محدثًا إياه بعد رحيلهم.

- «أداميوس»، حقًا ما هو موقف هؤلاء الثلاثة الذين تدعي بتشردهم؟ ولما أتيت بهم إلى هنا؟

- قائدي العزيز، ألم تتلقى ثمن تذكرة دخولهم إلى هنا فور وصولهم فلما السؤال؟ لكن يا عزيزي، لا تقلق إنهم مشردون أتى بهم صديقي «برانكو» تاجر الرقيق، أصبحوا حملًا زائدًا على كاهله فأراد التخلص منهم بإلقائهم هنا كما أنه يدفع جيدًا لنا فلا داعٍ للقلق.

تفكر القائد «إيفان» قليلًا قبل أن يحاول رسم الحسم على شخصيته بتحذيره من استقدام مساجين آخرين في الوقت الحالي حتى يستقر الوضع في أرض «زاندو»، ليحيه «أداميوس» بابتسامة صغيرة قبل أن يغادر ويتركه بمفرده.

***

صديقان لدودان أو قائدان متنافسان هذا ما يمكن إطلاقه على الثنائي «أمان» و«أجريوس» قائدا جيوش الملاعين، «أجريوس» الذي ظل لسنواتٍ عديدة يقود جيوش الملاعين ويعد فيهم من أجل تلك الساعة الحاسمة في تاريخ أبناء السيد الأوفياء، بينما «أمان» هو قائد لجيوش من الأوراك قد ظهرت من العدم وقت اقتحام الملاعين لمدينة النور لتسقط

المدينة ومن بعدها سقوط «زاندو» بكاملها.

وقف كلاهما على أسوار قلعة»بلاجا» آخر قلاع الشمال، والتي شهدت موقعة ضارية سقط فيها ملوك «زاندو» السابقين في يوم علت فيه رايات الخيانة خفاقة في سماء «زاندو»، ظل كلاهما يراقبان سرايا وكتائب جيوش الشمال التي تستعد للتحرك في شتي بقاع الشمال بعد أن كلفوا قادة الجيش بالوصول إلى كل المدن والقلاع قابعة على الشمال وحدوده من أجل إحكام سيطرتهم على كل البقاع. سعى «أجريوس» لطرح سؤال شغل باله كثيرًا لكن فترات الحرب السابقة لم تسمح بذلك فرأى أن الأوان قد حان من أجل تلك اللحظة ليطرح سؤالة على «أمان».

-عزيزي»أمان»، لدي سؤال كامن بين طيات نفسي فهلا سمحت لي بطرحة عليك.

نظر إليه «أمان» بودٍ صادق مشيرًا إليه بأن يطرح ما لديه من أسئلة ليعاود «أجريوس» حديثة من جديدٍ.

-لقد نشأت منذ صباي وأنا أتربى على طاعة السيد، أبانا جميعًا مصدر قوتنا وعاطفتنا وموحدنا بكل أجناسنا، حملت بين طيات صدري كل تاريخ أرضنا وحربنا الأولى مع «زاندو»، قررت منذ صباي أن أكون فارسًا، تدرجت وأثبت

المدينة ومن بعدها سقوط «زاندو» بكاملها.

وقف كلاهما على أسوار قلعة»بلاجا» آخر قلاع الشمال، والتي شهدت موقعة ضارية سقط فيها ملوك «زاندو» السابقين في يوم علت فيه رايات الخيانة خفاقة في سماء «زاندو»، ظل كلاهما يراقبان سرايا وكتائب جيوش الشمال التي تستعد للتحرك في شتي بقاع الشمال بعد أن كلفوا قادة الجيش بالوصول إلى كل المدن والقلاع قابعة على الشمال وحدوده من أجل إحكام سيطرتهم على كل البقاع. سعى «أجريوس» لطرح سؤال شغل باله كثيرًا لكن فترات الحرب السابقة لم تسمح بذلك فرأى أن الأوان قد حان من أجل تلك اللحظة ليطرح سؤالة على «أمان».

-عزيزي»أمان»، لدي سؤال كامن بين طيات نفسي فهلا سمحت لي بطرحة عليك.

نظر إليه «أمان» بودٍ صادق مشيرًا إليه بأن يطرح ما لديه من أسئلة ليعاود «أجريوس» حديثة من جديدٍ.

-لقد نشأت منذ صباي وأنا أتربى على طاعة السيد، أبانا جميعًا مصدر قوتنا وعاطفتنا وموحدنا بكل أجناسنا، حملت بين طيات صدري كل تاريخ أرضنا وحربنا الأولى مع «زاندو»، قررت منذ صباي أن أكون فارسًا، تدرجت وأثبت

كفاءتي حتى أصبحت قائدًا لجيوش السيد، لكني رغم كل إيماني به لم أتشرف بلقياه فمعرفتي أنه خالدٌ، كل ما أتلقاه من معلومات كان من حكمائنا، سمعت عن جيوش السيد الخفية وقوتها العظيمة، تمنيت كثيرًا أن ألقاه، لكن نفسي لم ترَ دليلًا قويًا على ذلك حتى ظهرت أنت ورجالك أمام مدينة النور بهذا الجيش الجرار، لقد ظهرت معية السيد معنا فازداد إيماننا بشدة، والآن يا صديقي إن سمحت لنا بأن نكون أصدقاء لقد أصبحت أقضي أكثر الأوقات برفقتك نشرف على جيوش السيد العظيم، فأصبح لي سؤالٌ مُلح بل أسئلة عدة؛ أين كنتم؟ وأين السيد فأنتم الدليل الأقوى على وجوده؟ فهل يمكن أن تجيبني؟

تنهد أمان قليلًا قبل أن يتسلم هو زمام الحوار تلك المرة لم يكن يعلم ماذا سيقول فهو مثل«أجريوس» قد تربى منذ الصغر على حب السيد وطاعته، تدرج وترقى هو الآخر مثله حتى أصبح قائدًا لجيوش الأوراك لكنه كان عليه أن يجب أن يخرج ما في صدره من كلماتٍ؛ هو أيضا لا يعلم ماهية السيد لكنه تربى أن السيد في كل شيءٍ حوله، لم يرَ في صورة واحدة أو واضحة فقد رآه لمراتٍ عديدة يتجسد في أشكالٍ مختلفة، لكنه أيقن أن السيد هو خلاصهم وقائدهم؛ فطبيعة الأوراك لا يحيون إلا في الجبال والكهوف، ظلوا

منبوذين منذ فجر التاريخ لم يسمع بهم إلا الأسلاف الأولى ما قبل الحرب العظمى الأولى بدهورٍ بعيدة، لكنهم وجدوا ضالتهم في اتباع السيد الذي ظهر لهم منقذًا جمعهم من الجبال والأحراش ليقطنوا على شواطئ البحيرة الملعونة كما يسميها أهل «زاندو»، لكنها لهم كانت أرض الخلاص لكن الجبال كانت مساكنهم المفضلة، فأذن لهم السيد بالجبال الشمالية المقاربة من أرض الثلج، كان صبورًا معهم معلمًا لأسلافهم حتى أصبحوا تابعين له، صنعوا الأنفاق والسراديب في باطن الأرض لتصبح مسكنًا لهم بدلًا الجبال في حال حدوث أي أمرٍ طارئ، بعدهم أتى الملاعين كما يدعونهم أهل «زاندو» لكنهم يعدون ممن مستهم رحمة السيد وخلاصه فقد شوهوا جسديًا لكن روحهم أصبحت نقية طاهرة، الجميع اتحد تحت راية السيد في مرة واحدة يتحد فيها كل الأجناس بما فيهم الأوراك في الحرب العظمى الأولى، لكن بعد الحرب عاد الأوراك من جديدٍ لخدمة السيد لبناء أنفسهم من جديد؛ فقد أيقن السيد وقتها أن أبناءه غير مستعدين بعد لتلك الحروب ليقطنوا سراديبهم ودروبهم وكهوفهم المحيطة بالبحيرة المقدسة لهم وباقي الأجناس بقوا في الغابة المجاورة له. وضع السيد قانونه بألا يتخطى أي منهم المكان المخصص للآخر، اختار حكماءه من باقي الأجناس

ليكونوا حلقة وصل بينه وبين أبنائه، توالت الأجيال من أجل اليوم الموعود حتى رأى السيد أن الوقت قد حان، كانت بصيرة السيد صحيحة تلك المرة فها هم الآن يقفون في أرض «زاندو» أسياد على أبنائها، تبادلا الكثير من أطراف الحديث بعيدًا عن الحرب والجيوش للمرة الأولى منذ لقائهما الأول ليصبحا صديقين مقربين للمرة الأولى عبر كل منهم عن مكنونه الداخلى للآخر ليعودا بعدها لمباشرة مهامهم؛ فقد عُهِد إليهم مجلس الحكماء لتأمين حدود أراضيهم الجديدة مرسلين تعزيزات إلى جيوشهم في مملكة الغرب قبل أن يعود المجلس لمدينة النور مقر حكمهم الجديد.

كانت جيوش الملاعين تنتشر في كل أرجاء مملكة الغرب يسقطون مدنها وقلاعها الصغيرة الخاوية من أي مقاومة مستعدين للوصول لميناء اللؤلؤة، فقد قرر القائدان»أراجونيس»و»دوجلاس»على وأد أي بذرةٍ للمقاومة التي قد يقابلونها قبل إخضاعهم للمدينة الأقوى في الغرب بعد سقوط مدينة النسور، تقدم جيشهم بكل هدوءٍ منتظرين وصول المدد الذي وعدوا به من قبل حكمائهم فسيجعلون جيوشهم مناصفة بين الشمال والغرب ليسيطروا على جزءٍ عظيم من ربوع «زاندو» قبل أن يتخذوا خطواتهم التالية.

لكن في ميناء اللؤلؤة كان «بيدرو» قائد المدينة في موقفٍ لا يحسد عليه؛ فقد قطعت عليه السبل من أي عونٍ قد يأتي من أجل نجدتهم، فقد سقط جيش الغرب وقد سقطت مملكتهم و«زاندو» قاطبة، أصبحت مدينته مكتظة بأبناء الغرب الذين أتوا من كل حدبٍ وصوب، فقد فتح المدينة لتصبح ملجأ للجميع، جمع كل من لديه من رجالٍ جند كل شابٍ أو رجلٍ قادرًا على حمل السلاح، لكنه يعلم أن الوضع سيكون شديد الخطورة فمهما كان عددهم ليسوا في عدد وعتاد أو قوة الملاعين، كما يعلم أيضًا أن موارد مدينته لن تكون كافية للصمود مدة طويلة نظرًا للأعداد المتزايدة التي تأوي إليهم، ظل في حيرته وحيدًا يسعى للخروج من هذا المأزق ليجد حاجبه الخاص يخبره بطلب لقائه من قائد قوات القلعة وكذلك القائد «براجوس»، ليسمح لهما بالدخول مستقبلًا إياهم علّه يجد لديهم الجديد خاصة «براجوس» العائد من ساحة الحرب وقد بدا عليه الإجهاد بشكلٍ كبير.

-مرحبًا أيها السادة، حمدًا للآلهة على سلامتك عزيزي«براجوس»، أعلم أنك رأيت الكثير لكن أتمنى أن يكون لديك أخبار جديدة من الممكن أن تساعدنا حتى لو بقدرٍ بسيط .

بدا الاستياء على وجه»براجوس» الذي طاف هو ورجاله أغلب بقاع الغرب ليرى الخراب والذعر يحلان بأهلها في كل مكانٍ، أخبرهم أنه رأى من بلغ به الأسى لينتظر الرضوخ والخنوع على يد الملاعين، ومنهم من قرر الارتحال شرقًا أو جنوبًا نحو مملكتي الوسط والجنوب فمهما ما كان بهم سيكون أهون من السقوط في قبضة الملاعين، ومنهم من ارتحل نحو مدينة اللؤلؤة علّه يجد الملاذ الآمن. لم يكن حديثه يعكس سوى السوء وخيبة الأمل على «بيدرو»، لكنه حاول أن يبث فيهم بعضًا من الأمل ليخبرهم أنه ورجاله قد شنوا بعض الغارات السريعة من الكر والفر على سرايا الملاعين وأحدثوا بهم بعض الخسائر، كما أنه قد انضم معه بعض الشبان والمقاتلين في كل البقاع ليأتوا ليساندوهم في تأمين المدينة، لكن مهما كان من معه فعددهم يكاد يقارب الثلاثمائة رجلٍ، فسعى ليستفسر من بيدرو عن وضع المدينة ليأخذ نفسًا عميقًا ويذرف معه كل ما في جنبات صدره من أسى وقلق، فمع تجنيدهم للعديد من العامة وما أتى به «براجوس» من رجالٍ فلن يتعدوا بضعة آلاف من المقاتلين في أفضل الحالات، كما أن مخزونهم من السلاح والمعدات ليس بالكافي لخوض حرب كبيرة مع مخزونهم من الإمدادات والمؤن؛ فقد أصبحت المدينة مكتظة بالعامة،

لم يعد هناك موضع قدم بشوارعها إلا ونصبوا فيه المخيمات للاجئين إليهم.

صمتوا لبعض الوقت ليحاول «براجوس» إيجاد أمل ولو قليل ليتساءل عن موقف الأسطول البحري للقلعة، فأخذ القائد «أنطوي» زمام الحديث تلك المرة ليخبره أنهم لديهم مائة سفينة ما بين تجارية وحربية مرابطة في الميناء لكن لن يكون لهم أي دورٍ حربي إلا إن اقتحم الملاعين المدينة، فسيكون الحل وقتها هو قصف المدينة بكامل من فيها (المدافع البحيرة) وهو الأمر الكارثي ليتدخل «بيدرو» ويستبعد تلك الفكرة تمامًا ليقول بأسى علينا أن نعد الأسطول ليكون ملاذنا الوحيد للهروب من الجحيم المنتظر، لكن بعد أن تنفد لدينا كل السبل من أجل البقاء على قيد الحياة، ليصمت الجميع بعد حديثه الذي وضعهم على حافة الحقيقة أمام هزيمة قادمة لا محالة.

***

4

إن احتكمنا للعقل والمنطق فستجد السعادة والشغف تطل على محيا كل عروسٍ مقبلة على حفل زفافها خاصةً إن كان حفل الزفاف ملكيًا يليق بأميرة من سلالة الملوك على ملكٍ آخر متوجًا على عرشه، لكن كاترينا لم تكن إلا عروس عابسة فقدت كل شيء؛ أبًا، وأخًا، وحبيبًا، ومُلكًا كان لأسلافها منذ بدء مملكتهم لكنها الآن تحيا كالأموات، ازداد وجهها شحوبًا وعرفت النحافة طريقها لجسدها، أما عقلها فدائمًا ما يكون شاردًا ما بين ماضٍ عظيم، وحاضر مؤلم، ومستقبل مجهول. تعلم أنها وافقت على زواجها من «أتريموس» بكامل إرادتها لكنها أرادت أن تفتدي أحبابًا لها بأن تلقي بنفسها في التهلكة، لم تفارق جناحها طيلة الفترة الماضية عزلت نفسها عن الجميع، حتى محاولات الوزير»كيني» للقائها باءت جميعها بالفشل ظلت شاردة تبكي في صمتٍ إلى أن قطعت إحدى وصيفاتها خلوتها تلك لتخبرها أن «أتريموس» يقف بالخارج يريد لقاءها، لم تجبها «كاترينا» لكنها أشاحت بوجهها رافضة اللقاء، لم تكن تعلم وصيفتها المسكينة ماذا تفعل فإن أخبرت ملكها الجديد بهذا الرفض فربما تكون رأسها هي الثمن فحاولت أن تستجدي سيدتها بقبول هذا اللقاء لكنها لم تجب، ظلت وصيفتها في حالة من الحيرة إلى أن طرق الباب

«أتريموس» بنفسه ودخل عليهما بنفسه ليشير لها بالرحيل لتتنفس الصعداء بعد هروبها من هذا الموقف، لكنها ظلت تدعو في قرارة نفسها لسيدتها بألا يصيبها أي مكروه .

حاولت «كاترينا» أن تخفي دموعها سريعًا وأن تستعيد كبرياءها وشخصيتها القوية لكن قواها الجسدية الخائرة لم تساعدها على هذا سريعًا، بدا على «أتريموس» نظرة حانية صادقة لكنها لم ترها؛ لأنها أشاحت بوجهها عنه لتنظر بعيدًا، اقترب منها بهدوءٍ ليجلس على مقربة منها مناديًا إياها أن توجه ناظريها إليه، لكنها أبت كثيرًا فما كان منه إلا أن اعتدل في جلسته ممسكًا بتلك الباقة من الورد التي لم ترها كاترينا بعد وبدأ بحديثٍ من قلبه تجاهها.

-أعلم ما بكِ يا سيدتي، وأعلم ما يدور بخلدك وصدرك تجاهي من كرهٍ، كما أعلم أنه لولا إنقاذ روح أخيكِ لما قبلتِ الزواج بي أبدًا، لكن بعيدًا عن السياسة وما بها فلقد تمنيت زواجك في وقتٍ ما سبق، خاصةً بعد رحيل زوجتي فلم يحرك سكون قلبي سواكِ.

صمت قليلًا ليرى ردة فعلها لكنها ظلت تنظر للجانب الآخر، بينما جسدها قد بدا عليه السكون والهدوء بعض الشيء فعلم أنها تستمع لكلماته.

-كنت أعلم دائمًا أن فارق العمر بيننا سيكون عائقًا في تلك الزيجة إن تقدمت لخطبتك من والدك، كما أعلم أيضًا أن قلبك مشغول بغيري.

نظرت له للمرة الأولى بحدة ولهفة؛ فسرها هذا لا يعلمه إلا إحدى وصيفاتها ليشير إليها بالهدوء قبل أن يكمل كلامه:

-لقد كنت أختلس النظرات حولك من مسافة بعيدة لاحظت تقربك وتوددك من «أندرو»، لكن كنت سعيدًا لأني أعلم أن تلك الزيجة لم تكن لتتم أبدًا فبقى لدي مجال ولو بسيط . الآن الساحة كاملة لي فمن قبل أمنتك على شقيقك نظير تلك الزيجة، وها أنا أعدك بأن أترك حبيبك السابق على قيد الحياة لكن شريطة أن تنسيه للأبد وإلا أهدرت دماءه هنا أمامك.

أنهى كلامه بحدة وهو يقترب منها قبل أن يسقط باقة الورد في إحدى يديها ويمسك الأخرى مقبلًا إياها وهو ينظر إليها بنظرة تمزج بين الحب والوعيد قبل أن يتركها ويرحل من غرفتها، بينما هي ظلت شاردة بصمتٍ أكبر مما قبل.

أنهى «أتريموس» زيارته السريعة إلى «كاترينا» قبل أن يتوجه سريعًا إلى ديوانه الخاص حيث ينتظره مستشاره «كلاوديو» الذي أصبح في مكانة تتخطى الوزير «كيني»

في مدينة الشمس؛ فهو يمتلك من الدهاء الكثير مما جعل «أتريموس» يعتمد عليه وبشدة في تلك الفترة بعد أن كان عونه الأقوى في طريقة نحو العرش، بدا «كلاوديو» يحوي في جعبته الجديد من الأخبار، بينما الوزير كيني قد بدا عليه الكبر فجأة مع تلك التغيرات السريعة التي جدت على أحوال مدينة «الشمس». اعتذر «أتريموس» على تأخره عليهما ليسألهما عن الجديد لديهما في اجتماع اليوم، ليبدأ الوزير «كيني» بالحديث:

-سيدي، لقد أنهيت ما أمرتني به من طمأنة لكافة التجار والنبلاء في كل أرجاء المدينة كما أني أخبرتهم بقرارك الملكي بتقليل الضرائب، كما تحدثت معهم حول حرصك على النهوض بالمستوى التجاري لبلادنا، بعضهم شكا مما يحدث في الغرب فهي المعبر الأول لهم للوصول لأراضي القديسين حيث مواردهم النفيسة، فأخبرتهم بالتحلي بالصبر قريبًا حتى تستقر الأوضاع هناك، وأكدت عليهم أنه قريبًا ستعود طرق التجارة مع كل من الشرق والجنوب فور استقرار الأمور. أيضا يا سيدي ...

أشار إليه «أتريموس» بالتوقف فلم يكن يشغل باله يومًا بكل تلك الأمور؛ فهو منذ صباه تربى على الحرب والقتال،

شكر الوزير كيني على كل ما يقوم به من جهودٍ مؤكدًا له ثقته الكبيرة به على اتخاذ القرارات المناسبة معطيًا إياه كل الصلاحيات وأن يتشاور في أي شيءٍ مع مستشاره «كلاوديو». تفهم الوزير الأمر فهو يعلم طباع «أتريموس» منذ قديم عهده فقد عملا معًا لسنواتٍ عديدة في ديوان الملك «شيرار» ويعلم جيدًا أن «أتريموس» لا يفقه في تلك الأمور مثقال ذرةٍ من عقل، ليستأذن منهما مغادرًا الديوان الملكي ليتركهما معًا. انتظر «أتريموس» حتى تأكد من رحيله ليتوجه بنظرة نحو «كلاوديو» متسائلًا عما لديه من جديد ليبدو على «أتريموس» عدم الارتياح قبل أن يبدأ بالحديث.

-إن الأوضاع ليست جيدة»أتريموس» وعلينا أن نستغل ذلك في أسرع وقتٍ.

بدا القلق والارتياب على محيا الملك الجديد على عرشه؛ فهو لا يريد أي مشاكل في بداية عهده مما دفعه لحث «كلاوديو» على الحديث سريعًا ليهدئه «كلاوديو» مشيرًا لأن السوء ليس في أرض الوسط أو في مدينة «الشمس» بل إن السوء يحيط بباقي بقاع «زاندو»؛ فالغرب قد دُمر تمامًا على يد الملاعين ولم يبقَ إلا ميناء اللؤلؤة ويبدو أنه في الطريق، كما أن ما فعله «كيجان» و»تيري» بالشرق والجنوب

أثار حفيظة الجميع؛ فالمذابح التي ارتكبت ليست بالهينة، عاد الارتياح إلى «أتريموس» ليخبر كلاوديو بأن لا يشغل باله كثيرًا بما يحدث خارج حدود ملكهم، لكن «كلاوديو» عاد ليخبره «أن «زاندو» كانت منذ قديم الأزل وحدة واحدة، وأن المستجدات التي حلت على أرض «زاندو» يجب أن يصحبها الهدوء والاستقرار، عليهم أن يكونوا وحدة واحدة كسابقيهم، فعليه أن يتواصل مع أقرانه من أجل الحفاظ على ملكهم الحديث فإن أرادوا بناء دولة فتية فعليهم إحكام السيطرة على زعمائها وكسب ود وعاطفة عامتها، تأمل «أتريموس» في حديث «كلاوديو» ليجده عين الصواب قبل أن يسأله عن أنسب الحلول، فتنهد «كلاوديو» قبل أن يجيب:

-أولًا: عليك أن تسكب ود أهل مدينة «الشمس» وهذا ما يقوم به «كيني» حاليًا، ثانيًا: أهل الغرب فلقد وصلتني أخبار من رجالنا أن منهم لاجئين كثر قد عبروا نهر الدانون نحو أرض الوسط، فيجب أن تظهر لهم كبطلٍ منقذ لنحدد لهم أماكن نستقبلهم فيها، علينا أن نجعلهم تحت أعيننا نأويهم حتى لا يثيروا أي نوعٍ من الفوضى حتى يؤمنوا بأنك مخلصهم، وقتها يكونون عونك الأول أمام الجميع. أما «كيجان» و«تيرى» فعندما يأتيان لحفل «زفافك» فسيكون

لنا معهما حديث آخر.

لم يعلق «أتريموس» على أي من اقتراحات «كلاوديو» ليفوضه بفعل ما يراه صوابًا من أجل تثبيت أركان ملكه على مدينة «الشمس».

***

أن تتواجد منطقة جبلية قاسية الطباع فلتعلم أن طباع البيئة المحيطة بك ستنعكس عليك وبشدة، وهذا هو حال أهل الشرق قساة القلوب غليظو الطباع نسبة لأرضهم التي نبتوا فيها، فهم ليسوا أهل زراعة ومروج خضراء كأهل الجنوب، وليسوا أهل فخر بردعهم سابقًا للملاعين كأبناء الشمال، كما أنهم ليسوا أهل تجارة وفيرة مثل أهل الغرب، أو أناس يمتازون بمكانة أهل الوسط بما لديهم من قيمة وحكمة؛ فهم أهل صيد في بحر الشرق العظيم القاسية طباعه مثل أرضهم الجبلية القاسية، حاولوا الوصول للمجهول لكنهم صدموا بأرض قاحلة لا تختلف عن بلادهم الكثير، لكنهم في كل الأحوال كانوا ينعمون بمملكة هادئة كباقي ممالك الوسط، لكن الآن شاع بين أهلها الفزع والذعر لما يفعله رجال «كيجان» ملكهم الجديد بهم؛ أصبح العامة في مدينة «سوران» في حالة من الضعف الشديد بعدما

روت الدماء كل بقعة في المدينة، فبعد أن كانت مدينتهم تلقب بالمدينة الحمراء نظرًا لاتخاذهم للون الأحمر القاني ليزينوا به أسوار قصورها وقلاعها فقد أصبحت أرضها هي الأخرى تكتسي بهذا اللون لكن تلك المرة بدماء أبنائها، بينما «كيجان» كان لا يبالي بكل هذا؛ فقد حقق ما يريد بأن أرهب الجميع في الأيام الماضية ليثبت أركان عرشه بحد السيف ليجلس على عرش مدينته مختالًا في ديوانه مجتمعًا بأعوانه المخلصين .

-أعزائي، اليوم نحن نبدأ عهدًا جديدًا، عهد يعلو فيه شأننا، أعلم أننا بذلنا الكثير من أجل هذا لكن علينا أن لا نعود للخلف خطوة واحدة بل علينا أن نبني أكثر للأمام، في الأيام المقبلة سأغادر إلى مدينة الشمس حيث حليفنا الأهم «أتريموس» وعقد قرانه؛ لذا فسأترك المملكة في أيديكم الأمينة.

جلس رجاله منصتين لحديثه بكل شغفٍ بعد أن تحولوا من رجال حربٍ وقادة عسكرين لرجال دولة من الطراز الأول بدون أي خبرةٍ سابقة منتظرين توزيع الغنائم عليهم من ملكهم الجديد، ليبدأ «كيجان» بترتيب» شئون مملكته بإعلانه لابن عمومته «بيرس» كقائد للجيش بدلًا منه، كما

أعلن صديقه المقرب «ستيوارت» كوزير أول للمملكة، واضعًا من بعده مساعده السابق في قيادة الجيش «ماركوس» كوزير للخزانة والضرائب على البلاد، واختتم تلك الغنائم بإعلانه لشريكهم الأخير في تلك المرحلة «فريدرك» كمستشارٍ ملكي أول نظرًا لما يمتلكه من حنكة وذكاء كبير.

لم يكن كلا منهم راضيًا بمنصبه لكنهم احتفظوا بأمنياتهم لأنفسهم فكل منهم كان يمني نفسه بمنصب أحد أقرانه لكن توزيع الغنائم كان من شأن «كيجان» صاحب المكانة الأعلى بينهم والذي علم مسبقًا بنوايا نفوسهم، لكنه بعد تقسيم الغنائم اجتمع بهم فرادى كلًا على حدى ليعيد على أسماعهم كلمات موحدة وإن اختلفت صيغتها؛ فقد ألقى على مسامع كل منهم أنه يراه الشخص الأكثر قربًا منه واضعًا فيه كل ثقته في تلك المهمة الجديدة، فأخبر «بيرس» أنه لا يريد أن يتحكم أحد غيرهما في الجيش ليضمن ولاء الجميع لهما ولعائلتهما فجعله على رأس تلك القوة الكبيرة والتي لا يجب أن تخرج من بين يديه، بينما بث في نفس «ستيوارت» ما يجعله يشعر بالفخر فهو يعتبره الساعد الأيمن له وأنه يحتاج لرجلٍ قوي مثله لإحكام قبضته على الديوان الملكي الجديد وبناء منظومة قوية، أما «ماركوس» فقد أثقل على مسامعه أهمية المال والخزانة في الفترة الحالية وأنه لم يكن يأمن

لأحدٍ آخر على كل موارد مملكتهم، خاصةً أنهم سيتعين عليهم إعادة بناء ما تم تدميره في الفترة المنقضية وإعادة بناء جيش ومملكة قوية سيتطلب الأمر وجود رجل قوي يقف خلفه يمكنه تدبير كل المطالب المرادة، لينتهي به الأمر مع «فريدريك» حيث كال المديح له ولذكائه الفز الذي يجعله أكثر الرجال أهمية ليكون هو عين الملك وعقله المدبر وهذا ما يمتاز به فريدريك بالفعل.

في النهاية تعامل «كيجان» بحكمة كبيرة مع أعوانه عكس ما قام به مع أهل الشرق؛ ليكسب ودهم وولاءهم مقنعًا كل منهم بأنه الرجل الأهم لديه والرجل الثاني فى المملكة، بينما كان يراهم تهديدًا بعيد الأمد على عرشه إن لم يضعهم جميعًا تحت أنظاره ويكون لديه كافة تفاصيل عملهم، ليطلب بعد رحيلهم لقاء حارسه الشخصي «روديجار» والذي جعله قائدًا لحرس الملك الخاص ليطلب منه بمنتهى الحسم أن يزرع رجاله المخلصين لمراقبتهم، وأن يأتي إليه بكل كبيرة وصغيرة يخططون لها بدون أن يشعروا.

***

في مدينة الجنوب الخضراء لم يختلف الوضع كثيرًا عن الشرق إلا أن «تيري» كان لديه أعوان كثر ساعدوه على

الوصول لعرشه بشكلٍ أسرع، أباد كل فردٍ ينتهي اسمه بلقب «آل روبيرتسون» أزال من طريقه كل مَن معهم مِن النبلاء أو ذوو شأن عالٍ، ترك العامة في أمان ليخبرهم أن تلك ليست خصومة له معهم، فتح خزائن المملكة الأكثر حظوة بالأموال من أقرانها في الممالك الأخرى ليغدق على شعبه الذي تلهف لهذا الأمر، كسب ود أقرانه ليخضع مملكته بالدماء والأموال ليقبع على عرش الجنوب، ساعده على ذلك إخوته فلم يكن «تيري» إلا أخًا أكبر لسبعة أخوة آخرين، عمد سابقًا لجعلهم جميعًا في مناصب قيادية في كل مفاصل مملكتهم ليتمكن سريعًا من إحكام قبضته الدامية.

بينما هو في بهو الحكم الملكي المطل على حدائق خلابة كما هي مملكة الجنوب كلها ظل يتأمل ما وصل إليه من جاهٍ الآن، شرد متأملًا مستقبلًا باهرًا وسلالة جديدة من أبنائه تجلس على العرش من بعده، ليعلن نفسه «تيري» الأول والمؤسس لمملكته الجديدة، انتبه لأخيه الأصغر منه مباشرة وساعده الأيمن «بافيان» يقتحم تلك الخلوة مقتربًا منه ليشير إليه بالتقدم سائلًا إياه إن كان لديه أي أخبارٍ جديدة.

- نعم، أخي الملك، لدي خبرٌ قد يكون كرة رابحة من أجل مستقبلنا في «زاندو»، فقد أخبرني بعض من رجالي أن

هناك سرية عسكرية قد أتت من مدينة الشمس متجهة نحو»بوزان» محملين بسجناء غير تقليدين.

- ماذا تعني بغير تقليدين يا «بافيان»؟

- أعني أنهم سجناء من نسلٍ ملكي، فيقال أن أحد السجناء هو»ليدلي» سليل الملك «شيرار»، وأن «أتريموس» قد ألقى به في السجن للتخلص منه نظير زواجه من أخته كاترينا.

علت ابتسامة صفراء محيا «تيري» وهو يستمع لهذا الخبر الذي قد يكون شوكة عظيمة في حلق «أتريموس»، يمكنه بها الضغط عليه في وقت الحاجة إن نشب بينهما أي خلافٍ أو بدا من «أتريموس» أي نوعٍ من أنواع الخيانة تجاهه، طلب من أخيه أن يتأكد من الخبر وأن يراسل رجالهم في «بوزان» لمعرفة مدى مصداقيته، فحتى وإن كانت «بوزان» تخضع لطابع خاص وسيادة مستقلة تابعة لمجلس الاتحاد الأعلى لكنها في كل الأحوال تقع جغرافيًا داخل أرض الجنوب ليعد نفسه جيدًا قبل الذهاب لحفل زفاف «أتريموس» المنتظر.

***

5

بدا كل شيءٍ في أفضل حالٍ؛ استعدت السفينة الملكية بكل وسائل الراحة والرفاهية قبل إبحارها في بحر الثلج العظيم، لتستعد الملكة «إلينا» لخوض رحلتها صوب «أرض السحرة» تميمة حظ أهل الثلج، أشرف الوزير»دوراتي» بنفسه على تلك المراسم الملكية لتوديع ملكتهم وعمها المستشار الأول «جورج» وحاشيتها من الحرس الملكي ليقف في توديعها كبار المملكة من قادتها من كل الأجناس متمنين لها رحلة موفقة، لينتظروا معها قرار السحرة الأخير بشأن تلك الحرب العظمى الجديدة، وهل أتى وقت النبوءة الموعودة ليثبتوا أحقيتهم بأرض «زاندو» أم أنهم سيبقون لدهور أخرى حتى يحين الوقت الموعود؟

حيتهم الملكة «إلينا» من فوق سطح سفينتها مشيرة لهم قبل أن تودعهم بكلماتٍ رقيقة طالبة منهم الاستعداد بكل قوة من أجل مستقبل مبهر لهم جميعًا، إن كانت تلك هي نبوءتهم المنشودة فليعدوا لها العدة، وإن لم تكن كذلك فعليهم أن يأمنوا مملكتهم أمام أي عدوان قد يصيبهم، حياها رجالها الأوفياء وأخبروها بأنهم سيتفانون من أجل مملكتهم بكل جهدٍ وشرفٍ رافعين سيوفهم للسماء ليقسموا

باسم مملكتهم وملكتهم على الوفاء والعهد.

بدأ الرجال في التجديف وأعطى ربان السفينة الإشارة لرجاله لرفع شراعها عاليًا ليغتنموا هبوب الريح في تلك الرحلة، ليتنشر الرجل في خلية عملٍ منظمة بكل دقة؛ فهناك عملاقان كان يدفعان مجدافين عملاقين في مؤخرة السفينة ليكونا قوة الدفع الكبرى لها، وهناك أقزام اعتلوا قمة ساري السفينة الخشبي ليرشدوهم عن الطريق أمامهم، بينما سعى باقي الرجال في شد الشراع عاليًا وربط أحباله جيدًا، بينما وقف الربان على عجلة القيادة أمامه ليوجه السفينة صوب الشمال الشرقي حيث أرض السحرة.

مع بداية الرحيل توجهت الملكة «إلينا» إلى مقصورتها الملكية ومعها عمها ومستشارها الخاص «جورج»، لتنزل عنها عباءتها الملكية وتتفحص عمها قبل أن تبادره متسائلة عما يدور بخلده قبل أن يشير لها طالبًا منها منحه بعض الثواني للراحة قبل أن يجيبها.

- الآن يا بنيتي نحن في مرحلة اللا عودة، فإن اكتملت أركان النبوءة سيكون لزامًا عليكِ أن تقودي شعبك نحو مجدهم المنشود، لكن لتعلمي يا بنيتي أن النبوءة ما هي إلا دلالات لعودتنا من جديدٍ أما العودة فغير معلوم مصيرها.

- ماذا تقصد يا عمي ؟

- أقصد ما تبادر لذهنك يا بنيتي، فالنصر ليس محتومًا؛ فأرض الواقع غير عالم الأحلام، ستخوضين حروبًا كثيرة، فلن تحاربي الملاعين فقط بل ستحاربي أهل «زاندو» حتى يتقبلوا فكرة عودتنا، لن يكون الأمر هينًا لقد تربى أبناؤنا على القتال منذ نعومة أظافرهم لكنهم لم يخوضوا حروبًا بعد إن ساحة القتال بها يتغير كل شيءٍ.

فهمت «إلينا» ما يرمي إليه عمها من حديثه حاولت أن تتبسم في وجهه لتخفي عنه كل الهواجس التي تدور في خلدها؛ فهو مصيبٌ في حديثه فهم في مسيرتهم نحو المجهول الآن.

***

في سجن «بوزان» كان الجميع على أهبة الاستعداد مع حلول الساعات الأخيرة من النهار واقتراب الشمس من المغيب، حتى أن المساجين قد لاحظوا حدوث شيءٍ غريب ؛ فقد عادوا اليوم مبكرًا نحو زنازينهم لتتلاعب الشياطين بعقولهم؛ أهم مقبلون على شيءٍ جديد؟ أو حدث جلل قد ينقذ حياتهم بالهروب من «بوزان»؟ أم أنهم سيكونون على شفا حفرة جديدة من موتهم؟ وفي كلا الحالتين سينجون

من جحيم هذا السجن اللعين. اقتربت السرية العسكرية التي تحوي بينها «ليدلي» مكبلًا من أسوار القلعة ليستقبلهم أحد ضباطها بابتسامة ماكرة، ليقودهم سريعًا صوب قائد القلعة «إيفان» الذي انتظرهم وهو بكامل حلته في ديوانه الخاص برفقته بعض من كبار رجاله، ليدخل عليهم قائد تلك السرية وخلفه خمس من رجاله محملين بصناديق مليئة بالهدايا الثمينة ليضعها أمامهم، مسلمًا «إيفان» رسالة مختومة بالختم الملكي ليقرأ فحواها حيث طلب منه أن يضع «ليدلي» في غياهب السجن دون أن يظهر أو يعلم عنه أحدٌ حتى يأتيه قرار آخر من قبل الملك «أتريموس» بشأن مستقبله واعدين إياه بحمولة أخرى من الهدايا في القريب العاجل. أنهى قراءته للرسالة ليضعها أمامه قبل أن يقوم بنفسه بفض ما تحويه تلك الصناديق لتبرق أعينهم جميعًا من تلك الثروة التي قد وهبت لهم قبل أن ترتسم ابتسامة صدرت من أعماق قلبه على محياه، ليعيد ترحيبه بحفاوةٍ شديدة بقائد تلك السرية واعدًا إياه بتنفيذ كل ما يطلبه الملك «أتريموس»، ليتقدم معهم نحو ساحة القلعة حيث وقفت العربة التي كُبل بها الأمير «ليدلي» ليقوموا بفتحها ويجذبوه منها مكبلًا، لكنه تماسك أمامهم ممشوقًا في قوامه رافعًا رأسه للأعلى فحتى وإن كان أسيرًا سيظل هو سليل

الملوك بينهم، حاول الجنود جذبه بقوةٍ لكن نظرة قوية منه حفظت هيبته ومكانته أمام الجميع ليبعدهم عنه ويتقدم هو بكامل كبريائه ليقترب منه «إيفان» مبتسمًا بسخرية.

-مرحبًا سيد «ليدلي»، إن «بوازان» على مدار تاريخها استقبلت العديد من الملوك والأمراء في زيارات شرفية إلى هنا لكن اليوم هو حدث تاريخى بوجودك هنا كسجينٍ، لكن للأسف لن نستطيع تدوين هذا في سجلاتنا؛ فأنت هنا سجين عادي مثل أي سجينٍ أتى إلى هنا حتى ينساه التاريخ وتتعفن جثته تحت أرض «بوزان»، فأتمنى أن تكون إقامتك هنا تليق بمصيرك المحتوم فهنا ستبقى حتى تفنى.

ضحك رجال «إيفان» بسخرية، بينما رمقة «ليدلي» بنظرة احتقارٍ قبل أن يبصق تحت قدميه ليعلمه أن هذا هو موضعه هو وحديثه، صمت الجميع أمام جرأة وعزة «ليدلي» ليشطاط غضب إيفان الذي ضربه بسياطه على جبينه لتعود الدماء من تلك الندبة الحديثة في جبينه، فلم يزد الأمر ليدلي إلا كبرياء ليبصق تلك المرة في وجهه مباشرة، بينما رجلا ليدلي «أندرو» و«ديجو» قد ثارا بغضبٍ ليحاولا مساعدة سيدهم لكن الضربات انهالت عليهم في كل موضعٍ في جسدهما وهما مكبلان أيضًا.

بينما «إيفان» أيقن أن حديثه هنا لن يجدي نفعًا بل سيجعله يخسر من هيبته الزائفة أمام رجاله ليصيح ب»أداميوس» ليسحبهم نحو زنازينهم ليسحبهم خلفه كالبعير ويقودهم إلى محبسهم حيث قبع هناك ثلاثة رجال أخرون بينهم أمير آخر لتكون تلك الزنزانة هي محبس الأمراء، لكن أحدهم هو أمير في بلاد أخرى أما هنا فهو شريد في ظلال «زاندو» يبحث عن نبوءة منشودة، ظل «أشوري» شارد الذهن ظنًا أن أملهم قد ضاع بوجوده هنا في هذا المحبس؛ فقد غادر أرضه هو وصديقه «أنتيكوس» كالأبطال محملين بأحلام أبناء «المنجالا» لكي يحققوا نبوءتهم الموعودة لكنهم الآن في محبسهم منبوذين بعيدًا عن الجميع، بقى بداخله شيءٌ من اليقين والإيمان بطقوسهم وأعرافهم ليعلم أن أرواح القدماء معهم الآن في رحلتهم المقدسة تلك من أجل تحقيق الحُلم المنشود، عاد من شروده مع سماعهم لوقع أقدام الجنود في الممر الخارجي مقتربين من محبسهم ليتوجه «أنتيكوس» سريعًا صوب الباب علّه يرمق أي شيءٍ بالخارج من تلك النافذة الصغيرة، لكنه توقف عندما سمع أصوات الأقفال بالخارج تُفتح لتعلن قدوم أمر جلل لهما فلم يسبق من قبل أن فُتح عليهما بابهما إلا إن كانا في طريقهما للعمل في الجبال.

اندفع ثلاثة من الجنود فور فتح الباب لداخل المحبس ليدفعوا ساكنيها الثلاث صوب الحائط قبل أن يدخل بعدهم «أداميوس» ليتفقد المكان قبل يشير لباقي رجاله للدفع بالنزلاء الجدد، ليلاحظ أبناء «المنجالا» أن محبسهما سيزداد ازدحامًا ليجدا أمامهما ثلاثة رجال أقوياء أشداء يبدو على محياهم أنهم كانوا فرسانًا في يومٍ ما قد مضى، ليبدأ الحراس بفك قيودهم قبل أن يدفعوهم صوب الحائط الآخر، ليقف «أداميوس» في الوسط بين كلا الفريقين يخطب فيهم:

-أيها السادة كنا نتمنى أن نضع كل فردٍ منكم في محبسٍ منفرد لكن للأسف لدينا الكثير من النزلاء؛ فإيجاد ست حجراتٍ لكم سيكون أمرًا مرهقًا لنا؛ لذا فلتسعوا جميعًا على أن تكونوا في أفضل حالٍ هنا حتى تعرف أرواحكم طريقها العالم الآخر، ولا أريد أن أسمع عن حدوث مشاكل هنا وإلا عقابي لكم سيكون شديدًا.

أنهى «أداميوس» حديثه ليشير لرجاله بأن يصطحبوا «أشوري» معه ليثور «أنتيكوس» محاولًا منعهم عنه، لكنهم انهالوا عليه بالضرب ليرمق ليدلي ورجاله هذا الموقف قبل أن يرحل الحراس ويقبعوا في أماكنهم ليرفض «ليدلي» أي

حديثٍ مع أحدٍ مشيرًا إليهم بالتزام الأمر، بينما «ميلاني» حاول مساعدة «أنتيكوس» على النهوض ليستمر في ركل باب محبسهم مرات متتالية ليستمر الأمر بعض الوقت قبل أن يعود «أشوري» هو الآخر بعد أن كيلت له الضربات ليلقى بجسده أرضًا صامتًا رافضًا الحديث هو الآخر، فقط ظل يرمق «ليدلي» بوهنٍ وضعفٍ حتى سكن جسمه بهدوءٍ لنوم عميق .

***

توافدت سرايا الاستطلاع صوْب ميناء اللؤلؤة سريعًا لتأتي كل التقارير موحدة لتؤكد «لبيدرو» شيئًا واحدًا أنهم أمام أبواب الجحيم؛ فكل الطرق المؤدية لميناء اللؤلؤة مكتظة بجيوش الملاعين التي تسيطر على كل ما أمامها من أراضٍ، يحرقون كل القرى والمدن الصغيرة التي يستولون عليها حتى وإن كانت خاوية وإن كان بها بعض من قاطنيها يهينونهم ويسبونهم كالعبيد لديهم.

أيقن «بيدرو» ورجاله أن ما كانوا يخشونه أصبح على الأبواب، علموا مسبقًا أن الملاعين فقط يأجلون اللحظة الحاسمة من أجل الهجوم عليهم، لكنهم الآن في طريقهم لوضعهم تحت طائلة الحصار هذا إن كانوا رحماء بهم، أما

مصيرهم المحتوم فلن يتغير كثيرًا عن ما حدث لأهل مدينة النسور، لكنه عزم على ألا يستسلم فلقد أقسم من قبل أمام الملك ريفيرا الراحل على أن يصون ميناء اللؤلؤة وألا يتركه إلا بعد أن تكون دماؤه قد روت أرضها.

خرج سريعًا من شروده ليحاول أن يبدو متماسكًا أمام رجاله ليطلب من «أنطوي» أن يشرح لهم موقف رجاله وتحصينات المدينة، ليبدأ الأخير في إعطائه تقريرًا مسبقًا، فقد نجح في تجنيد ما يقارب الألف رجلٍ كرماةٍ منتشرين فوق أسوار القلعة، أيضًا أخبره أن القلعة بها ما يقارب الخمسون مقلاعًا ومنجنيقًا قد جهزهم ونشرهم في عدة مواقع ليكونوا جاهزين للاستعمال، أما عن وضع باقي الجنود فلديه ما يقارب الثلاثة آلاف رجلٍ محملين بالسلاح من الجنود ومن جندهم من العامة ممن يستطيعون حمل السلاح ما بين مشاة وفرسان، أيضًا أخبره أنه قد حصن أسوار القلعة بقدورٍ من الزيت المغلي والكتل الملتهبة ليستخدموها في إيقاف هجوم الملاعين. بدأ يشرح على الخريطة أمامه نقاط التحصين وانتشار القوات استمع «بيدرو» باهتمامٍ بالغ وهو يعلم أن كل هذا لن يوقف نهايتهم ولكنه قد يطيل في أعمارهم لبعض الوقت ليس إلا، أما «براجوس» فقد بدأ يدلي برأيه في تقوية تلك التحصينات

وسبل الدفاع للجدار الثاني للقلعة أمام الملاعين بأفضل سبيلٍ ممكن، لكن «بيدرو» أراد أن يطمئن بأي قدرٍ هم قادرون على البقاء على قيد الحياة ليوجه سؤالًا لأمين الخزانة والتموين في ميناء اللؤلؤة السيد «كلارك» طالبًا أن يعرف منه كم من الوقت يمكنهم الصمود في الحصار، لينبري «كلارك» للمشاركة في الحديث لأول مرة:

-إننا لسنا في أفضل حالٍ عزيزي «بيدرو»، فلقد كان قاطنو الميناء في حدود الثمانين ألف فردٍ لكن الآن مع نزوح العديد من أبناء الغرب إلى هنا فإن الأعداد تقارب الخمسمائة ألف فردٍ من العامة والمقاتلين معًا، لقد كان لنا مخزون كبير يكفي لشهورٍ عديدة ولكننا دفعنا بجزءٍ من مخزوننا إلى جيش المملكة في حربهم، أما مع هذا العدد الهائل فأعتقد أن ما لدينا لن يزيد عن حدود الشهرين من الصمود .

صمت «بيدرو» وباقي الرجال موقنين المأساة ليعلموا أنهم إن نجوا خطر الموت من الملاعين فإنهم سيكونون على موعدٍ مع الموت من الجوع إن طال الحصار، ليقرر «بيدرو» أن يفرض «كلارك» وصاية صارمة على الأسواق ليمنعوا البيع بأسعارٍ عالية أو احتكار الأسواق، عليهم أن يبقوا المخزون الرسمي للقلعة حتى النهاية عندما ينفد مخزون

العامة من الأسواق سيتولون هم توزيع المؤن، لكن على كلارك أن يعطيهم حد الكفاف ما يبقيهم على قيد الحياة، هنا طالب «براجوس» مجددًا أن يدلي برأي له ليعطيه «بيدرو» الإذن بالحديث:

- سيد «بيدرو»، لا أرى أن نقع في نفس الفخ الذي وقع فيه أخواننا من قبلٍ في مدينة النسور، علينا ألا نبقى للدفاع بل علينا أن نهاجم بشكلٍ مباغت، لا أقصد أن نشن عليهم حربًا فلا يوجد أي تكافؤ في الأمر، لكن اسمح لي أن أشن عليهم هجماتٍ مع بعض من الرجال لندمر بعضًا من معداتهم.

سارع «بيدرو» ليرفض تلك الفكرة مؤكدًا أنهم في حاجة لكل مقاتل لديهم، وإن مثل تلك الأفعال قد تأتي بنتائج سلبية، فخططتهم الآن الصمود أمام الحصار لأطول وقتٍ ممكن فأسوار الميناء قوية وشاهقة الارتفاع قد تصمد لوقتٍ ما، بدا الاستياء على «براجوس» لكنه لم يعترض فهو يعلم أن ما اقترحه من البداية هو درب من الجنون بل سعي سريع للانتحار هو ورجاله، ليوقن هؤلاء الرجال أنهم أمام الموت ولكن عليهم أن يكسبوا بعض الأيام في حياتهم وأن يموتوا وهم رافعو رؤوسهم من أجل وطنهم.

***

كان جيش الملاعين يتقدم ببطءٍ شديد، فقد كان كل من «دوغلاس»و»أراجونيس» يتبعون ما لديهم من تعليماتٍ قد وصلتهم بانتظارهم للتعزيزات القادمة إليهم قبل اقتحامهم لميناء اللؤلؤة، كما أنهم كانوا يستغلون تلك الأيام التي تمر عليهم برتابة شديدة وهم يقومون بمداواة ما لديهم من جرحى وإحكام قبضتهم على كل البقاع حول الميناء ليقطعوا كل الطرق المؤدية إليه، ظل كلاهما يراجع ما استقرا عليه من خطة للهجوم على ضوء معلومات الاستطلاع لديهم؛ فالميناء بأكمله محاط بتحصينين متتاليين الأول هو سور دفاعي متقدم بارتفاعٍ شاهق يليه على بعد عدة أمتار سور دفاعي آخر بارتفاع أعلى بقليل، في الداخل يوجد المدينة بأكملها والميناء الحربي والتجاري لمملكة الغرب بأسرها، السور يحيط المدينة بأكملها حتى يصل إلى المياه، أما الميناء فقد انتشرت به سفن حربية وتجارية عديدة السفن الحربية وجهت مدافعها نحو أسوار المدينة وخارجها ليصدوا أي هجومٍ محتمل من تلك الثغرة؛ لذا فعليهم أن يدرسوا جيدًا خطتهم قبل الهجوم على الميناء، عليهم أن يقتحموا السور الدفاعي الأول أو يهدموه قبل اشتباك قوتهم مع المدافعين في القلعة؛ لذا طلب «دوجلاس» أن ترتكز كل وحدات المنجنيق والمقاليع لديهم على مسافة كافية لضرب

السور الأول بشكلٍ متواصل بدون أي توقف حتى يتهدم أو يحدثوا به ثغراتٍ وعلى الرجال أن ينتشروا على مرمى البصر حول أسوار الميناء حتى يمنعوا أي متسلل بالخروج أو الدخول منها وإليها.

أيضًا نشروا قواتهم في الصفوف الأخيرة لتأمين كافة الممرات والطرقات المؤدية إليهم وانتظار قدوم باقي القوات التي تعززهم، على جانب آخر قاموا بنشر عدة سرايا من رجالهم لكل القرى والمدن المجاورة لجلب أي مؤن يجدوها استعدادًا للحصار الذي سيضربونه حول مدينة اللؤلؤة، فما سيحدد مدى انتهاء تلك المهمة هو مدى صمود الجدار الدفاعي الأول أمام قصفهم ليبقى أمامهم سلاح إرهابهم الأكبر بإشعال النيران في كل مكانٍ حولهم حتى يرهبوا المدافعين عن مدينتهم بعددهم الكبير.

***

لم تخمد تلك الأبخرة للحظة واحدة في خيمة كبير العرافين فلم يتوانَ الرجل عن متابعة الأحداث التي تدور في أرض «زاندو»، جلس الرجل بوقارٍ شديد يرتل ترانيمه مستحضرًا أرواح القدماء وكائنات الكون الحامية لهم من أجل مساعدته، بينما أمامه جلس زعيم قبائل «المنجالا» بكل

ترقب يدعو لابنه أن يوفق في مهمته وأن يعود لهم سالمًا فهو يخشى على ولده وأيضًا يخشى أن تهتز صورته أمام قبائل الغجر؛ فقد أصبح الفيصل أمامه الآن أن يعود ابنه بالموعود الذي ذكر في النبوءة العظيمة التي آمن بها أبناء المنجالا جيلًا بعد جيل.

ظل هكذا بعض الوقت حتى تعالى صوت كبير العرافين وهو يؤدي طقوسه؛ تخرج الصيحات من بين شفتيه ليرى الزعيم بعينيه الأبخرة تتصاعد جميعها لأعلى الخيمة لكنها تعود سريعًا لتنفذ جميعها من خلال جسده وكأنها تخترقه وبشدة لينتفض جسده بقوة كبيرة قبل أن تسكن تلك الأتربة ويسكن جسد كبير العرافين أرضًا ساجدًا لوقتٍ قليل، ليشير بيده بأن الأمر قد تم بنجاح ليهدأ زعيم المنجالا قبل أن يرتشف كبير العرافين بعض الجرعات من المياه التي وضع عليها بعض القطرات من محلول خاص في قنينة صغيرة بجواره ليلتقط أنفاسه قبل أن يعتدل في مجلسه ليبدأ في الحديث.

-لقد تم اللقاء سيد «إيكابي»، لكن ننتظر أن ينهي أبناؤنا مهمتهم الآن، علينا أن ندعو لهم كثيرًا فالأهم من اللقاء هو قدرتهم على إقناع الموعود بالنبوءة وأن يأتوا به إلى هنا.

ابتسم «إيكابي» وهو يلتقط أنفاسه براحة بعدما علم بنجاح اللقاء؛ ليشكر كبير العرافين الذي نصحهم بالصلاة والدعاء من أجلهم لينطلق السيد «إيكابي» سريعًا مغادرًا مكانه صوب معبد «أبتشيك» ليشعل النيران ويقيم الصلوات مبتهلًا لآلهتهم العظيمة حتى يوفق ابنه أشوري ورفيقه أنتيكوس وكل من يساعدهم من أبناء المنجالا الأوفياء.

***

لم تكن أيام الحكيم «توساني» الأولى في قلعة بنتلي مثل أيامه السابقة هنا؛ ففي الزمن الماضي كان يأتي كحكيم ممالك «زاندو» الأول وكاتب مجلس الاتحاد الأول، لكنه الآن هنا يبحث عن أي أملٍ من أجل العبور بزاندو نحو بر الأمان، كان يتمنى أن تأتي رحلة الأمير فيليب نحو مدينة الشمس بأي بادرة أمل، لكنه في خضم كل ذلك لم يتوقف عن المطالعة فبعد أن رتب كل ما حمله الرجال معهم من كتبٍ ومخطوطاتٍ من قلعة الاتحاد بدأ يلقي نظرة على ما وجد في مكتبة قلعة بنتلي علّه يجد هنا شيئًا جديدًا عما لديه من قبل، كان في خلوته يتصفح بعض المجلدات العتيقة قبل أن يسمع تلك الطرقات على باب غرفته، ليسمح للطارق بالدخول والذي لم يكن سوى «جراكوس» الذي تقدم ليشير

إليه الحكيم «توساني» ليجلس بجواره مستفسرًا منه عما يريد.

-سيد «توساني»، إني هنا لأطلب منك طلبًا شخصيًا ولكن أرجوك لا ترفضه، واسمح لي أن أقوم بالأمر دون أن تعارضني.

أغلق الحكيم «توساني» المجلد الذي أمامه قبل أن يضع إحدى العلامات المرجعية حيث انتهى من القراءة قبل أن يسأل «جراكوس» عما يريد، ليعلم أن حدسه كان صحيحًا حيث طلب منه «جراكوس» أن يسمح له بالذهاب إلى المدينة الخضراء؛ ليطمئن على أقاربه وليعرف كيف هي الأوضاع هناك علّه يجد أي يد للعون لهم هناك من أنصار الملك الراحل «أرسين»، لم يتعجل الحكيم «توساني» في الرد ليفكر قليلًا قبل أن يجيب مطلبه.

-عزيزي»جراكوس«، أعلم ما تمر به الآن وأعلم مدى حبك لأرض وطنك وللملك الراحل «أرسين» ووفائك الكبير «لزاندو» قاطبة وهذا ما نسعى له الآن فأنت حامٍ لزاندو وليس لمملكة الجنوب فقط، لكني أعلم أيضًا أن الاشتياق للأهل هو أمر هام ومشاعر لا يمكن التحكم بها خاصةً في الأوضاع الراهنة؛ لذا يا عزيزي، لن أمنعك من الذهاب ولكني

سأطلب منك تأجيل الأمر حتى يعود الأمير «فيليب» من رحلته علّه يعطيني بعضًا من المعلومات عن الجنوب يمكنك أن تستفيد بها.

حاول «جراكوس» أن يقنع الحيكم «توساني» بأن يسمح له بالرحيل في الحال؛ فالوقت ليس في صالحهم وانتظارعودة الأمير فيليب قد تطول، لكنه وجد إصرارًا من الحكيم «توساني» على الانتظار فعلم أن جداله معه لن يغير من قناعته شيئًا فرضخ للأمر رغمًا عنه.

***

بدأ «أشوري» يسترد عافيته ببطٍء شديد فقد ظهر عليه جليًا أثار التعذيب الذي تعرض له في اليوم السابق، لم يكن في المحبس سواه هو والأمير «ليدلي» الذي كبلته الأحزان وآلمته كثيرًا لكنه لم يدع كل هذا يعيقه عن تقديم المساعدة صوب «أشوري»، حتى وإن لم يكن يعرفه فتلك هي طبيعته وهذا ما رباه عليه أبوه الراحل «شيرار»، ليقترب منه محاولًا مساعدته على الجلوس قبل أن يقرب منه قارورة الماء المهترئة التي وضعت بجوارهم في المحبس ليرتشف «أشوري» بعض الجرعات البسيطة قبل أن يعتدل في مجلسه محاولًا التقاط أنفاسه بصعوبة؛ فقد أكالوا له

الضربات في كل موضع في جسده حتى وجهه بدا متورمًا ليحاول «ليدلي» مواساته مربتًا على كتفه قبل أن يساله بحنوٍ نابع من طيب قلبه.

-ماذا فعلت حتى يفعلوا بك كل هذا؟!! ولما أنت في الأساس؟ ما هي جريمتك؟.

نظر لها «أشوري» بودٍ محاولًا استجماع كل قواه أو ما تبقى منها قبل أن يجيبه بصوتٍ خافت امتزج بالألم.

-كل هذا من أجل إنقاذ «زاندو»، من أجل نبوءة تعيدها لقوتها وعهدها القديم بل ستكون في عهد لم تشهده من قبل.

أثارت كلماته «ليدلي»؛ مَن هذا الفتى الذي يسعي من أجل «زاندو»؟! وعن أي نبوءة يتحدث؟!! ليدور بداخله العديد من التساؤلات؛ أهو مثله من نسل الملوك قد ألقي به في الحبس مثله كما فعل «أتريموس» به؟ حاول أن يستجمع ذاكرته جاهدًا أشاهده من قبل؟ فهو يعلم كل الأسر الملكية في الممالك الخمس لكنه لم يره من قبل فربما يكون من أقارب الملوك من الدرجة الثانية أو الثالث فمن أي نسلٍ هو؟ فعاد ليطرح عليه الأسئلة من جديدٍ مَن هو؟ ومن أي مملكة أتى؟ وعن أي نبوءة يتحدث؟ ليلتقط «أشوري» أنفاسه ويأخذ بعد رشفات من الماء مجددًا قبل أن يجيبه من جديد.

-إن لك أسئلةً كُثر يا عزيزي، لكن دعني أبدأ بالنبوءة إنها أسطورة قديمة بدأت تتحقق بأن يعود الملاعين من جديدٍ ويحتلون أرض «زاندو» كما حدث الآن، ليبدأ بعدها دور نسلي وأهلي بالبحث عن الموعود، إنه شخصٌ مختار سيقود أناسًا وجيوشًا تناسى أهل «زاندو» أنهم على قيد الحياة، رجال سيعودون لإثبات انتمائهم وولائهم لتلك الأرض وأحقيتهم بأن يكونوا من بين أهلها، أسطورة عن رجل تربى في عرين الملوك ولازمهم ليصبح قائدًا جديدًا بعهدٍ جديد لتلك الأرض.

أنهى «أشوري» حديثه الغامض ليزداد الشغف عند «ليدلي» فحتى وإن كان رجلًا عقلانيًا لا يؤمن بالأساطير والخرافات لكنه الآن على استعدادٍ للتعلق بأي أملٍ حتى لو كان دربًا من دروب المستحيل؛ كي يعود «لزاندو» مجدها ولكي يثأر لملوكها ولأهلها مما يحدث فيها الآن، فعاد سريعًا بلهفة كبيرة يستفسر من «أشوري» أن يعطيه المزيد من الحديث وأن يجيبه من هو؟ ومن هؤلاء الذين تذكرهم النبوءة؟ ومن هو الموعود؟

***

كان تحرك موكب الأمير «لويس» صوب مدينة الشمس

في أبهى حلته حراس قلعة بنتلي يؤمنون الطريق وخدمهم محملين بالهدايا النفيسة من أجل الزفاف، بينما في العربة الملكية كان الأمير «فيلب» وزوجته الأميرة «ماري» يجلسان، فقد كانت «ماري» معارضة وبشدة للذهاب لهذا الحفل فهذا يعد اعترافًا صريحًا بخونة «زاندو»؛ فقد ظلت ممتعضة طيلة الأيام الماضية لكنها لم تعد تستطع التحمل بعد لتخبره برغبتها في العودة إلى القلعة وأنها لا تريد أن تكمل تلك الرحلة، حاول «فيليب» تهدئتها بشتى الطرق لكن كانت في نوعٍ من الثورة النفسيه بدا على وجهها الضيق والغضب، لكنها حافظت على كونها أميرة فلم تدع صوتها يرتفع كانت تناقش زوجها بحدة لكن بصوت منخفض لتبدي اعتراضها الشديد.

-عزيزي، إن ذهابنا لهذا الحفل لهو إهانة لنا وخيانة لزاندو، أتقبل في يومٍ ما أن يكون هناك خونة يجلسون على عرشك ويحتفلون ويدعون الجميع لهذا الحفل، لن أقبل بأي حلٍ قد تطرحه لي يمكنك أن تكمل الأمور السياسية بدوني لكني لن أتمالك نفسي في هذا الحفل.

أمسك «فيليب» يدها بكل ودٍ وحنان مقبلًا إياها قبل أن يتنهد بقدرٍ كبير ليعلم في قرارة نفسه أنها لن تهدأ إلا إن

عرفت ما هي نوياه؛ فتلك هي الطريقة الوحيدة لإقناعها بتلك الرحلة.

-هل تعتقدين يا عزيزتي أني لا أعلم كل ذلك؟ وأني أذهب إلى هناك على مضض كبير من الأمر، لكن لا بد من هذا فيجب علينا أن نؤمن أرضنا وأن نحافظ على شعبنا؛ حتى نرى ما هي الحلول المتاحة أمامنا لاستعادة «زاندو» من جديد من هؤلاء الخونة.

-أعلم كل هذا، لكن لا أرى داعٍ من أجل ذهابي معك.

-لا يا عزيزتي، بل إنكِ الركن الأهم في تلك الرحلة.

تعجبت «ماري» من حديثه لتستفسر منه عن ما يقصده بكونها الركن الأهم في تلك الرحلة، ليشير إليها «فيليب» بالهدوء قبل أن يتأكد من عدم وجود أي شخصٍ قريب من باب العربة ليتحرك من موضعه ويجلس بجوارها ليخبرها عن الخطة التي وضعها مع الحكيم «توساني» من أجل اكتساب بعض الوقت ومعرفة ما خفي عنهم من أخبار، ليتخطى كل ذلك ويفصح لها عن دورها في تلك الرحلة فسيكون لزامًا علينا أن تصل إلى الأميرة «كاترينا» سليلة الملك «شيرار»، وأن تتحدث معها علّها تمتلك في جعبتها ما يجهلونه؛ فهو بأي حالٍ من الأحوال لن يستطيع الوصول

لها، لكنها لكونها سيدة وأميرة مهنئة لها يمكنها ذلك بسهولة، عادت الحياة إلى «ماري» من جديدٍ لتشعر بقيمتها وأهميتها في الأمر، وأن زوجها لم يقم بتلك الرحلة بخنوعٍ ولكنها من أجل هدف بعيد المدى لتعلوا الابتسامة محياها قبل أن تعده بأنها ستبذل أقصى ما لديها من جهدٍ، وأنه يمكنها الاعتماد عليها في تلك المرحلة، لتعود الابتسامة مرة أخرى على وجه فيليب بعدما أخمد نيران الثورة لدى زوجته ورآها متحمسة لما يقومون به ليقبل جبينها بكل ودٍ قبل أن يتظاهر أمامها بانشغاله بالقراءة، بينما هو شاردٌ في المستقبل المطل عليهم من قلب المجهول.

6

للقلب دائمًا أحكامه وقد فرض قلب «أديلا» أحكامه عليها فقد مُلئ حبًا وشغفًا بأشوري فارسها الهُمام، ظلت شاردة في الأيام الماضية تشعر بشيءٍ ما قد أصابه، حدس الأنثى بداخلها لا يخطئ؛ فقد سعت أن تعلم من أبيها إلى أين هي مسيرتهم وما سيقومون به لكنه دائمًا ما كان يخبرها أن تلك أمور لا دخل لها بها، وأنه هو الآخر لا يعلم ما هي الوجهة فمهمته تقتضي أن يوصلهم للخطوة التالية لدى»برانكو»، فحاولت مرات عديدة أن تطلب منه أن يسأل «برانكو» عنهما وأن يذهب ليطمئن عليهما لكنه دائمًا ما كان ينهرها، فتوقفت عن هذا الأمر بعدما شعر أبوها بتغير في طباعها لكنها برره بأنها وللمرة الأولى في حياتها ترى أناسًا من قومها، خاصةً وأنهما قادمان من أجل النبوءة الموعودة التي ظلوا من أجلها أجيالًا متتالية، لتقرر أن تغلق هذا الأمر قطعيًا معه لكن ليلتها الماضية لم تكن بالسهلة فقد شعرت بقبضة خفية في قلبها جعلتها تتقلق كثيرًا على قاطنه الوحيد «أشوري»، لم تهنأ بالنوم إلا لدقائق معدودة رأته فيها في منامها.

رأت وكأنها تقف على حافة عالية وفي أسفلها بركان ضخم يستعد للانفجار وبداخل تلك الفوهة كان أشوري يقاتل تلك

الحمم البركانية عاري الصدر بمفرده، لا يعلم ماذا يفعل لكنها وجدت يدًا بشرية تخرج من بين تلك الحمم تتجه صوب أشوري الذي مد يده صوبها، فأخذت تصيح له بأن يحذر مما يفعله فهذا سيلقي به في التهلكة لكنه نظر إليها بوجهٍ شاحب ومجهد من كثرة القتال قبل أن يستسلم لتك اليد التي جرفته إلى الأسفل، لتصرخ هي بكل ما أوتيت من قوة صائحة باسمة لا تعلم ماذا تفعل حتى تنقذه لتحاول أن تقفز خلفه في تلك الحُمم، لكن قدمها لم تطاوعها وكأنها مكبلة رغمًا عنها لتشعر بالتكبيل يصل لكامل جسدها حتى صوتها قد خفت ليصبح صراخها داخليًا لا تسمعه إلا بعقلها، لتقف هكذا عاجزة حتى رأت يدًا تخرج من بين تلك الحمم محاولة النجاة والصعود نحو اليابسة. جاهدت لتنفض عن عقلها هذا الكابوس المرير محاولة أن تنشغل بأعمال مزرعتهم البسيطة حتى يعود والدها من الأسواق، بينما قلبها وعقلها لم يتوقفا عن الدعاء لحبيبها أن ينجو سالمًا مما هو فيه وأن يعود إليها قريبًا مظفرًا لتملي عينها من رؤيته كي يطمئن قلبها.

***

لم يسد إلا الصمت والذهول على محيا الأمير «ليدلي» بعدما قص عليه «أشوري» قصته، وأنه قد أتى من بين

قبائل الغجر وخاصة أبناء «المنجالا» عابرًا كل الحدود باحثًا عن مختارٍ ذُكِر في نبوءتهم القديمة التي توارثوها عبر الأزل، سيقودهم صوب «زاندو» من أجل تحريرها من قبضة الملاعين، لم يعرف ماذا يمكنه أن يفعل؛ أمن العقل أن يصدق هذا الأمر؟ هل هؤلاء الأشخاص الذين تركوا أرض «زاندو» من قديم الأزل مخولين للعودة إليها من جديد لتحريرها؟ وهل هم قادرون على فعل ما عجز عنه ممالك «زاندو» بكل قوتها؟ بدأ يتجول في المحبس باضطرابٍ شديد ساعيًا لإيجاد أي منطقٍ في هذا القول قبل أن يثور واصفًا «أشوري» بالمخادع والمجنون، فهل يعقل ما يقوله؟ وهل سيقبل أهل «زاندو» بمحتلٍ آخر ليحررهم من يد محتلٍ آخر؟ لم يكن يعلم ماذا يقول لكنها كانت إحدى المرات القليلة التي يخرج فيها عن هدوئه ووقاره طيلة حياته، ليصمت «أشوري» وهو يراقبه حتى رآه يهدأ بعد أن أفرغ شحنة الغضب بداخله ليتولى هو دفة الحديث تلك المرة.

-هل هدأت يا عزيزي، أرى أنك ثائرٌ فوق العادة فلما تراني قد أخدعك في الحديث أو أجن فما شأن سجين مثلي هنا بما يحدث في «زاندو» فهنا موت وبالخارج موت، وأما عنا نحن أبناء «المنجالا» فنحن لسنا محتلين ولا غرباء عن تلك الأرض؛ لقد كنا من قبل من بين قاطنيها بل إن قومنا قاتلوا

بجانب قومكم في الحرب العظمى الأولى وها هي الحرب تدق أبوابها من جديد؛ فالحرب التي فرقت أبناء تلك الأرض من قبل عائدة من جديد لتوحد صفوفهم، أما عن قدرتنا فنحن محاربون بالفطرة طبيعة أرضنا جعلتنا شديدي القوة.

هدأ ليدلي بعض الشيء حاول أن يستمع لحديث «أشوري» قبل أن يشير له ليعذره على انفعاله الشديد، لكنه عاد بهدوءٍ ليخبره أنه لم يغفل ما حدث في الحرب العظمى الأولى وأنه لا ينكر دورهم، لكن القوة في القتال وحدها ليست هي الحل؛ فالحرب النظامية تختلف وبشدة عن حرب القبائل ليبتسم له «أشوري» من جديد قبل أن يكمل حديثة من جديد:

-أعلم كل هذا، لكن نحن لدينا ما تفتقدونه يا عزيزي، ليس بيننا خونة وتلك النبوءة هي وقود حياتنا الذي نحيا من أجلها، تلك هي عقيدتنا فأنتم إن كنتم تقاتلون من أجل وطنٍ به خونة أسقطوه فنحن نقاتل من بين وجودنا من الأساس، فتلك هي عقيدتنا يومًا ما سنعود نحو «زاندو» لنجعل الجميع يعلم أننا من أبناء هذه الأرض، وأننا لنا الحق بأن نكون بينكم فنحن في الأصل من نبتة واحدة تفرعت غصونها.

لمرة أولى شعر «ليدلي» بالصدق والإيمان في حديث

«أشوري» فهو أمامه رجل يؤمن وبشدة بكل ما يقوله، حديثه ينبت من قلبه يوقن بمعنى كل حرفٍ يقوله ويسعى خلف حُلمه الذي تربى عليه شعر ولو لحظة بأن هؤلاء القوم قد يكونون أمل «زاندو» المنشود نحو مصيرٍ أفضل، لكن عقله أعاده للواقع من جديدٍ ليأخذ هو أطراف الحديث تلك المرة.

-اعذرني سيد «أشوري»، فحتى وإن لمست الصدق في حديثك وإيمانك بما تقوله لكن أي عاقلٍ سيؤمن بهذا الأمر، والأدهى من ذلك هل تعرف أنت هذا المختار أو الموعود الذي تبحث عنه؟ حتى وإن عرفته كيف تبحث عنه؟ وأنت هنا ملقى في أشد سجون «زاندو» قوة وحراسة في قلب «بوزان»، تلك المقبرة الحية لمن فيها يا عزيزي، علينا أن نترك الأحلام وأن نقف على أرض الواقع.

شعر أشوري بأنه قد بدأ يجذب اهتمام رفيقه في المحبس ليحاول أن يعتدل في موضعه ليكمل له حديثه وحكايته.

-إني لا أسعى للأحلام يا عزيزي، فأنا هنا على أرض الواقع للمرة الأولى ألمس حقيقة النبوءة التي تربينا عليها، من هنا تبدأ نبوءتنا في التحول إلى واقعنا ومستقبلنا المنشود.

-كيف هذا يا عزيزي؟ كيف يبدأ واقعك هنا في محبسك؟

- لأننا هنا في هذا المحبس قد عثرنا على الموعود عثرنا على المختار الذي انتظرناه لقرونٍ عديدة، وجدناك أنت أيها الأمير الموعود.

صُدم «ليدلي» من حديث أشوري؛ فهو حتى لم يخبره باسمه أو هويته أو حتى يعلم عنه شيئًا ليوقن ويؤمن أن هذا الشخص أمامه يهزي أو ربما يكون قد دسوه في هذا المحبس من أجل الإيقاع به ليسأله مرة أخرى هل يعرف حتى من هو.

-نعم، نعلم أنت أيها الموعود، حسب أسطورتنا هو أمير من نسل ملكي، تقوده الظروف لمحبس ملعون يعلو جبينه ندبة من أثر الحرب، رجل لديه القدرة على توحيد الجميع، نعلم مَن أنت أيها الملك «ليدلي» فأنت المختار لتحرير «زاندو» وأهلها من جديد.

***

بعد أن أحكم الظلام إسدال سطوته على كل البقاع المحيطة بميناء اللؤلؤة، في تلك الليلة التي أعلن فيها القمر غيابه عن السماء ليترك النجوم وحيدة تشهد هذا الحصار الذي بدأت أركانه تكتمل حول جنبات المدينة، ليعطي

«دوجلاس» الإشارة لرجاله لإشعال النيران في كل مكانٍ حولهم، ليصبح مظهرهم مهيبًا أمام أعين كل مَن في الميناء يراقبون هذا الجيش الجرار المرابض أمام أسوارهم من كل مكانٍ، ليعتلي بيدرو ومعه قائد القوات في القلعة «أنطوي» والقائد «براجوس» وكل مَن معهم مِن قادة الجيش لينظروا عن كثب لهذا الطوفان القادم عليهم قبل يبدأ بيدرو حديثه بأسى:

-إن أعدادهم أكثر مما تخيلنا أيها السادة، كما أنهم لم يضربوا مخيماتهم أمام المدخل الرئيس للقلعة فقط، لكنهم قد فرضوا الحصار حول كامل أسوار القلعة أن يضربوا حصارًا على امتداد عشرة أميال محيط القلعة الخارجي، كيف سندافع أيها السادة على طيلة تلك المسافة؟ إن أعدادنا وعتادنا لا يسمح بذلك.

بدت الحيرة على الجميع كما هي على محيا «بيدرو» ليحاول «أنطوي» أن يستجمع رباطة جأشه متحدثًا كقائد عسكري ليشرح لهم وضعهم الدفاعي من القوات؛ فقد نشر قواته فوق بوابات القلعة الخمس بمعدل مائة جندي على المداخل، كما أنه أقام نقاط متابعة على امتداد أبراج المراقبة التي توزعت على أسوار القلعة بوجود برجين متلازمين كل

نصف ميل، بوضع عشر رجال فوق كل برج، كما أنه نشر رجال المنجنيق وتوجيهها، أما باقي القوات فقد دفع بهم على امتداد السور الدفاعي الأول حسب الخطة الموضوعة من قبل، لكن بالوضع الحالي ينبغي عليهم تغيير تلك الخطة ليذهبوا سريعًا للجزء الثاني الموضوع في خطتهم في حال سقوط السور الأول للقلعة بأن يتمركز كافة الرجال فوق السور الثاني ويتركون حائط الصد الأول فارغًا، بينما «براجوس» انبرى للحديث لطرح رأيه في تلك الخطة:

-لتسمحوا لي جميعًا، أن أقترح اقتراحًا قد يعيقهم بعض الشيء؛ علينا أن نلغم السور الأمامي بكرات اللهب ففي حال استطاعوا اجتيازه وتدميره سيكون بينهم وبين السور الثاني للقلعة مسافة أمتار عشر لنملأها بكرات اللهب ولنشعلها فيهم في حال اجتياحهم، بتلك الخدعة البسيطة سنعيقهم ونسقط منهم العديد من رجالهم.

أبدى الجميع موافقة على هذا الرأي ليشرعوا جميعًا بقيادة رجالهم بإخلاء أماكنهم فوق السور الأول للقلعة والعودة والتمركز حتى النقطة الدفاعية الثانية، ليمروا بليلة شاقة أُجهد فيها الرجال لينهوا عملهم حتى مطلع الفجر، بل إنهم تلقوا مساعدة كبيرة من كل العزل والمدنيين في القلعة

الذين تعاونوا معهم على طول خط المواجهة؛ فالجميع الآن في خندقٍ واحد تحت طائلة الحصار.

***

مع أشعة الشمس الأولى لليوم الجديد راقب «دوجلاس» و «أراجونيس» عن كثب كل ما يحدث فوق أسوار الميناء ليجدوا النقاط الدفاعية الأولى التي شاهدوها باليوم السابق قد أخليت تمامًا، وتمركز الجميع فوق حائط الدفاع الثاني، بدت ابتسامة النصر جلية على وجه «أراجونيس» الذي تعالت ضحكاته وهو يسخر من خصومهم واصفًا إياهم بالجبناء، ليشعر أنهم في نزهة حربية، بينما «دوجلاس» لم ينجرف معه في هذا الأمر طالبًا منه الصمت صائحًا به:

-ماذا بك أيها الأخرق؟!! ألم تتعلم بعد ما حدث لك في «آلانا»؟ إنهم يصنعون نقاط منيعة وحاجز بيننا وبينهم أيها الأبله، في المرة السابقة كان النهر هو الحاجز بينك وبين أسوار قلعتهم، أما الآن فلديهم حاجزان للصد لكي تعبر للنقطة الثانية عليك العبور من الأولى، ومن المؤكد الآن أنهم قد فخخوها وعند هجومك عليها سيقومون باصطياد رجالنا من النقطة الثانية العالية، هذا شيءٌ بديهي إلا إن كانوا يمتازون بغباءٍ كبير كالذي تحظى به.

شعر «أراجونيس» بالإهانة من حديث «دوجلاس» له فحتى وإن كان برتبة أعلى منه في الجيش فلن يقبل أن يهينه أحد ملاعين البشر وهو من العمالقة، ليزمجر بقوة عاتية مادًا كلتا يديه ليحمل «دوجلاس» أمام ناظريه قبل أن يصيح به:

-إياك وأن تصرخ بي ثانية أو تسبني وإلا أجهزت أنا عليك قبل أن نعبر أسوار تلك القلعة اللعينة، فلن أسمح لبشري مثلك أن يتطاول عليّ. هل تفهم حديثي أيها الأحمق؟

أنها «أراجونيس» حديثه قبل أن يقذف «دوجلاس» أرضًا بغضبٍ، ليسعى الأخير لتمالك نفسه وقوته من أثر هذا الاصطدام ليقف بتحدٍ متجهًا صوب «أراجونيس» ليتحدث إليه بكل حزمٍ:

-أتمنى أن تفعل هذا يا عزيزي، حتى ترى عقاب السيد لك، فإن كانت حياتي هي نظير حياتك سأكون سعيدًا بذلك، بأن أنقذ الجميع منك.

بدا التحدي على كليهما قبل أن يتجمع العمالقة خلف «أراجونيس» ويستل ملاعين البشر أسلحتهم في تحدٍ خلف «دوجلاس» ليبدو في الأفق بوادر نزاع قريب بين كلا الفصيلين، ليشير «دوجلاس» للجميع بالهدوء وأن ما

يحدث ما هو إلا مناقشة بين قائدين لا يتعدى الأمر هذا الشجار الودي بينهما، ليطلب من رجاله أن يحضروا بعض ما لديهم من أسرى قد أخذوهم من المدن التي مروا عليها قبل وصولهم.

***

فوق أسوار القلعة لاحظ الجنود وجود بعض من أبناء مملكتهم من الأسرى لدى الملاعين قد ربطوا بأحبالٍ طويلة، ليتقدموا صوب القلعة يرفعوا الرايات البيضاء ليتوجه أحد الضباط سريعًا نحو القائد «بيدرو» في غرفة القيادة على أسوار القلعة ليبلغه بالأمر، ليتجه «بيدرو» سريعًا ومع باقي القادة ليشاهدوا الأمر؛ ليروا أبناء بلادهم منكسي الرؤوس يتقدمون صوبهم حاملي الرايات البيضاء، ليعطي «بيدرو» الأمر للقائد «براجوس» ليأخذ معه بضعة فرسانه ويفتح لهم باب صغير في القلعة ليتقدموا صوبهم ليصل «براجوس» نحو هؤلاء الرجال الخمس ليجدهم يستنجدون به.

-سيدي، إن هؤلاء الملاعين قد أسرونا قبل أن نأتي إلى هنا، ويعاملونا كالعبيد، أنقذونا منهم.

-لا تقلقوا يا أخواني، لكن أخبروني؛ كم عددكم؟

-إننا بضعة مئات من أبناء الغرب، وهم أرسلونا لكم بتلك الرسالة.

تسلم «براجوس» الرسالة منهم قبل أن يفضها ليقرأ ما فيها؛ فقد كان عرض من الملاعين بأن يستسلموا ويرموا أسلحتهم، وأن تكون المدينة تحت حكم السيد، وأن يتولى حكمها أحد أبنائه، ويوضع عليها حامية عسكرية من أبناء السيد، كما أن عليهم أن يقسموا بالولاء للسيد وحده دون غيره، وأن يدفعوا الضرائب من الطعام والمؤن لأبناء السيد الأوفياء. تجلت ملامح الغضب والضيق على وجه براجوس الذي أخبر رجاله بأن يفكوا قيود هؤلاء الرجال ويصحبوهم معهم نحو القلعة، لكن الأسرى قد بدا عليهم الذعر ليخبروه أنهم إن لم يعودوا صوب الملاعين سيقتلون عائلاتهم وأبناءهم، ليرفضوا هم فك أسرهم ويركضوا عائدين صوب جيش الملاعين، لينظر لهم براجوس بأسى قبل أن يعود هو ورجاله صوب القلعة، بينما «دوجلاس» كان يرقب من بعيد هذا المشهد ليتمتم بصوتٍ منخفض»إنه الخوف أقوى أسلحتنا، يجب أن يهابونا حتى يكونوا عبيدًا لنا».

***

اشتعلت طاولة النقاش بداخل ميناء اللؤلؤة؛ فالجميع

مستاء من تلك الرسالة لهم، أيرضخون ويكونون مهانين في أرضهم؟ وماذا عن إخوانهم الأسرى لدى الملاعين؟ هل يتركونهم هكذا في ذل الأسر؟ حاولوا أن يجدوا أي سبيلٍ لإنقاذ الموقف والتفاوض من أجل إخوانهم، لكن كل الطرق كانت تؤدي إلى حائط مسدود استغرقوا نهارًا كاملًا فى هذا الجدال ليتركوا جميعا القول الفصل لبيدرو قائد وحاكم المدينة الذي ظل صامتًا لوقتٍ طويل من ثقل الحمل عليه لكنه لم يعد يستطع الصمت ليتقدم إليهم محدثًا إياهم:

-أيها السادة، لقد أقسمت من قبل أمام الملك «ريفيرا» حين وليت قيادة الميناء بأن أحافظ عليه بحياتي، أعلم أن ملكنا قد رحل وقد أبيدت مملكتنا، لكنه رحل رافعًا الرأس يدافع عن أرضنا أمام الغزاة من الملاعين ومن بعده سقطت مدينة النسور، وقد ضرب الملك «ديفا» وإخواننا هناك مثالًا رائعًا في البسالة في دفاعهم عن عاصمة مملكتنا، وأنا لن أخون عهد مليكي، ولن أترك تلك المدينة في أيدي الملاعين إلا وقد أُزهقت روحي، لن أسلم لهم أرضنا فنحن آخر ما تبقى من أبناء الغرب، وسنبذل كل ما لدينا من أجل الدفاع عن أرضنا. فمن كان يوافقني على هذا الرأي فأهلًا به معنا، ومن كان يخشى مواجهة هؤلاء الملاعين بالخارج فليضع سلاحه جانبًا وليخلع درعه ويعود لصفوف العزل من الرجال؛ فأنا لن

أستسلم أبدًا.

دبت الحماسة في قلوب الجميع ليضعوا أيديهم فوق يد «بيدرو» ليتعاهدوا جميعًا على الدفاع عن مدينتهم حتى النهاية، رافضين الرضوخ والاستسلام، قبل أن يطرق باب الغرفة أحد جنود المراقبة فوق أسوار القلعة ليخبرهم بأن الأسرى قد تقدموا مجددًا صوب القلعة رافعين الرايات البيضاء منتظرين ردًا على رسالتهم الأولى، نظر الجميع نحو «براجوس» الذي أيقن الرسالة التي عليه نقلها، ليتقدم مجددًا صوبهم ليجدهم يسألونه عن ردهم على الرسالة، لينظر لهم بكل حزنٍ وإشفاقٍ عليهم ليخبرهم أنهم لن يسلموا القلعة ليجدهم يستجدونه أن ينقذوهم من مذلة الأسر.

-لا تقلقوا يا إخواني، أعلم أن الموقف ليس بالجيد، ولن أخدعكم وأعطيكم وعودًا كاذبة، لكن لن نبخل بأي جهدٍ من أجل تحريركم؛ فأنتم منا ونحن لن نترككم، ولكن أخبروهم بأننا لن نسلم القلعة لهم.

أنهى «براجوس» كلماته سريعًا ليعود صوب القلعة والنيران تشتعل في صدره من قلة حيلتهم لإنقاذ هؤلاء الرعايا العزل، لكنهم بداخل القلعة لديهم الألوف من الرعايا الآخرين يريدون حمايتهم حتى وإن كان يرفض التضحية بالقليل

مقابل الكثير؛ لأن كلا الطرفين من عِرْقٍ واحد وكلهم أبناء هذا الوطن، لكنه لا يملك أي حلٍ آخر في الوقت الحالي.

عاد الأسرى صوب الملاعين ليجدوا كلا من «أراجونيس» و«دوجلاس» ينتظرونهم لينظر لهم أولهم بكل صرامة، بينما «دوجلاس» قد بدا على محياه نظرات ودٍ مصطنعة تخبئ خلفها أقنعة عديدة من الخبث والمكر ليسألهم عما كان ردهم عليهم وعلى رسالتهم، ليتحدث أحد الأسرى وهو يرتجف قائلًا:

-لقد رفضوا الاستسلام يا سيدي.

-ماذا تقول يا هذا؟! هل رفضول الاستسلام أمام هذا الجيش الجرار؟!

لم يجبه الرجل فقد خاف أن يعيد كلماته فتكون حياته هي الثمن، ليتحرك «دوجلاس» حولهم بكل زهوٍ واستعراضٍ وهو يحدثهم:

-أتعلمون أيها البشر؟ إنكم لا تتعلمون أبدًا، إن مصير تلك القلعة هو السقوط في قبضتنا، ولكني كنت أود أن أظهر لكم رحمة السيد التي أوصانا بها وأن أمنع إزهاق أرواحكم لكنكم لا تتعلمون أبدًا.

أنهى كلماته وهويصيح، بينما الأسرى قد ارتعدت فرائسهم من الخوف قبل أن يتنهد «دوجلاس» وهو يتصنع الاعتذار لهم عمّا بدر منه من عصبية، ويخرج زفيرًا عميقًا من بين رئتيه ليشير إليهم أن يذهبوا، ليتوجه الرجال صوب أهلهم من الأسرى قبل أن يصيح بهم «دوجلاس» من جديد:

-لا ليس هنا، فلتأخذوا كل من معكم من أهلكم ولتذهبوا لتلك القلعة؛ لتحتموا بها معهم علّهم يعصمونكم منا.

وقف الرجال ذاهلين مما سمعوا؛ فهل تحرروا من الأسر الآن؟ فلم تساعدهم قواهم وعقلهم على الحراك وتفهم الموقف، ليصيح فيهم»دوجلاس» بأن يرحلوا سريعًا قبل أن يغير رأيه ويعيدهم للأسر من جديد.

***

بدا الأسى على «براجوس» وهو يخبرهم بأنه قد أوصل ردهم للملاعين، وقد بدا عليه الكثير من الشفقة على الأسرى الذين استجدوه أن ينقذوهم، لينعكس حديثه على جميع من في الغرفة ممن هم من قادة المدينة ويبدو عليهم قلة حيلتهم في هذا الأمر، ليعود «براجوس» بحماسته و شجاعته للحديث ليطلب من «بيدرو» أن يسمح له أن يذهب لتحرير الأسرى، ليتسلل هو ورجاله ليلًا بين خطوط الملاعين

ليسعى لتحرير ما يستطع من الموجودين هناك حتى وإن استغرق الأمر محاولاتٍ عديدة، لكنه لا يريد أن يقف عاجزًا وهو يراهم يذوقون الذل والهوان، حاول الجميع يهدئ ثورته ليقنعوه أن هذا يعد انتحارًا وأنهم قد يفقدونه هو ورجاله مع الأسرى.

-حتى وإن لقيت حدفي فلن أموت إلا وقد قتلت منهم الكثير، لن أعود إلا وسيفي محطمًا بعد أن هشم عظامهم وسالت عليه دماؤهم، حتى وإن كان انتحارًا فسأذهب بمفردي فقط عندما يأتي الليل سأذهب لأحرر من أستطيع منهم.

اتفق الجميع على الصمت ليتركوا «براجوس» يفرغ تلك الشحنة التي بداخله من غضبٍ وثورة، بينما هو أخذ ضرب الحائط بقبضة يده ويركلها بقدمه علّه يستريح، لكن ما حدث أن أحد المراقبين على الأسوار قد اقتحم عليهم الغرفة وهو يلهث ليلتفت إليه الجميع قبل أن يلقي إليهم بمفاجأة كبيرة قائلًا:

-سيدي، إنهم يخلون سبيل الأسرى، الجميع يتوجه صوب القلعة.

ركضوا جميعًا صوب أعلى نقاط القلعة للمشاهدة؛ ليروا

إخوانهم وهم يأتون إليهم ليصيح فيهم «براجوس» أن يفتحوا أبواب القلعة لاستقبالهم، لكن «بيدرو» ألغى الأمر في عجالة قائلًا:

-لا تكن متهورًا يا «براجوس»، قد يكون هذا فخًا لنا من أجل فتح الأبواب أمامهم، لتذهب ومعك رجالنا من الفرسان؛ لتأمين أبواب القلعة من الخارج لتنظم دخول الأسرى بشكلٍ سريع، وأنت يا «أنطوي» انشر الرماة سريعًا ليضربوا أي فردٍ من الملاعين يحاول الوصول إلى القلعة.

سمع الجميع تعليمات «بيدرو» ليتوجه كل منهم لموقعه لتنفيذ دوره، بينما انطلق «براجوس» سريعًا وأخذ معه ما يقارب الخمسمائة فارس صوب الباب الخارجي للقلعة ليضع جزءًا منهم في الداخل يفتحون الأبواب الصغيرة ليعبر منها الأسرى، بينما انطلق هو والآخرين للخارج لينتشروا بمحاذاة البوابة لتأمينها واستقبال الأسرى القادمين.

نظر «دوجلاس» لهذا المشهد ساخرًا قبل أن يشير لرجاله صائحًا فيهم بقولٍ واحد الآن، لينطلق مع صيحته تلك سيلٌ عارم من السهام علت السماء لتحجب آخر أضواء الشمس من كثافتها قبل أن تتسارع لتستقر في أجساد الأسرى الفارين ليفزعوا من الأمر وهم يهرولون سريعًا صوب القلعة،

لكن السهام لم تتوقف بل توالت الأفواج تباعًا من رماة الملاعين يقذفونهم بسهامهم ليسقطوا واحدًا تلو الآخر، بينما كل مَن في القلعة يراقبون تلك الوحشية الكبيرة التي يتعامل بها الملاعين؛ فقد قتلوا الأسرى العزل بدمٍ بارد وهم يركضون نحو النجاة ليسقط معظمهم أرضًا ولم ينجوا منهم إلا عشرات قليلة منهم، انبرى «براجوس» ورجاله بالانطلاق بجيادهم صوبهم علهم ينقذون بعضًا منهم، ليستمر الأمر حتى حلول الليل ليعود «براجوس» ورجاله منهكين يائسين مما حدث، فمع كل جهدهم لم يتعدَ عدد من أنقذوهم أحياء الخمسين فردًا ليبدو الأسى على الجميع والحزن على مَن فقدوا مِن إخوانهم ومن نجا جلس يرثي عائلته التي فقدها؛ فالجميع الآن هنا في الميناء تحت طائلة الحصار. بينما «أراجونيس»و«دوجلاس» لم يرمش لهما جفنٌ واحد فقد بدا عليهما السعادة مما فعلوا وإظهارهم لقوتهما الكبيرة قبل أن يتأكدوا من تحرك مقاليعهم والمنجنيق للصفوف الأولى، ليشير «أراجونيس» لرجاله من العمالقة بأن يبدأوا قذف المدينة بمن فيها لتشتعل السماء من جديد بمقذوفاتهم التي انهمرت كالسيل تضرب أسوار القلعة المنيعة ليعلنوا معها بداية حصار لا عودة فيه.

***

7

أيامٌ ثلاثة مرت منذ الحديث الذي دار بين الأمير «ليدلي» و«أشوري» انقطع فيهم «ليدلي» عن حديث متبادل بينهما بل إن الصمت قد ساد عليه لم يعد يرغب في الحديث، لكن نبضات عقله لم تتوقف أمن العقل أن يؤمن بما يقوله هذا الفتى؟ أو أن يوافق عليه ليرى أن كل هذا هو محض خيال وأحلام؟ بينما قلبه أصبح أرضًا خصبة لنبتة من الأمل تدفع لتصديق الأمر والإيمان به لتكون تلك النبوءة المجنونة هي السبيل لعودة «زاندو» كما كانت من جديد وتحريره لها، لكنه في كل الأحوال حتى وإن صدقت النبوءة فيعلم أن الماضي لن يعود وأن ما سيحدث في أفضل الأحوال لن يكون إلا محاولة لترميم آثار الحاضر اللعين،

بينما «أشوري» لم ييأس يعلم أن ما يطلبه من «ليدلي» هو ضربٌ من الخيال خاصةً إن لم يكن من أبناء المنجالا الذين تربوا على تلك النبوءة منذ نعومة أظافرهم، انقضت أيام راحته ليعود من جديد للعمل الشاق برفقة زملائه، بدا عليه الإجهاد في نهاية يومٍ شاق لكنه لم ينتهِ بعد فمازال أمامهم ساعة قليلة حتى يأتي موعد الغروب، رأى أحد زملاء محبسه يقترب منه ليقف بجواره وبدأ في الهمس إليه قائلًا:

-أنت يا هذا، ماذا حدث بينك وبين الأمير «ليدلي» يوم أن بقيتما في المحبس بمفردكما؟ إنه لا يتحدث مع أحدٍ من يومها، ولتعلم أنك إن كنت قد أسأت إليه في قولٍ أو في شيءٍ لكانت نهايتك على يدي.

تمهل «أشوري» وهو يتفحصه ليسعى لالتقاط أنفاسه بعض الشيء قبل أن يعاود عمله حتى لا يلحظ أحدٌ ما يحدث ليهمس هو الآخر تجاه محدثه:

-ومن أنت حتى تتحدث نيابة عن الأمير «ليدلي»؟ إن لم يكن يريد أن يفصح لك لما عما حدث إن كان هناك شيء قد حدث فلا دخل لي بالأمر، يمكنك أن تسأله هو بشكلٍ شخصي عندما نعود.

-إن كنت تسأل عني فلتعلم أني قاتلك إن علمت أنك قد أسأت لسيدي، ولتعلم أني لن أخلف وعدي هذا لك.

بدت الجدية في حديث «أندرو» المتحفز تجاه «أشوري» الذي لاحظ قبضته التي اشتدت على فأسه بينما رأى تحفز من صديقه «أنتيكوس» الذي راقب الحديث عن كثب، ليشير له بأن يهدأ قبل أن يرخي جسده بعض الشيء قبل يعاود الحديث.

-إن كنت حقًا تخشى على الأمير «ليدلي» وتحبه لهذا الحد فلتحدثه عما أخبرته، لتقول له أن هذا هو أمل «زاندو» الوحيد.

-عن أي شيءٍ تتحدث يا هذا؟.

-اسمى «أشوري» يمكنك أن تناديني به، أما ما أتحدث عنه هو الملك ليدلي، الملك الموعود لتحرير «زاندو» مما هي فيه، يمكننا مساعدته لإعادة تلك الأرض لما كانت عليه وأفضل.

ألقى «أندرو» ما في يده بينما أخذ ليتفكر قليلًا قبل أن يسخر من حديث «أشوري»، فما هذا السجين الذي يقدم عرضًا للأمير «ليدلي» ليعيد «زاندو» من جديد؟ فهل يقدر هذا على فعل ما فشل فيه ملوك «زاندو» العظام وما حدث لهم من خيانة؟ لكن أشوري أخبره أن هذا ليس المكان المثالي للحديث فلينتظروا حتى يعودوا لمحبسهم ويشاركوا الأمير «ليدلي» معهم في الحديث مرة أخرى.

***

ظل «ليدلي» في منعزلٍ عن الجميع لا يرغب في الحديث مع أي شخصٍ آخر، لكن تلك الليلة بدت مختلفة عليه؛ فقد وجد رفقاء محبسه يقتربون جميعًا منه ليجلس كل من

«أندرو» و «ديجو» عن يمينه ويساره، بينما قبالتهم جلس «أشوري» ورفيقاه. شعر «ليدلي» أنه في جلسة استجواب من الجميع ليتساءل عما يريدونه ولما الجميع مجتمع في تلك الجلسة، ليأتي الجواب من قبل «أشوري»:

-لا يوجد أي سوءٍ سيدي الملك، لكن رفقاءك يعتقدون أني قد أسأت إليك في اليوم الذي بقينا فيه هنا بمفردنا، فأخبرتهم أنه ينبغي علينا جميعًا أن نسأله عن الأمر؛ لأنهم أقسموا أن يقتلوني إن كنت قد أسأت إليك في شيء.

أنهاى»أشوري» حديثه ليرمي بحجرٍ صغيرٍ في مياه الأمير «ليدلي» علّه يحركها عن ركودها المبالغ فيه، لكن الأمر لم يتغير كثيرًا فقد أبدى «ليدلي» نفيه لأي مضايقة قد تعرض لها من قبل «أشوري» ليطلب من الجميع أن يدعوه في صمته، لكن «أندرو» هو من تحدث تلك المرة قائلًا:

-سيدي، إن صمتك هذا ليس من عادتك، أعلم أن ما نمر به في تلك الأيام لهو أمرٌ تنوء بحمله الجبال، لكن هذا الصمت ليس مفيدًا، لكن اسمح لي يا سيدي، فهذا الفتى قد أخبرني أنه اقترح عليك أمرًا فيه خلاص «زاندو» وخلاصك معها فهل لي أن أعرف ماذا حدث؟

لمعت عينا «ليدلي» من هذا الحديث فلم يكن يعتقد أن

يحدث أشوري أحدًا آخر بما أخبره به، فصاح بهم أن يتركوه وحيدًا وأن كل ما قيل هو مجرد خرف وجنون، حاول «أندرو» أن يهدئ من روعه لكن «أشوري» أراد أن يستغل الموقف ليحدث الجميع عما دار بينهما، وأخذ يقص عليهم قصته والنبوءة التي يحملها كل أبناء المنجالا بين قلوبهم وفي عقولهم. لم يعترض «ليدلي» على ما يقصه «أشوري» فربما أراد أن يعلم رفاقه علّه يجد فيهم من يساعده بالمشورة والمساعدة في الرأي، ليترك «أشوري» في حديثه الذي استمر حتى نهايته بدون أي مقاطعة من الحاضرين، حتى أنه قص عليهم رد فعل الأمير «ليدلي» ليجد أمامه كلا من «أندرو» و«ديجو» فاغري الفم ذاهلة أبصارهما لا يمكنهما تصديق ما قايل ولم يصدر منهما أي رد فعل إلا ما طلبه «ديجو» بأن يشرح لهم ما يقصد وما هو المطلوب.

-إن ما أقصده يا سادة، أن نجاة «زاندو» في يد الأمير «ليدلي» فهو الموعود في نبوءتنا القديمة ليقود قبائل الغجر لإعادتهم لأرض «زاندو» وإعادة الاستقرار لها، لنقل أيها السادة، إنها مصلحة متبادلة الأمير «ليدلي» يحصل على جيشٍ جرار يقوده لتحرير تلك الأرض ونحن نحصل على قائد يعيد لنا هيبتنا وجدارتنا بانتمائنا لتلك الأرض.

ساد الصمت مرة أخرى، شعر الأمير «ليدلي» برفاقه ورد فعلهم غير المصدق لما يرويه «أشوري» على مسامعهم، فأي عاقل قد يؤمن بهذا الحديث أو يصدقه؟!! لكن الصمت لم يسد طويلًا قبل أن ينطق «ديجو» تلك المرة متسائلًا كيف يمكن فعل كل هذا وهم هنا في الحبس؟ شعر «أشوري» ببادرة أملٍ مع هذا السؤال ليجيبهم سريعًا:

-إن وافقنا الملك «ليدلي» فإننا سنتولى إخراجه من هنا ليأتي معنا لأرض «المنجالا» وهناك يبدأ عهده الجديد.

عاد «أندرو» للحديث تلك المرة ليتساءل عن كيفية الهروب أو الخروج المزعوم، ليجيبه «أشوري» بكل ثقة أنهم عليهم أن يثقوا فيهم وألا يستهينوا بقدرة أبناء «المنجالا»، لكن «ليدلي» تحدث أخيرًا ليخبرهم أنه لم يقتنع بالأمر بعد وأن الهروب من «بوزان» ليس حلًا نهائيًا؛ فهناك العديد من الأمور تعيق هذا الأمر فليس الأمر مجرد هروب فقط، ليتساءل «أندرو» تلك المرة عما يقصده سيده، ليصمت «ليدلي» قليلًا وكأنه بدا يقتنع بنبوءة أبناء المنجالا لكنه لديه حسابات أخرى على الطريق لا يجب إغفالها.

-أيها السادة، لنفترض أني اقتنعت بحديثكم وأنكم بالفعل قادرون على إخراجنا من هنا، هل تعتقدون أن الأمر سيقف

عند هذا الحد؟ بكل تأكيد لا؛ فحراس السجن سيلحقون بنا في كل مكان بحثًا عنا، وأنت سيد «أشوري» هل قومك قادرون على خوض تلك الحرب؟ نحن لن نحارب الملاعين فقط بل سنخوض حربًا شعواء ضد خونة «زاندو» الثلاث الذين نصبوا نفسهم ملوكًا قبل أن نواجه الملاعين؛ فهل لديكم القدرة على خوض تلك الحروب أمام تلك الأعداد؟ وأما إن هربت من هنا فهناك أمر شخصي يعيقني عن كل هذا؛ فهناك حياة أناس أخشى عليهم ستكون على المحك في حال فراري من السجن.

تفهم «أندرو» سريعًا ما يرمي إليه سيده «ليدلي» فبكل تأكيد هو يخشى على شقيقته كاترينا تلك الأسيرة الأخرى لدى»أتريموس» وملاعين «آل نيكلسين» في مدينة الشمس، ليرجف قلبه هو الآخر خوفًا على محبوبته التي افتقدها، ليحاول «أشوري» الحديث من جديد لطمأنتهم لكن «أندرو» هو من تحدث تلك المرة:

-سيدي «أشوري»، أقدر لك جهدك المضني لكن صدقني سيدي لديه أسباب قوية تمنعه من الفرار من هنا؛ فحياته مرهونة بها حياة أخرى هي نفيسة للغاية عليه.

عاد الهدوء مجددًا الجميع يحاول التفكر في الأمر لكن تلك

المرة من تحديث كان «ميلاني» هذا الشاب ضئيل البنيان ليضع حل آخر على الطريق.

-سيدي الملك، أنا لا أعلم ما هي أسبابك لكن بكل تأكيدٍ هي عظيمة وجليلة، وإن كان فرارك من هنا أمر مرفوض فلي اقتراح آخر؛ أن يكون معنا أحد مساعديك يفر معنا إلى أرض «المنجالا» ليذهب معنا لأهلنا ويخبرهم حول الموعود الذي ينتظرنا لنصرته، وقتها سنأتي نحن إلى هنا لتحريرك من هذا السجن اللعين.

برقت أعين الجميع من هذا الاقتراح الذي لم يكن في حسبان أحد حتى من أبناء «المنجالا» فمهمتهم هي العودة بصحبة المختار ولا أحد سواه.

***

خلية نحل لم تهدأ في مدينة الشمس، الجميع يستعد لجعل المدينة في أبهى حلة من أجل إقامة حفل زفاف أسطوري يليق بملكهم الجديد، أشرف «كلاوديو» على التجهيزات بنفسه فلا يريد حدوث أي أخطاء محتملة في هذا اليوم الخاص بملكه الجديد، بعد أن اطمئن على كل ما طلبه من رجله، توجه نحو الديوان الملكي حيث طلبه «أتريموس» ليجده ينتظره هناك ليحييه «كلاوديو» تحية تليق بمقام

الملوك قبل أن يشير «أتريموس» للجميع بالانصراف ليبقيا وحدهما.

-مرحبًا «كلاوديو»، أرى أنك تبالغ في الاهتمام بالاحتفال بهذا العرس وتهمل أمور الدولة الأخرى.

تمهل «كلاوديو» في رده قليلًا وكأنه ينتقي الكلمات المناسبة قبل أن يبتسم بمكرٍ ودهاء ليجلس بكل أريحية قبل أن يجيب عليه.

-إنها السياسة يا عزيزي، سياسة الإلهاء، عليك أن تلهي الشعب عما يحدث فلنكن عقلاء، فهناك البعض من الرعية بكل تأكيد لا يوافقون على ما قمنا به وجلوسك على العرش حتى وإن كان عددهم قليل؛ لذا عليك أن تلهيهم دائمًا، لا تجعلهم ينظرون إلى الهدف أو المشكلة الأسمى بل صدر لهم أمورًا أخرى، من قبل كان حفل التتويج على العرش، والآن حفل زفاف لم تشهده مدينة الشمس من قبل، وبعدها سنحدث العديد والعديد من تلك الأحداث سنغرق لتجعلهم دائمًا مشغولين في شيء ما حتى يسقط الأمر بالقدم والنسيان وحتى نحكم قبضتنا على كل مفاصل الدولة.

-لكن ألا ترى أن نستزف مواردنا في تلك الأمور؟

-لا تقلق لا عزيزي، فأغلب ما تراه هو هدايا من النبلاء والتجار فهم يسعون لكسب ودنا، ففي أوقات الحروب والتغيرات السياسية دائمًا ما تزدهر تجارتهم وتزيد أموالهم وما يقدمونه لنا ما هو إلا قدر يسير مما لديهم، وبعيدًا عن كل هذا فيجب أن نظهر في أبهى حلة أمام ضيوفنا وملوك «زاندو» الآخرين، فيجب أن يعلموا أننا مستقرون حتى يعلموا أن ملك ملوك «زاندو» هو «أتريموس» ولا غير.

بدا الاقتناع على محيا «أتريموس» لكنه عاد للجزء الأخير من الحديث عن حلفائهم في الغرب والجنوب؛ هل من جديد عنهم؟ ليخبره أنهم قد أكدوا قدومهم لحضور هذا الزفاف عبر رسائل الطير، وحتى «فيليب» أمير قلعة «بنتلي» قد أكد قدومه هو الآخر لحضور الزفاف وتقديم المباركة ليبدي «أتريموس» تعجبه من انصياع «فيليب» لهم ومباركته لما قاموا به، ليشرع «كلاوديو» في الحديث عنه تلك المرة:

-إن فيليب رجلٌ حكيم لا يتحرك باندفاعٍ أو تهور و«آل بنتلي» قد لقوا كل الاحترام عبر تاريخ «زاندو»، نعم لديهم إمارة شرفية لكنهم مستقلون بحكم أرضهم، نعم لم يكن لهم السلطة في الدخول في الشئون العليا لممالك الاتحاد ويعتبرون تابعين جزئيًا لمملكة الشرق، لكنهم يحظون

باهتمام العامة قبل الخاصة لما لهم من تقدير؛ ولذا علينا أن نكسب ودهم وما أعتقده أن «فيليب» لم يأتِ هنا للمباركة فقط بل سيأتي من أجل تبادل المنفعة، سيسعى لاكتساب امتيازات جديدة له ولأرضه.

-أتتوقع أن يطمح في أن يكون ملكًا رابعًا في أرض «زاندو»؟

-لا أعتقد ذلك؛ فهو رجل ذكي لكنه ربما يتطلع لبعض الامتيازات التجارية والعسكرية وبأقصى تقدير قد يطمح بأن يضم بعض الأرض إلى مملكته، وهنا يجب أن يكون القرار ثلاثيًا بيننا وبين أعواننا، لكن لندع هذا الحديث لوقته ودعنا لا نستبق الأحداث.

صمت كلاهما وكأنهما اتفقا على نهاية الحديث ليفكر كلا منهما على حدا فيما هم مقلبون عليه في مستقبلهم القريب الذي سيتحتم عليهم، مستقبل سلالتهم إلى أجيال عديدة قادمة.

***

عاش الجميع تحت الحصار في اليومين الماضيين في ميناء اللؤلؤة، اكتظت السراديب وأنفاق المدينة بالسيدات،

والأطفال، والعجزة، والمسنين، لم يتوقف الملاعين عن القصف خاصةً في ساعات الليل ليصيب الذعر العامة موقنين بأنهم لن يبقوا كثيرًا على قيد الحياة، لكن الجميع كان يمني النفس بأمل النجاة، كثف الملاعين قصفهم للسور الدفاعي الأمامي من أجل إسقاطه، ليتقدموا خطوة للأمام نحو إسقاط الميناء لكنهم لم يكتفوا بهذا بل إنهم وجهوا بعض الضربات إلى ضرب المدينة في العمق؛ ليشتتوا مجهودات المدافعين بين هذا وذاك؛ لذا بدا الضغط واضحًا على «بيدرو» وقادته وهم على طاولة الاجتماع المستمرة دائمًا لبحث كل السبل للنجاة، فالجميع قد أصابه الأرق وقلة النوم جرّاء تلك الحرب الشعواء الغير متكافئة بينهم.

-أيها السادة، هل لديكم أي اقتراحاتٍ لموقفنا الحالي، إن الأمور تزداد سوءًا، إن مقاليعهم قوية للغاية فعمالقتهم لا يتوانوا عن القصف، بهذا الوضع السور الأمامي لن يصمد كثيرًا أيام قليلة وسنرى تصدعات في جسده ليستطيعوا التقدم للأمام أكثر، كما أن المنجنيق والمقاليع الخاصة بنا لا تصل إلا لمقدمة جيشهم الذي يتمركز بالفعل على مسافة بعيدة من القلعة، إنهم يخططون باقتدارٍ لتلك المعركة.

خرجت الكلمات بخيبة أمل كبيرة من «بيدرو» الذي طمح

سابقًا أن تصمد مدينتهم بشكل أكبر، لم يكن يتوقع الكثير فقد بدأ «أنطوي» يحصر لهم بشكلٍ سريع الخسائر التي تعرضوا لها، فهناك إصابات بالغة بين عدد من رجالهم، كما أن المدينة أصبحت ممتلئة بالمقذوفات، وحالة الذعر لدى العامة تنعكس بشكل كبير على الجميع، عليهم أن يجدوا ثغرة ليقموا بردعهم في الأمر لكن الحديث تلك المرة أتى من قبل «جونزالو» قائد الأسطول الحربي المرابض في الميناء.

-أيها السادة، اسمحوا لي برأي بما أن أسطولنا البحري يقف الآن بدون أي اشتراكٍ في تلك المعركة؛ لذا فلما لا نشتت نحن انتباههم ومجهودهم، فقد قاموا بنشر قواتهم على طيلة الحدود الخارجية للقلعة، أعلم أنهم بعيدون عن مدى نيران الأسطول فهم يعوا ذلك جيدًا، لكن ماذا سيحدث إن حركنا نحن الأسطول أو بعض القطع منه لتكون أقرب منهم نقوم بضربهم سريعًا ونعود من جديد لمواقعنا.

أظهر حديث «جونزالو» بادرة أمل ولو مؤقتة للجميع ليطلبوا منه شرح يرمي إليه، أخبرهم أن قواته الحالية لا تكفي لتحريك الأسطول بشكلٍ كامل للقيام بعملية حربية كاملة، لكنه اقترح أن يحرك بعض القطع البحرية بالاتجاهين الشمالي والجنوبي للقلعة وليكون ذلك مع آخر ضوء للنهار

ومع منتصف الليل يقومون بضرب بعض مواقع الملاعين على جانب الشاطئ، بتلك الطريقة سيحدثون خسائر في صفوفهم ليخففوا الضغط عن الضرب الموجه لقلب المدينة، وهذا الأمر الذي سيحدث بعضًا من الإرباك في صفوف الملاعين.

أيد الجميع هذا الرأي ليبدأ العمل سريعًا على تجهيز عددٍ من القطع البحرية الأكثر سرعة لتلك المناورة، حيث قرر «جونزالو» أن يشارك بعشرين سفينة يقسمون على كلا الجانبين ليعلن مع أشعة النهار الأخيرة تحركهم من الميناء، لكنه أحكم المناورة بأن غادرت تلك السفن بعيدًا عن الميناء ليصل الخبر لقادة الملاعين سريعًا بمغادرة بعض السفن للميناء متجهة صوب الغرب، ليتساءل «دوغلاس» عن عددهم ومتى حركوا ليجيبه هذا الضابط بجيش الملاعين:

-لقد تحركوا منذ ما يقارب الساعات الثلاث يا سيدي، لقد راقبناهم حتى تأكدنا من أنهم قد حجبوا عن النظر، يبدو أنهم بدأوا بالفرار من داخل الميناء عبر البحر، أما عددهم فيقارب العشرين سفينة.

بدا القلق على وجه «دوجلاس» بعض الشيء؛ فإن كانوا يخططون للهروب فلما لم ترحل كل سفنهم، لكنه

عاد ليتصفح الخرائط أمامه لمملكة الغرب الكامل قبل أن يسأل معاونه عن وجود أي موانئ أخرى تقبع على الساحل البحري ولا يعلمونها، ليجيبه «أراجونيس» أنه حسب ما لديهم من معلومات وحصر للمملكة فلا يوجد إلا مدن صغيرة بها المراسي البسيطة لقوارب الصيد الصغيرة ولكن لا يوجد موانئ كبيرة كهذا، ليطلب «دوغلاس» بعدها من رجاله مراقبة الميناء عن كثب، وفي حال عودة تلك السفن فليخبروه فإن عادت سريعًا فربما تكون تلك مناورة ما، أما إن تأخرت عودتها فسيكون هذا إجلاء للعامة من المدينة بشكلٍ تدريجي.

***

تأكد «جونزالو» بنفسه من استعداد رجاله بكل ما لديهم من قوة من أجل القيام بتلك الغارة السريعة، تلقى التأكيد من قادة السفن المشاركة بالإشارات الضوئية ليعطي الإشارة بانقسام السفن على كلا الجانبين، ليقود هو القوات التي توجهت نحو الجنوب ليتحركوا بمنتهى السرعة والهدوء، فقد أمر الجميع بعدم إشعال أي أضواء على ظهر السفن حتى لا تكشف من على الشاطئ، كما أمر بإنزال الأشرعة ليتقدموا بهدوءٍ شديد حتى أصبحوا على مقربة من الشاطئ، أمر

بتوجيه المدافع بكاملها صوب جيوش الملاعين حتى أعطى إشارة الإطلاق، لتبدأ قواته بفتح وابل من مقذوفات المدفعية البحرية التي أشعلوها صوب مخيمات الملاعين القريبة من الشاطئ ليفاجأ الجميع بهذا الهجوم الذي تزامن مع هجوم آخر على الجانب الشمالي لجيش الملاعين. وقف الجنود والرجال فوق أسوار القلعة يراقبون بعضًا من مخيمات الملاعين وهي تشتعل ليصيحوا جميعًا فرحين بالتقدم الذي حققوه في تلك الجولة، فبعد أن كانوا في موقف المدافعين ها هم الآن يصبحون مهاجمين لأول مرة منذ بداية هذا الحصار الذي فُرض عليهم.

لم يكن يعلم «دوجلاس» ورجاله ما سر تلك النيران التي اشتعلت في أطراف الجيش لكن صيحات المدافعين في ميناء اللؤلؤة جعلتهم يوقنون أنهم يقفون خلف هذا، ليتساءل «أراجونيس» بغضبٍ ماذا يحدث ليجيبه «دوغلاس» على الفور وهو يستشيط غضبًا من تأخر الفهم الذي يعانيه «أراجونيس» باستمرار.

-ألم تفهم بعد؟ إنها السفن التي شاهدها رجالنا تغادر الميناء تشن هجومًا الآن على رجلنا يا هذا، لتأمروا هؤلاء الرجال بأن ينسحبوا بعيدًا عن مرمى نيرانهم، ولتوجهوا المنجنيق

لضرب تلك السفن سريعًا.

سارع رجال «دوجلاس» في تنفيذ أوامره ليوجهوا قصفهم صوب السفن التي بدأت في الانسحاب سريعًا بعد أن أحدثت أضرارًا لا بأس بها في أطراف جيش الملاعين، وأحدثت الغرض المحدد لتلك الهجمة وهو إيقاف القصف على قلب المدينة بنجاح، ليبدأ هنا الرجال داخل القلعة بتوجيه موجة من المقذوفات لديهم صوب أطراف جيش الملاعين ليقوموا بتأمين انسحاب رفاقهم، تناقلت الأخبار سريعًا من الجنود للعامة الذين لم يمتلكوا أنفسهم من تلك الفرحة بروح الانتصار المؤقت، لتتعالى الهتافات من داخل الميناء مهللين لتدب الحماسة للمرة الأولى في قلوب الجميع منذ فرض هذا الحصار اللعين عليهم.

***

نوبة من الغضب سيطرة على «دوجلاس» الذي شرع في الإطاحة بأي شيءٍ تطوله يده أو قدمه من أمامه، أفرغ كل ما في جعبته من تلك الشحنة من الغضب، قال أن يحاول التماسك من جديد ليعود للحديث برفقة «أراجونيس» وقادة الجيش معهم:

-أريد أن أعلم ما هي إمكانية وصول مقاليعنا ومنجنيقنا

نحو ميناء تلك المدينة، يجب أن يتم تدمير تلك السفن المرابضة هناك.

نظر الجميع صوب «دوجلاس» الذي طالبهم فجأة بتغيير الأسلوب الهجومي، فهو من قرر من البداية الحصار والقصف من على بعدٍ حتى لا يعرض الجنود لأي أضرارٍ تضعهم في مرمى المدافعين بداخل القلعة، ليأتي الرد بالرفض من قبل «أراجونيس» تلك المرة.

-أتدري ماذا تريد منا القيام به؟ إنك تريد أن نسحب المقاليع الخاصة بنا من أمام البوابات الخاصة بالقلعة وأسوارها وأن نتقدم صوب الشاطئ؛ لنكون قريبين كفاية من الميناء لقصف الرصيف الحربي الخاص بهم، إننا بهذا نعرض قواتنا لأن تكون قريبة من مرمى ضرباتهم.

بدأ الجميع يتشاورون طبقًا للخريطة التي أمامهم فإن تقدم القوات للأمام سيكشف قواتهم، أخذوا يفكرون كثيرًا في هذا القرار لرد تلك الهجمات، احتد النقاش ما بين الجميع ما بين موافق ورافض لتلك الأمر إلا «دوجلاس» الذي أخذ يتفحص تلك الخرائط بعناية قبل أن يترك الجميع ويغادر المكان دون أن ينطق بكلمة واحدة، ليتقدم سريعًا صوب جواده لينطلق مسرعًا صوب جنوب الميناء ليتحقق ما

يريده، لحق الجميع به ليجدوه يقف على تلك التبة العالية في جنوب الميناء، لينتظر وصول الجميع بجواره قبل أن ينظر لهم مبتسمًا.

-من هنا أيها السادة سنقوم بضربهم أريد مع سطوع شمس اليوم الجديد أن يجدوا مقاليعنا قد وضعت هنا، أريد أن تكثف الهجمات نحو الميناء بشكل مباشر، وإن استطعتم أن تضربوا سفنهم فعليكم بها، تلك الربوة ستحمي مقاليعنا التي ستكون خلفها، سنضع المقاليع خلفها هنا بين الربوة وبين هذا المضيق المائي، لكن عليكم أن تضعوا رجالنا على كلا جانبي المضيق هنا لن تستطيع سفنهم الوصول فالمياه هنا ضحلة، وإن اقتربوا سيمكننا محاصرتهم من كلا الجانبين كما أنه علينا أن ننصب بعضًا من المتاريس حول المقاليع حتى لا يصيبها أي أضرار.

اقتنع الجميع بما رآه «دوجلاس» من تلك الخطة، ليشرع العمالقة والغيلان في جر المقاليع سريعًا لتتمركز في هذا الموقع الجديد، بينما بدأت سرايا من باقي القوات بتأمين كلا جانبين المضيق المائي ونصب المتاريس من أجل تأمين الموقع الجديد.

***

سارع «بيدرو» وكل مساعديه للذهاب للميناء لاستقبال «جونزالو» ورجاله الذين عادوا مع أول إشراقات الصباح ليهنئه الجميع على ما قام به هو ورجاله، أخبرهم أن مهمتهم قد أتت أُكلها وحققت النجاح المطلوب منها بتشتيتهم، فأخبروه أن القصف قد توقف على القلعة طيلة الليلة الماضية، اجتمعوا تلك المرة في غرفة القيادة البحرية الخاصة بالأسطول بجوار الميناء ليتساءل «بيدرو» عن إمكانية تكرار تلك العملية لمرات أخرى، فما حدث في الليلة الماضية سيجعلهم يغيرون قليلًا في أسلوبهم الحربي باتباع أسلوب الكر والفر الحربي مع الملاعين، ليخبره «جونزالو» أن الأمر يتوقف على نقاط عدة؛ أولًا: عليهم مراقبة تحركات قوات الملاعين، وهل مازالوا متمركزين بالقرب من الشاطئ أم لا؟ فإن استمروا في تمركزهم فسيمكن إعادة الإغارة عليهم لكن بحذر أكبر، أما إن سحب الملاعين قواتهم بعيدًا فسيكون عليهم التفكير في حلول أخرى؛ لأن القصف ليصل لمسافة أبعد، سيتطلب اقتراب السفن بقدرٍ أكبر من الشاطئ وتلك المنطقة ليست مؤهلة لاستقبال سفن كبيرة مثل حوض السفن الموجود في الميناء.

-كل هذا ليس بالأمر الصعب فرجالي مدربون على مواجهة أقصى الظروف البحرية الممكنة، لكن المشكلة الحقيقية أنه

بعد تكرار تلك العمليات سيأتي وقت ونتوقف فيه إن نفدت مقذوفتنا التي نستخدمها؛ لذا فعلينا أن نجعل الترسانة البحرية تعمل على إنتاج المزيد منها لكننا بكل تأكيدٍ سنحتاج لجلب الموارد لتصنيعها، فمخزوننا ليس بالكبير فقد حملت أغلب المقذوفات مع جيش المملكة الذي ذهب لمواجهة الملاعين.

شعر«بيدرو» بثقل الحمل على كاهله لكنه عليه الصمود لأطول فترة ممكنة في هذا الحصار حتى تنفد مواردهم العسكرية، ليتفتق ذهنه لمؤن أخرى وهي مؤن الطعام والحياة ليتوجه بالسؤال لمسئول الخزانة السيد «كلارك» عما هو مخزونهم.

-إن مخزوننا ليس بالكبير أيها السادة، فقد نفدت البضائع من التجار في الأسواق بعد أن تهافت العامة على شرائها، ومخزوننا نحن قد يعطينا خمسين يومًا على أفضل تقدير؛ لذا يتوجب علينا أن نحصل على مؤن أخرى.

حصار آخر يُفرَض عليهم وهو حصار الجوع الذي قد يتعرضون له في الفترة المقبلة ليس هم أو جنودهم فقط بل العامة المرابطين معهم بين أسوار القلعة أيضًا، ليعاود «بيدرو» السؤال من جديد.

-سيد «كلارك»، اعذرني هل لك أن تذكرني بمخزوننا الذهبي والأموال في الخزانة بعد ما أنفقناه، هل هو كافٍ لشراء مؤن خاصة بنا؟

-إن مخزوننا الذهبي والمالي كافٍ بكل تأكيد لشراء مؤن تكفينا لعامٍ مقبل لكل القاطنين بداخل القلعة، لكن كيف سنفعل ذلك؟

-للأسف يا سادة، يبدو أن انهماكنا بإدارة المعركة جعلنا ننسى هذا لما لا نحصل على مؤن مستمرة من ممالك القديسين، سيد «كلارك»، عليك إحصاء السفن التجارية المتواجدة في الميناء، وما هي حمولتها ولتأخذ معك القدر الكافي منها وتبحر غربًا حيث أرض الملاعين؛ لتأتي لنا بمؤن تكفينا لمدة طويلة، وأنت عزيزي «جونزالوا» عليك أنت ورجالك أن تأمنوا خروج تلك السفن من الميناء.

تساءل الجميع عن مدى جودة الأمر ليجيبهم «بيدرو» أن المسافة البحرية من أرضهم حتى ممالك القديسين تستغرق عشرة أيام، وإن افترضوا أن شراء المؤن وتأمينها قد يستغرق عدة أيام والعودة في عشرة أيام أخرى سيجعل هذا الأمر يستغرق ما يقارب الثلاثين يومًا على أقصى تقدير وهي نصف المدة التي لديهم حتى نفاد المؤن لديهم، لم يجد

الجميع أي سبيلٍ لرفض هذا الحل ليتفقوا على أن يقوموا به سريعًا ليخبر كلارك رجاله والتجار بأن يستعدوا للرحيل مع غروب الشمس من قلب الميناء.

***

8

مع ساعات الصباح الأولى حطت السفينة الملكية الخاصة بالملكة «إلينا» رحالها في تلك الأرض المعزولة بعيدًا حيث يطلق عليها أهل الثلج «أرض السحرة»، تلك المنطقة التي عبر لها سحرة «زاندو» الأوائل الذين هجروا أرض «زاندو» برفقة «آل ياشين» ومن تبعوهم عقب الحرب العظمى الأولى، استقروا معهم في بادئ الأمر حتى اطمأنوا على إنشاء مملكتهم الجديدة، لكنهم قرروا أن ينعزلوا عن الجميع فأخذوا يبحثون حتى وصلوا نحو تلك البقعة الجليدية في أقصى الشمال الشرقي لأرض «زاندو» حيث بحر الثلج هناك. استقروا هنا طيلة القرون الماضية سعوا للتأمل والتفكر لتعلم واكتساب مهارات سحرية وعلمية جديدة، ساعدوا أهل الثلج كثيرًا في تطور علومهم وتقدمهم ليستطيعوا التكيف مع تلك الأجواء الصعبة والجديدة عليهم وقتها ليصبحوا أكثر تأقلمًا، مع الوقت أصبح لديهم تقدم حربي في نوعية الأسلحة، وفنون العمارة، والزراعة، والطب، والعلوم، وكافة المجالات، ليؤمن الجميع بمرور الوقت أن خروجهم من أرض «زاندو» لم يكن بهذا السوء بل دفعهم الأمر للتقدم للأمام خطوات كثيرة، بينما سحرتهم ظلوا هنا منعزلين بمجلسهم الأعلى الذي يتكون من سبعة معلمين كبار هم

حماة مملكة الثلج، تتوافد عليهم كل الراغبين في تلقي العلوم وفنون السحر من أبناء المملكة لقنوهم العلوم المطلوبة، بينما فنون السحر تلك كانت للخاصة منهم فقد وضعوا كل من أراد التعلم في اختبارات مستمرة ليروا أنقاهم وأفضلهم لتحمل تلك القوة المهيبة التي يلقنوهم إياها، كان المجلس دائمًا يشكل من أفضل سبعة سحرة وأعظمهم وإن رحل أحدهم يقومون باختيار بديلًا لهم بالانتقاء والانتخاب من بين المتواجدين من متعلمي فنون السحر.

ألقت السفينة مرساها على الشاطئ ليستعد الجميع لنزول الملكة ومستشارها السيد جورج للميناء حيث اصطف حرسها ورجالها من أجل حمل أمتعتها وتجهيز موكبها حتى مقر المجلس، بينما في انتظارهم وقف ثلاثة من معلمي السحر أرسلوا لاستقبال الملكة ليقدموا لها كل التحية والترحيب نيابة عن أعضاء المجلس الذين ينتظرونها في معقل السحر، ليطمئنوا على تجهيز موكبها قبل أن يخبروها أن المسير نحو مقرهم سيستغرق مسيرة يوم كامل، لتشكرهم الملكة على مجيئهم وتصعد لعربتها الملكية، بينما تقدم هؤلاء الثلاثة الموكب ليكونوا هم دليلهم في الطريق بينما في العربة الملكية كانت «إلينا» برفقة عمها «جورج» تحدثه:

-عمي، أعلم أنه سبق لك وأن أتيت إلى هنا من أجل تلقي العلوم والمعرفة فهل لك أن تصف لي المكان هناك؟

ابتسم «جورج» ليتأمل الأجواء حوله قليلًا ليستعيد تلك الذكريات منذ زمنٍ قد ولى عندما أتى إلى هنا في ريعان شبابه لتلقي العلوم والحكمة، كان من بين الأفضل في صفه بين أقرانه كان لديهم العديد من العلوم والمناهج في الغالب كان كل شخصٍ يختص في مجالٍ ما، لكنه قرر أن يتنوع في مجال تعليمه لم يكن بمفرده بل شاركه صديق طفولته نفس الشغف في تلقي العلوم والمعرفة، تنافسا سويًا فمن فيهم الأفضل، توقف بعض الشيء عندما أتى ذكر صديقه هذا ليتمنى في قرارة نفسه أن يلقاه قريبًا، بينما «إلينا» تساءلت عن هذا الصديق فهي لم تسمع به من قبل أهو الآن هنا بين المعلمين لفنون السحر؟ ليعود «جورج» للحديث مرة أخرى مجيبًا عليها:

-لا، يا عزيزتي، لقد كنا نتنافس في صفنا عن من منا الأفضل، كان لديهم نهم وحب شديد للعلم جعله الأفضل بكل اقتدار، لاحظ فيها كبار السحرة النبوغ والتفوق ليصطفوه ليكون أحد المنتقين لتعلم فنون السحر الخفية وتلك مرحلة لا يصل إليها الجميع حتى أن بعض المعلمين هنا لم يصلوا

لها، إنه نوع من فنون السحر يسمونه سر الأسرار، أتقن صديقي هذا كل العلوم ورأى الجميع فيه مالم يروه في أحد من قبله، أما أنا فاكتفيت بالعلوم الدنيوية والفلسفية فقط، أما هذا الرجل غادر أرضنا منذ زمنٍ بعيد قرر أن يحمل مسئولية المهمة المقدسة بأن يكون عيننا في أرض «زاندو»، فقد تبنأ سحرتنا منذ ما يقارب المائة عام بقرب عودة الملاعين وعودتنا إلى تلك الأرض التي هجرناها من قبل لنشارك في تحريرها من هذا العدوان الغاشم، لقد ظل هناك لعقود عديدة كان يراسلنا بأخباره تارة وتنقطع كل السبل إليه تارة أخرى، لكن أعين قادة المجلس لم تتركه أبدًا كانوا يراقبونه ويطمئنون عليه باستمرار ويقال أنه ظل على تواصل روحي معهم، إن هذا الشخص يا عزيزتي هو رسولنا الذي أخبرنا بشأن الحرب وأن الموعد قد اقترب إنه «راجاك».

شعرت «إلينا» بحنين عمها لصديقه القديم فلم تزد في الحديث بل ظلت صامتة لبعض الوقت تتأمل تعبيرات وجه عمها الذي شرد في طيات الماضي البعيد ليتذكر بعضًا منه.

***

توجه «كلارك» سريعًا إلى قصر الحكم في ميناء اللؤلؤة

بعد أن طلب «بيدرو» لقاءه على وجه السرعة ليجده ينتظره بمفرده في غرفة الخاصة في ديوان الحكم، استقبله «بيدرو» بكل هدوءٍ مرحبًا به ليتأكد بنفسه من إغلاق الأبواب وعدم وجود أي شخصٍ آخر في الجوار قبل أن يبدأ حديثه مع «كلارك» بجدية كبيرة وصوتٍ خافت بعض الشيء:

-عزيزي «كلارك»، أعلم أنك رجل تجارة واقتصاد لا غبار عليه، تمتلك من البراعة الكثير؛ لذا فإن تلك الرحلة مهمة للغاية لنا جميعًا، إنها أملنا الوحيد للصمود لكن أريد منك أن تكون رجل سياسة أيضًا، ولا يوجد لدي أدنى شكٍ بأنك قادرٌ على هذا بكل تأكيد.

بدا الانتباه واضحًا على «كلارك» وهو ينصت لحديث «بيدرو»؛ فهو بالفعل يعلم أهمية تلك الرحلة التجارية فعليه أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المؤن الحيوية والهامة من الطعام والشراب لهم حتى يستطيعوا الصمود تحت هذا الحصار المرير، لكن «بيدرو» أخرج من خزانته الخاصة رسالة مختومة ومغلقه ليعطيها لكلارك طالبًا منه إيصالها ليتساءل كلارك على ما في تلك الرسالة وما المطلوب منه.

-أولًا: عليك أن تجعل هذا الأمر سريًا للغاية لا يعلمه أحد غيرنا نحن الاثنان، أما تلك الرسالة فقد تكون أملنا الوحيد

للنجاة من هذا المأزق لكن هذا سيتوقف على مدى قدرتنا على الصمود تحت الحصار وعلى مدى سرعة ذهابك وعودتك من أرض القديسين.

أظهر «كلارك» الكثير من الاهتمام لحديث «بيدرو» الغامض قبل أن يبدأ بيدرو بالشرح له، فتلك الرسالة هي خطاب ملكي من ملوك «زاندو» الراحلين إلى ممالك القديسين الثلاثة، يطلبون فيها من ملوكهم أن يساندوهم في تلك الحرب بأن يجعلوا هناك خط إمداد دائمًا ومشترك بينهم، لقد كان هذا الأمر سريًا وحمل الأمير «ليدلي» بتلك المهمة بالذهاب إلى هناك، لكن ما حدث غير مسار رحلته ليعود من جديد إلى أرض الوسط بعد أن ترك تلك الرسالة أمانة لدى «بيدرو» ليستخدمها وقت الحاجة القصوى لطلب المساعدة.

-أعتقد يا عزيزي «كلارك»، أننا لن نجد وقت أسوأ من ذلك لطلب العون، أعلم أن تلك الرسالة قد لا تحمل أي جدوى أو نفعٍ في ظل رحيل ملوكنا وما آلت إليه أوضاعنا الآن، لكن عليك أن تحاول بكل ما لديك من جهدٍ يا عزيزي لإتمام الأمر، ستذهب إلى ميناء «راوش» حيث مملكة القديس «سيناترو» تلك أقرب نقطة وميناء لنا، لتترك الرجال يتبضعون ولتذهب

أنت نحو الملك «تيجرو»، اطلب منه المدد والمساعدة وأعطه تلك الرسالة هو أقوى وأكبر ملوك القديسين وكلمته مسموعة لدى الجميع هناك.

-بكل تأكيد سأبذل قصارى جهدي سيد «بيدرو»، سأفعل كل ما في وسعي لطلب المدد والمساعدة، لكن ما المساعدة التي تريد فيجب أن يكون طلباتي واضحة لهم.

-أطلب كل شيء، دعهم لأن يأتون بجيوشهم ويساعدونا في تحرير أرضنا، لديك صلاحية كاملة مني بإعطائهم كل الوعود والمميزات في أرض الغرب أو ما تبقى منها، يمكننا أن ندفع لهم ما يريدون إن ساعدونا، ادفع بكل مخزون الخزانة لدينا لهم، إن يوافقون على الحرب فلتطلب منهم المد التجاري المستمر نحو الميناء أو حتى أن يرسلوا سفنهم ليجلوا الرعايا من العزل من المدينة أي حل ستصل له سيكون مفيدًا لنا للغاية يا عزيزي.

لم يكن «كلارك في حاجة لإدارك خطورة الموقف لكن كلمات «بيدرو» أظهرت مدى ضعفهم في تلك المواجهة، فما يقومون به ليس إلا تأجيل لقدرهم المحتوم ليعده بأنه لن يأتي إلا ومعه سبل النجاة من الجحيم الذي ألقوا فيه بدون أي ذنبٍ قد اقترافوه.

***

راقب «دوجلاس» عن كثب ما يقوم به رجاله من تجهيز لهذا الموقع الجديد على تلك التلة المقابلة للجهة الجنوبية للميناء، طلب منهم أن ينصبوا أكبر مقلاع ممكن حتى يحققوا أقصى قدرٍ من الإصابة والأضرار في قلب الميناء، لم يتوقف رجاله عن العمل منذ الهجمات التي حدثت في الليلة الماضية، أُنهك العمالقة والغيلان في جر المقاليع وتركيبها، أخذوا يلعنون كونهم أصحاب جثة ضخمة؛ فقد كان عليهم الحمل الأكبر من خطة الانتصار في مدينة النسور حين حملوا المقاليع والمنجنيق لقمة الجبال المحيطة بالقلعة ليقوموا بضربها من نقاط مرتفعة، وهاهم اليوم يتحملون عبء الرد على الهجمات البحرية بإنجاز عملهم في وقت قياسي، لكن «أراجونيس» كان وسطهم يحفزهم ويشد على أيديهم، يعمل معهم يدًا بيد ليعلنوا قبل انتصاف الشمس للسماء أنهم قد أنهوا تجهيز الموقع الجديد من إعداد خنادق جيدة خلف التلة العالية للمقاليع، وأنها جاهزة لقصف الميناء بخمسة مقاليع كبيرة هي ما يمكن أن تسعه المساحة خلف التلة بدون أن يكونوا مكشوفين للمدافعين بداخل القلعة، يصعد «دوجلاس» أعلى التلة بنفسه ويتأكد من زوايا التوجيه الخاصة بالمقاليع نحو الميناء ليأمرهم ببداية

القصف المتوالي بدون توقف.

تفانى الجميع على العمل من أجل إعداد سفن التجارة لمغادرة الميدان، الجميع يسعى لنقل كل ما يحتاجونه في لك الرحلة لتدب الحياة في قلب الميناء من جديد بعد توقف عن العمل في الأيام الماضية، راقب «جونزالو» سير العمل بجد لكن الجميع التفتوا لتلك القذائف الصلبة التي انهالت على الجانب الجنوبي من الميناء، ليهرع سريعًا ليرى ماذا يحدث بينما بدا الاستنفار في كل مكان في الميناء؛ فقد نجحت بعض القذائف أن تتخطى أسوار القلعة لتحدث إصابات مباشرة في قلب الميناء، ليأمر بإخلاء هذا الجزء من الميناء من أي من السفن الرابطة فيه، ليهرع البحارة مسرعين فوق سفنهم لإخراجها من هذا المرسى خشية حدوث إصابات فيها. وصلت أخبار قصف الميناء سريعًا صوب «بيدرو» لينطلق هو و»كلارك» مسرعين إلى هناك ليلحقهم في طرقات المدينة كلا من «أنطوي» وبراجوس» وعدد من الضباط لديهم، ليفسح العامة لهم الطرقات وهم يسارعون للإيواء في المخابئ تحت الأرض، عند وصولهم وجدوا المدافعين على الأسوار الجنوبية للميناء يتوارون من أثر الهجمات، لينطلق «أنطوي» سريعًا لأعلى الأسوار ليرى ماذا يحدث، بينما رأوا تلك القذائف المستمرة التي تحدث أضرارًا

بالجانب الجنوبي للميناء، بينما جونزالو بين رجاله يقودهم لإخلاء السفن فقد نجحوا بالفعل في قيامهم بهذا الأمر، بينما أصيبت إحدى السفن أثناء خروجها. سادت حالة من الهرج لبضعة ساعات لم يهدأ فيها أحد، بينما القذف لم يتوقف عليهم ليجتمع «بيدرو» وقادته في مقر قيادة الأسطول بالميناء عن انتهائهم من إخلائه ومعاينة الأماكن المتضررة، ليتساءل بيدرو عما يحدث ليأتي الجواب من قبل أنطوي:

-سيدي، لقد نصبوا مكان ما لمقاليع عملاقة في الجانب الجنوبي للميناء عند المضيق المائي، هناك يحتمون بمقاليعهم خلف التلة الموجودة هناك، وتلك تعيق توجه مقاليعنا المتواجدة هنا فإما يأتي الضرب أمامهم أو خلفهم، إنهم بتلك المقاليع العملاقة ذات المدى الكبير يستهدفون الميناء، يبدو أنهم يردون على هجمات الأمس عليهم.

-جونزالو أخبرني، ما هو الوضع في الميناء بعد هذا القصف؟

-سيدي، لقد تضرر الجانب الجنوبي بشدة؛ أصيبت إحدى السفن ولكن نجحنا في إخلاء هذا الموقع من الميناء، كل ما أخشاه الآن أن يكون مدى ضرباتهم أقوى من ذلك، فإن تدمر الميناء ستكون تلك كارثة بكل تأكيد، لكن إخلاء السفن

التجارية سيؤمن لنا أماكن للسفن في قلب الميناء.

تساءل «بيدرو» عن مدى استعداد «كلارك» ورجاله للرحيل، فأخبروه أنهم مستعدون ليطلب منهم «بيدرو» أن يتحركوا على الفور نحو أرض القديسين بأقصى سرعة؛ حتى لا ينفد منهم الوقت، بينما طلب من «أنطوي» أن يكثف فرق المراقبة أعلى أسوار القلعة، يريد تقارير مستمرة بتحركات الملاعين على امتداد الأسوار الخارجية من القلعة، شعر الجميع وكأن ما حققوه في ليلة الأمس من تقدم بخطوة بسيطة قد خفت بريقه بما حدث اليوم بعودتهم للخلف خطوات عديدة، وكأن الملاعين يخبرونهم أنهم تحت طائلتهم في أي وقتٍ من الأوقات، ليشرع كل في عمله سريعًا، بينما تولى «براجوس» نقطة المراقبة في أسوار القلعة الجنوبية المقابلة للقصف علّه يجد ثغرة ما.

***

تسلل السرور من جديدٍ داخل جنود الملاعين لتعلو ابتسامة كريهة وجوههم الملعونة وهم يواصلون القصف للميناء، ليعلم «أراجونس» أن ما خطط له «دوجلاس» كان هو الصواب ليشير إليه بعلامة النصر، بينما «دوجلاس» شكره بإيماءة من رأسه ليشير بيده نحو العقل بإشارة

تعني حسن التدبير والتخطيط، ليعطي إشاره أخرى بعدها لمساعديه بأن يعاود الرجال القصف على كل امتداد خط الحصار وأن يقدموا ضرباتهم نحو قلب المدينة وليس السور الأمامي، ليتقدموا قدر المستطاع وليوجهوا الضربات بأقصى ما لديهم من قوة لينفذ الجميع أوامر قائدهم بكل سرعة ليعلم كل ما في المدينة أن فعلتهم التي قاموا بها في الليلة الماضية لن تكون إلا وبالًا عليهم وأنها مجرد مناورة لا نفع منها.

ظل دوجلاس يراقب القصف حتى رأى المدافعون عن الأسوار يأخذون ساترًا ولا يعرضون أنفسهم مواجهة الهجمات مباشرة ليستريح قليلًا ويعلم في قرارة نفسه أنه قد رد الصاع لهم أضعاف مضاعفة، عمد إلى خيمته الجديدة بجوار التلة ليناقش مع رجاله ما يمكنهم فعله في المرة المقبلة.

-أيها السادة، إن ما نقوم به هنا هي المعركة الأصعب لنا، أسوار المدينة منيعة، لديهم حائطان صد ولديهم ميناء بحري وقطع بحرية يمكنها المناورة كما فعلوا بالأمس، سنستمر بضرب قلب مدينتهم لليوم فقط، ومع الغد سنعود لتركيز ضرباتنا نحو الجدار الأمامي للقلعة يجب أن ننهيه قريبًا

حتى نتمكن من التقدم، أريد قصف متواصل على مدار اليوم عليه، كما أريدكم في أثناء الليل أن تقوموا بصنع تبات يمكن حماية مقاليعنا خلفها لنتقدم للأمام قدر المستطاع حتى يمكننا مواجهة سور القلعة الرئيس.

ظل يوجه رجاله لما يريد تنفيذه في تلك الخطة، حتى أتى أحد الجنود متلهفًا من الخارج ليخبر سيده بأن هناك سفنًا تغادر الميناء من جديد، لينطلق «دوجلاس» لأقرب مكانٍ يمكن منه مراقبة الميناء ويرى تحرك تلك السفن التي زاد عددها عن سفن الأمس يخبر رجاله بحالة التأهب القصوى وحماية المقاليع في موضعها وتشديد الحراس على المضيق المائي، طالبًا من العمالقة حمايته بأنفسهم وإطلاق رماحهم العملاقة على السفن في حالة أغاروا عليهم من جديد.

***

عاد المساجين إلى محبسهم منهكين في نهاية يوم جديد من العمل الشاق، اتفق الجميع في هذا المحبس بدون أي اتفاق على أن ينعزل كل فريق على نفسه؛ «أشوري» ورفاقه أعطوا فرصة لأقرانهم بأن يفكروا في عرضهم، بينما «ليدلي» لم يهدأ عقله في الأيام الماضية عن التفكير ليستقر في الأخير على قراره الذي لا رجعة فيه، ليدعو جميع من في

المحبس فور دخولهم للاجتماع به ليجلس الجميع قبالته منتظرين كلماته لكن من بدأ الحديث كان «أشوري»:

-مرحبًا سيد «ليدلي»، آمل أن تكون قد اتخذت قرارك بشأن ما تحدثنا به، وأتمنى ألا تخيب رجاؤنا.

قال «أشوري» كلماته بكل ودٍ وصدق راجيًا من الآلهة أن يكون قد استطاع إقناع الأمير الموعود ليحققوا الجزء الأول من نبوءتهم الموعودة، لينظر له «ليدلي» بكل هدوء يعلو وجهه ابتسامة بسيطة قبل أن يشرع هو في الحديث تلك المرة:

-لنقل أني أمتلك موافقة جزئية على ما تقوله سيد «أشوري».

-هذا تقدم عظيم سيدي الملك، لكن هل لي أعلم ما قررته في النهاية؟!.

تأمل الأمير ليدلي كلماته التي يود الإفصاح بها ليخبرهم أنه على استعداد لقبول نبوءتهم تلك، لكنه لا يستطيع ترك محبسه للأسباب التي يمتلكها ليخبرهم أنه قد وافق على اقتراح صديقهم «ميلاني» مخبرًا إياهم أنه قرر أن يرسل معهم حارسه الخاص وصديقة الوفي «أندرو»، لينزل الخبر

كالصاعقة على «أندرو» الذي يأبى بأي شكلٍ من الأشكال أن يترك سيده بمفرده في محبسه ويرحل هو معه، ليحاول «ليدلي» تهدئته وإقناعه بالأمر.

-عليك أن تهدأ يا «أندرو»، لا يوجد أمامنا أي سبيلٍ الآن للنجاة بأرض «زاندو» إلا أن نثق بالسيد «أشوري» ورفاقه، وأنت تعلم أني لا يمكنني المخاطرة بالخروج من هنا وإلا أطاحوا برأس «كاترينا»، وتعلم أيضًا كم أثق بك؛ فأنت لست حارسي الشخصي وقائد حرسي أو حتى صديق مقرب مني بل إنك بمثابة شقيق لي «أندرو».

حاول أندرو الاعتراض مجددًا، لم يكن يعلم ما يقول فأوامر أميره يجب أن تطاع بدون نقاش، ليتقرب منه ليدلي ويحتضنه بشدة وبحنوٍ وصدقٍ كبير قبل أن يجذبه إلى جانب ليتحدث له هامسًا:

-صدقني يا عزيزي، إن فراقك أمرٌ صعب في تلك الأوضاع الراهنة لكن عليك أن تذهب معهم أن ترى صدق ما يقولونه، وإن كانت نبوءتهم تلك حقيقية فلتأتي بهم لهنا أيًا كان عددهم وجيشهم، نحتاج فقط لأناسٍ يؤمنون بوحدة «زاندو» وعودتها كما كانت، سأكون بالانتظار إن لم تكن تفعلها من أجلي فافعلها من أجل «كاترينا» حتى نحررها مما

هي فيه.

كانت كلمات «ليدلي» قاطعة، بدا فيها الطلب والرجاء من «أندرو» الذي استجاب لكلمات ملكه ليخبرا أشوري بموافقتهما قبل أن يخبرهم «أشوري» أنهم على أتم استعداد للقيام بالأمرلتبدأ رحلتهم نحو نبوءة أبناء «المنجالا».

***

مع حلول المساء وصل موكب الملكة «إلينا» إلى مقر السحرة أو كما يسمونه «معبد بيلان» نسبة إلى «بيلان رودولف» أحد من ضحوا بأنفسهم من السحرة الأوائل في الحرب العظمى الأولى ليعلو راية أهل «زاندو» خفاقة أمام الملاعين، تقدمت «إلينا» وهي تتأمل روعة المكان فإن كانت هي ملكة مملكة الثلج وتقتني أفخم قصورها، لكن ما تراه هنا من معمارٍ مثير للغاية؛ فالمعبد بُني وكأنه معلقًا في السماء يرتكز على أعمدة سبع تحمله للأعلى يبدو بشكل سباعي متماثلًا في كل شيء، بينما حوله في الأسفل العديد من البنايات والمباني الكبيرة والعملاقة ليبدأ عمها في الشرح لها:

-في الأعلى يا بنيتي، مقر السحرة السبع الأعظم قادة المجلس، هناك يعلم أسمى العلوم وأنواع السحر، وهنا حولنا مبانٍ عديدة كل مبنى يشمل علم بعينه، وهنا يوجد بنايات

الإقامة للمتعلمين والمتدربين وفي الجانب الآخر بيوت المدرسين والعاملين هنا.

عبرت «إلينا» عن انبهارها بالمكان وأنها لم تكن لتتخيل أن تجد مكانًا مماثلًا له هنا في تلك النقطة المعزولة من الأرض، ليقطع حديثهما أحد أدلاء طريقهم من الميناء ليخبروا الملكة أن المجلس الأعلى ينتظرهم في معبد «بيلان» للقاء الملكة التي لم تخفِ سعادتها للدخول لهذا المعبد المهيب والمميز، لتتقدم في كل سعادة حتى تصل إلى هذا البهو سُباعي الأركان الذي يتوسط ركنه الرئيس تمثال بديع صُمم من الثلج، ليخبرها عمها جورج أن هذا التمثال قد صُمم خصيصًا لإحياء ذكرى المعلم «بيلان» وتأبينًا لروحه، لتجد أسفل منه مقاعد سبع بعدد أعضاء المجلس، لتسمع بعدها صوت صرير هذا الباب العملاق من أحد الأركان ليخرج منه المعلمون السبع الكبار، لينحني لهم «جورج» احترامًا لهم، بينما هي اكتفت بإيماءة احترام وتقدير لهم من رأسها ليتقدموا إلى مجلسهم ويشيروا إليهم بأن يجلسوا قبل أن يتحدث كبير المعلمين الذي توسط المجلس.

-أنه لشرف عظيم أن تشرفينا بقدومك إلى هنا سمو الملكة، وإن هذا الحدث ليحمل بين طياته أمر جلل بكل تأكيد.

-شكرًا لك سيدي، إنه لمن دواعي سروري أن أتواجد هنا في ضيافة حماة الشمال ومعلميهم، كما أني أعتقد أنه لا يخفي عليكم ما أتينا من أجله اليوم، فأتمنى أن تكون رسالة الوزير دوراتي قد وصلت إلى هنا عبر الطير قبل قدومنا.

ابتسم كبير المعلمين ليخبرها بأنهم من هنا يراقبون كل شيءٍ يحدث في أرض «زاندو» ومملكة الثلج، وأنهم قد أتاهم رسالة من تلميذهم النجيب «راجاك» والذي يعتبر بمثابة عينهم في أرض «زاندو» فهو ينقل لهم ما يحدث في كل بقاعها، لتتساءل عما يرونه من الرأي والمشورة لديهم في هذا الأمر، ليبدأ المعلم الأكبر بإشارة من يده بإخراج ما يشبه الكرة البلورية لتضئ أمامهم مشعة ليبدأ عليها عرض بعض الأمور تزامنًا على شرحه ورده عليها ليبدو الانبهار واضحًا على الملكة «إلينا» وهي تستمع له:

-سمو الملكة، لتعلمي أنكِ بصدد أمرٍ تاريخي وقرار سيحدث الكثير من التغيرات، لقد ظللنا طيلة قرون وعقود طويلة نراقب ما يحدث في «زاندو» وفي أرض الملاعين لم نتوقف أبدًا عن إرسال رجالنا إلى هناك لقد تطور أهل «زاندو» كثيرًا أنشأوا ممالك قوية، لكن كل تلك السنوات لم تنهِ ما بينهم من ضغينة، حافظ ملوكهم على أراضيهم لكن فخرهم المتزايد

أوقعهم في حربٍ أخرى بكل الأحوال كانت قادمة لا محالة، ما حدث لهم الآن هو شرارة البداية نحو نبوءة توارثها القدماء، تنبأ بها عرافي «الفودا» قبل خروجهم من أرض «زاندو» مع قبائل الغجر ليقطنوا أقصى الجنوب، وهنا عندما أتقنا علوم السحر وفنون التأمل وجدناهم على حق، لتصبح تلك أسطورة تتوارثها أجيالنا لكن أهل «زاندو» تناسوا هذا الأمر كأنه ذهب أدراج الرياح، الآن يا سيدتي تبدأ الأحداث.

أخذ كبير المعلمين يشرح كامل الموقف بكل ما فيه ليضع أمامهم كل الخيارات؛ إما أن يقرروا الذهاب لأرض «زاندو» ومساعدة أهلها في تحريرهم من هذا العدوان لكن سيتوجب عليهم إسقاط من حكموا أرضهم بدماء الخيانة، أو ينتظروا في أرضهم حتى يقضي الملاعين على «زاندو» كاملة ثم يديروا وجهتهم نحو مملكة الثلج ووقتها سيقفون في خانة المدافعين عن أرضهم ففي جميع الأحوال سيتحتم عليهم خوض تلك الحرب، أما الآن وإما لاحقًا. لتتساءل «إلينا» عن مدى المخاطر في حربهم مع أهل «زاندو» ليخبرها كبير المعلمين أن «راجاك» سيسعى قدر استطاعته لاستمالة بعض من أهل «ّزاندو» ليكونوا بصفهم، حاولت «إلينا» أن تستفسر عن كيفية الأمر ليظلوا في حلقة نقاشٍ امتدت حتى ساعات متأخرة من الليل، شرح فيها المعلمون كل ما لديهم

من معلوماتٍ وكل الخطط المحتملة لخوض تلك الحرب وما سينعكس على مملكتهم من ذلك، لكنهم في النهاية أيقنوا أن تلك الحرب هي حرب الوجود بالنسبة لهم، لتأخذ الملكة «إلينا» قرارها بعد مباركة المجلس السحري وتفويض سابق من قادة عشائر مملكة الثلج بخوضهم لتلك الحرب الضروس، ليقرر المعلمون إرسال الرسائل على الفور نحو الوزير «دوراتي» حتى يقوم بحشد كل قوتهم وعتادهم من أجل غزو «زاندو» وتحريرها من قبضة الملاعين، ليعلنوا أنفسهم مقبلين على حربٍ عظمي جديدة سيسطر فيها تاريخ «زاندو» الجديد لتذهب الملكة «إلينا» لمضجعها بمشاعر متضاربة من الحماسة والعزيمة والخوف مما هو قادم؛ فمنذ جدها الأكبر «فينوس ياشين» يعد هذا هو القرار الأكثر حسمًا في تاريخ مملكة الثلج.

***

9

تزينت مدينة الشمس بأبهى حلة لها ليتزامن هذا مع وصول موكب الأمير»فيليب«، استقبل الحرس الملكي لمدينة الشمس الموكب ليرافقوهم سريعًا صوب قصر الضيافة الملحق بالقصر الملكي، بينما سارع «كلاوديو» للذهاب إليهم لاستقبال الأمير فيليب ويرحب كأول الوافدين من أمراء وملوك «زاندو» لحضور الزفاف الملكي، ليجد هناك الوزير «كيني» هو الآخر في استقبالهم ليقف كلاهما بكل ترحابٍ في استقبال الأمير «فيلب» الذي أعرب لهم عن شكره لكم.

-شكرًا لكم أيها السادة على هذا الاستقبال الحافل، يبدو أن مدينة الشمس تستعد لأحد أكثر الأحداث بهجة وسرور في تاريخها.

-لم نقم بشيء سمو الأمير، فهذا أقل بكثير من مقام استقبالك، واعذرنا على أي تقصيرٍ؛ فالجميع يتجهز لهذا الحفل.

-أشكرك سيد «كلاوديو»، والشكر لك أيها الوزير «كيني» على حفاوة الاستقبال، فنحن هنا من أجل المباركة لملك

«زاندو» الجديد على عرشة وعرسه وإنني في اشتياق للقياه.

شكره كلاوديو على حديثه الطيب ومباركته ليخبره أن الملك «أتريموس» يستعد لاستقباله وهو ملوك «زاندو» في مأدبة عشاء على شرف وصولهم في هذا المساء بقصر الحكم، وأنهم هنا من أجل الراحة مخبرًا إياه أنهم أول الوافدين، متوقعين وصول الملكين «تيري» و«كيجان» على مدار اليوم.

-إنه لمن الرائع لقاؤهم أيضًا، كما أن زوجتي الأميرة «ماري» تود لقاء الأميرة «كاترينا» عروس «زاندو» الجديد لتهنئها بزفافها.

حاول «كيني» أن يخبرهم أن الأميرة في نوعٍ من العزلة لكن كلاوديو تدارك الحديث ليخبرهم أنها تستعد لحفل الزفاف، لكن الأميرة «ماري» مرحب بها في أي وقت للقائها، ليصحبهم بعدها نحو الجناح الخاص بهم ليطمئن على راحتهم قبل أن يودعهم تاركًا إياهم لينالوا قسطًا من الراحة بعد عناء هذا السفر.

***

توجه «كلاوديو» للقاء الملك «أتريموس» تاركًا أمور

الضيافة واستقبال الملوك للوزير»كيني» كما هو المتعارف عليه في مدينة الشمس، لكن لحاجة في نفسه أراد أن يستقبل «فيليب» ويرى نواياه من تلك الزيارة، ليجد «أتريموس» ينتظره بكل ترقب ينتظر للأخبار عن هذا اللقاء.

-مرحبًا «كلاوديو»، هل انتهيت من استقبال «فيليب»؟ ولتخبرني كيف كان اللقاء؟

-اهدأ يا عزيزي، لقد استقبلته وهو الآن في قصر الضيافة تحت أنظارنا لقد أوصلته إلى جناحه الذي خُصص له ولزوجته، أما نواياه فهذا ما أقلقني لقد تجاذبت مع أطراف الحديث في طريقنا لجناحه، إنه ليس»فيليب» المتفاخر بنفسه أو بآل «بنتلي» بل نحن أمام شخص جديد متملق للغاية يبدو في نواياه الخبث بعض الشيء.

-هذا ما توقعه «كيجان» من قبل سيطمح «آل بنتلي» ببعض الامتيازات، يريدون أن يحصلوا على نصيبهم من غلتنا في «زاندو»، وفي الوقت الحالي لا يمكننا إثارة الكثير من المتاعب إلينا.

جلس «أتريموس» و»كلاوديو» يتشاورن حول شأن «فيليب» و»آل بنتلي» فهم بكل تأكيد لا يريدون تقليب شعوبهم عليهم؛ فوضعهم الحالي مستقر في مدينة الشمس

بينما الأجواء مشتعلة في الغرب وفي الشرق؛ لذا عليهم أن ينجحوا في استمالة «فيليب» إلى صفهم أيًا كانت الوسائل التي سيستخدمونها في سبيل نجاح مخططاتهم، ليجلسا سويًا يطرحان كل الاحتمالات الممكنة من عطايا تجارية ومالية وكيف يتمكنا من إقناع كلا من «كيجان» و»تيري» بهذا الأمر فور قدومهم، لينتقل «كلاوديو» إلى نقطة أخرى في الحديث.

-حسنًا، يا عزيزي، لندع الآن هذا الأمر ونناقشه مع قدوم شركائنا الآخرين، لكن عليك أن تذهب إلى عروسك الآن لتخبرها أن تستعد لاستقبال ضيوفنا وأن تكون في طلة مناسبه لكونها عروسًا يجب أن تكون تحت السيطرة حتى ينتهي هذا العرس.

صدق «أتريموس» على كلامه لينهيا اجتماعهما ويقرر الذهاب إلى عروسه علّه يستطيع استمالتها إليه بعض الشيء.

***

بادر «أتريموس» سريعًا بتنفيذ نصيحة «كلاوديو» له ليتوجه نحو جناح عروسه «كاترينا» ليجدها كالعادة فضلت اعتزال الجميع ليزداد شحوبها يومًا بعد يوم، لم تبالِ

بتواجده فظلت شاردة في عالم الحزن خاصتها، تقرب منها بهدوء شديد بعد أن انصرفت وصيفتها ربّت بيده على كتفها لتلفت إليه وهي ذاهلة الأعين ليشعر بحزنها الشديد يتغلل ثنايا نفسه، فرغم كل ما يحدث من حوله لكن في قلبه شيء من الإعجاب والحب تجاهها، منذ أمدٍ ليس بالقصير حاول أن يهدئ من روعها ليجلس قبالتها ممسكًا بيدها بدون أي اعتراض منها كأنها لم تعد ترغب بأي شيء في الحياة لينتقي بداخله الكلمات المناسبة لحديثه معها:

-أتعلمين يا «كاترينا»، إن قلبي ليتألم ويعتصره الحزن على ما وصلتِ إليه الآن، فرغم كل ما يحدث بداخلي حنين كبير تجاهك، أعلم أنك قد لا تصدقيني أو تبالي بحديثي هذا، لكن أعدك بأن يتغير كل هذا سأسعى جاهدًا لإزالة أثار الحزن تلك بداخلك أعدك بأن لا أغضبك أبدًا، لكن لا تطلبي مني أمورًا لا يمكن تحقيقها، علينا أن نتأقلم على الوضع الجديد لكلينا لكني لن أجبرك على شيء، أما هذا الزفاف سيكون صوريًا لحفظ وحدة أرضنا من جديد، وبعدها لن أتوقف عن إسعادك بكافة السبل.

نظرت له بضعفٍ وشحوب كبير قبل أن تسحب يديها من بين كفيه لتشير بيدها نحو قلبها.

-هنا تكمن تعاستي لا أحد يستطيع إسعاد هذا القلب بعد الآن، ولا حتى أنت سيدي الملك، فلن يمكن لأحد أن يعيد الزمن للوراء واستعادة من رحلوا عنا، أنت تعلم جيدًا أني أفعل كل هذا من أجل حياة أخي «ليدلي»، فإن كنت تود سعادتي حقًا عدني ألا تؤذيه، دعني أراه مجددًا ولو مرة واحدة، وقتها سأكون طوع أمرك كيفما تريد.

أيقن «أتريموس» صعوبة موقفه معها؛ فقد قتل أباها، وحبس أخاها، وانتزع ملكهم وأرضهم.

-أعدك ألا يمسه أذى طالما بقيت أنا على قيد الحياة، أما رؤيته فهذا الأمر ليس ممكنًا الآن، لكن عندما تسمح الأوضاع به سأجعلك ترينه بكل تأكيد، ففي كل الأحوال هو صهري الجديد.

-إذًا فلتخبرني كيف حاله؟ ماذا يحدث له في «بوزان»؟

-اطمئني يا عزيزتي، لن أسمح لهم بأذيته هو محبوس منفردًا هناك لا يغادره حتى يلين عقله ويهدأ روعه، بعدها سيمكن استدعاؤه لتقرى عينيك به، وأعدك أن يكون على من مقربة منك لكن وقتها سيتوجب عليك نصحه بالانصياع لواقع «زاندو» الجديد.

لم تكن تعلم «كاترينا» ماذا يغير شعورها ويجعلها بهذا الضعف، لكنها ترجته ألا يمسه ضرر وأنها على استعدادٍ كامل لتنفيذ كل ما يطلبها منها، ربّت «أتريموس»على كتفها من جديدٍ قبل أن تدفعه رغبة ملحة بداخله بطبع قبلة على جبينها والأدهى من جرأته في هذا الفعل، لكنه وجدها ساكنة لم تنهره أو تدفعه بعيدًا عنها ليبتسم من أعماق قلبه تجاهه متحسسًا معالم وجهها مطمئنًا إياها وماسحًا لأثار الدموع على وجنتيها قبل أن يخبرها بمأدبة العشاء التي سيقيمها تلك الليلة على شرف حضور ملوك وأمراء «زاندو» الجدد؛ فهو يريدها أن تكون في أبهى حلة ليتحاكى الجميع عن عروس «زاندو» الأولى كما أخبرها أن «ماري» زوجة الأمير «فيليب» قد طلبت لقاءها لترحب هي باللقاء وأن تستضيفها في جناحها قبل الحفل فهذا من التقاليد المتعارف عليها، ليخبرها بموافقته على الأمر فسيسعى لفعل أي شيء حتى يعيدها لرونقها من جديد.

***

ليلة طويلة مرت على المتواجدين في ميناء اللؤلؤة الجميع تحت القصف الذي استهدف الميناء وقلب المدينة ظل «براجوس»، يراقب نقاط القصف بكل ما لديه من

حواس علّه يجد ثغرة تنجيهم من هذا الأمر أو تجعلهم يصمدون لوقتٍ أطول بعض الشيء، ليتوجه نحو غرفة القيادة في الميناء بعدما أخبره رجله بأنهم يطلبونه في اجتماع عاجل، وجد الجميع بانتظاره هناك اعتذر عن تأخره لكنهم أخبروه أنهم للتو شرعوا في اجتماعهم، أخبرهم «جونزالو» أن رجاله تأكد من مغادرة السفن التجارية بسلام وابتعادها بقدرٍ كافٍ يشقون طريقهم نحو أرض القديسين الآن، بينما تساءل «بيدرو» عن أضرار القصف المتواصل ليخبره «أنطوي» بأن مقذوفات الملاعين تصيب العمق خلف الأسوار بعدة أمتار لتحدث أضرار في تلك المناطق بشكل كثيف؛ ولذا فقد أخلوا تلك المناطق من العامة وحتى من عتاد الجيش حتى لا يتضرر.

-سيد «بيدرو»، إن الإخلاء الذين قمنا به لن يساعدنا كثيرًا؛ فوضعهم لنا تحت هذا الضغط ليس في صالحنا أننا نحاول أن نحمي مقاليعنا من تلك الهجمات لأقصى وقتٍ ممكن حتى نستطيع الرد عليهم.

-يبدو أننا في موقفٍ لا نحسد عليه لكن علينا الصمود يا سادة، لا بديل أمامنا لهذا.

-أيها السادة، هل تسمحوا لي برأي ما؟!

انتبه الجميع نحو «براجوس» الذي بدا عليه الإرهاق ليخبرهم أن مراقبته طيلة الليل لهذا القصف المتواصل أسفرت عن عدة نتائج وملحوظات لديه، أولًا إن الهدف الأسمى للملاعين الآن هو تدمير الميناء من خلال القصف الجنوبي ليشرح الوضع أسفل التلة التي يحتمي بها الملاعين والتي تحجب رؤيتهم لتلك المقاليع، وبالتالي صعوبة رصدها وضربها. ثانيًا أنه لاحظ أن القصف طيلة المواجهة ليس مستمرًا بل إنهم يتقدمون بمقاليعهم في مناطق مختلفة، ثم يعاودون القصف من مكان آخر وكأن ما يقومون به هي مناورة بسحبهم لتلك المقاليع لمناطق آمنة حتى لا يطولها القصف من داخل القلعة، لذا فهذا ينبئ أن الملاعين قد يعاودون أسلوب القصف الذي اتبعوه في الأيام الأولى بتوجيه الضربات للسور الأمامي للقلعة، لينتهي أن النقطة الأهم هي حماية الميناء، فلا يجب أن ينتظروا، فيتساءل عن إمكانية احداث ضربة مضادة لتلك النقطة إن أمكنهم ويطرح الرؤيا أمام «جونزالوا» قائد الأسطول.

-إن الأمر في غاية الصعوبة عزيزي «براجوس»، فمقاليعهم تلك قوية ومحمية عن مرمى نيران المدفعية البحرية؛ فلذا سيتوجب علينا الدخول إلى المضيق المائي الصغير وهذا سيجعلها مهمة انتحارية، فبكل تأكيدٍ سيكون المكان مؤمنًا،

كما أن عمق الماء في تل تلك النقط ليس كافيًا لتحمل السفن الحربية.

عاد الجميع لنقطة الصفر مجددًا لكن حماس «براجوس» لم يكن ليقف عند هذا الحد ليطرح عليهم سؤالًا جديدًا؛ ما هو إمكانية التقدم بقوارب صغيرة في الظلام لتقوم بإمرار بعض الرجال على الشاطئ بالقرب من هذا المكان ليقوموا بتدمير تلك المقاليع والعودة من جديد.

-ان هذا أمر انتحاري عزيزي «براجوس»، هذا يعني فقدان هؤلاء الرجال بكل تأكيدٍ واحتمالية فشل المهمة.

-أعلم أن المهمة ليست بالسهلة، لكن هذا إن كنا ننوي الوصول نحو تلك المقاليع لكن سنقذفها من بعيد.

-كيف هذا «براجوس»؟! اشرح لنا ما يدور في خلدك.

-يبدو أيها السادة، أننا تناسينا سلاحًا مهمًا لدينا؛ ألا تذكروا تلك المقذوفات الحارقة قصيرة المدى التي تحصلنا عليها من حلفائنا في ممالك القديسين، أعلم أن الأمر سري ولا يعلم به الكثير لكني كنت أحد هؤلاء الذين كلفوا بتلك المهمة من قبل الملك «ريفيرا»، وقد أبقى أمر هذا السلاح محظورًا على الجميع حتى حلفاؤنا من ممالك «زاندوا».

بدأ براجوس بشرح الأمر للجميع والذي بدا بكونه شيئًا سريًا لا يعلمه إلا قلة قليلة؛ إن تلك المقذوفات هي عبارة عن مواد حارقة ملتهبة يتم قذفها عن قربٍ قد يصل حتى خمسمائة متر، يقوم القاذف بتركيب ما يشبه المقاليع الصغيرة المحمولة، يتم تفكيكها وتركيبها سريعًا في موقع الحدث.

-أعتقد أن تلك الأسلحة قد آن وقت استخدمها أيها السادة.

-»براجوس» إن تلك تقنية ليست معممة ولا يعلم طرق استخدامها إلا قلة قليلة، هذا أمر يحتاج لتصريحٍ ملكي لاستخدامه.

-إن «براجوس» محق أيها السادة كما أنه مع رحيل ملكنا عزيزي «أنطوي» أصبحنا نحن جميعًا في محل القيادة، فلنصوت على استخدام هذا الأمر وأنا أول المؤيدين.

بدأ التصويت بين الحاضرين ليأتي إجماعٌ منهم على القيام بالأمر ليتساءلوا مِن «براجوس» عما هو مطلوب، ليخبرهم أنه سيحتاج معه لنحو عشرين رجلًا على الأكثر ليعلمهم ويدربهم فليتركوا له حرية اختيار من يثق فيه من الرجال، بينما طلبوا من «جونزالو» على أن يجهز رجاله ليقوموا بنقلهم بالقوارب الصغيرة مع حلول الظلام للقيام بتلك

المهمة.

***

تزامن وصول ملكي الشرق والجنوب معًا نحو مدينة الوسط وكأنهما قد اتفقا سرًا على هذا لكنها وحدها الأقدار هي من رتبت تلك المصادفة، ليسارع كيني مستقبلًا «كيجان» ملك الشرق بينما «كلاوديو» سارع لاستقبال «تيري» ملك الجنوب ليرحبا بهما ويستقبلاهما مباشرة نحو ديوان القصر الملكي ليجدوا «أتريموس» يستقبلهم بكل ترحيبٍ بما يليق بهم كملوك «زاندو» الجدد.

-مرحبًا بكم أيها السادة، إنه ليوم فخر وشرف أن نستقبل ملوك «زاندو» هنا في مدينة الشمس، ليكتمل فرحنا وتزداد بوجودكم معنا.

هنأه الاثنان بحفل زفافة ليداعبه «كيجان» هامسًا في أذنه:

-أراك أسعدنا حظًا؛ فقد عدل ثلاثتنا من أواضعهم لنصبح ملوكًا أما أنت جمعت بين الملك وعروس جديد، بينما أنا و«تيري» ظل كل منا مقيض برابطة زواجه الأولى.

ابتسم لهما «أتريموس» بدون أن يعلق، بينما «تيري» المتواجد بقربهم همس لهم هو الآخر:

-إني متأكد يا «كيجان» أنه لو أتيح إليك زوجة مماثلة بدماء ملكية سابقة لما ترددت بأن تجدد زواجك بأي حال من الأحوال.

-وكأنك لن تفعلها أنت الآخر، فثلاثتنا يا عزيزي يجب أن يسمونا ملوك الشهوات والملذات، لكن أنا وأنت حظينا بملذات السلطة فقط أما أتريموس فزاد عليهم ملذات النساء أيضًا.

انفجر كليهما ضحكا بينما «أتريموس» علق بهدوءٍ شديد عليهما محاولًا إنهاء هذا الحديث السخيف قائلًا:

-أعتقد أن نساءكما لو علمتا بهذا الأمر لفكرتا هما من سيخلفكما في الجلوس على عروشكما من أبنائهما بعد أن يفنوكما.

-ولهذا يا عزيزي، أنا لم أصحطب زوجتي معي، أردت أن أحظى ببعض الراحة هنا إن لم تمانعوا بالأمر.

-أنا أيضًا يا «تيري» مثلك أتيت منفردًا، فهل سيرحب بنا عزيزنا «أتريموس» كما ينبغي؟ أم أن لمدينة الشمس قوانين أخلاقية لا نعرفها؟!!

رحب بهما أتريموس مجددًا مخبرًا إياهما أنهما سيجدن

كل ما لذ وطاب هنا وأنهما هنا في موطنهما وبيتهما ليفعلا ما يحلو لهما، ليعود بعدها ويخبرهما بأن «فيليب» أمير قلعة «بنتلي» قد سبقهما إلى هنا وأنه حسب رؤية «كلاوديو» وحديثه معه فيرى لديه تملق ببعض من النفوذ في «زاندو»، فعليهما أن يستعدا لمساومته في مأدبة العشاء التي سيقيمها «أتريموس» على شرفهم مساءً، ليدعهما يذهبان إلى أجنحتهما المخصصة للراحة في القصر الملكي وليس في قصر الضيافة عكس فيليب، ليعمل كل منهما عقله فهذا محك حقيقي جديد لديهما.

***

مع اقتراب المساء توجهت إحدى وصيفات الأميرة «كاترينا» صوب قصر الضيافة مع عددٍ من الحرس لتخبر الأميرة «ماري» أنها بانتظار زيارتها لها لتطلب منها «ماري» أن تنتظر قليلًا حتى تستعد لتخبر فيليب بالأمر، ليقترب منها ويضمها إليه بكل حنوٍ:

-عزيزتي، عليكِ أن تتوخي الحذر والدقة، فإن لمستِ في كاترينا أي تغيير لا تفاتحيها في الأمر، يجب أن نحذر وبشدة فلا نعلم ماذا حدث هنا من تغيرات حتى الآن.

طمأنته «ماري» واعدة إياه أن تأتي إليه بأخبار بعد تلك

المقابلة، لتستدعي وصيفاتها اللواتي حملن الهداية التي أحضرتها معها لتقدمها للعروس، ليتوجهن جميعًا صوب القصر الملكي لتجد الأميرة «كاترينا» تنتظرها في جناحها الخاص ترسم ابتسامة يملأها الشحوب على محياها، لتقدم لها «ماري» الهدايا قبل أن تصرف خدمها، كذلك فعلت «كاترينا» بعد أن أحضروا بعض الطعام والفاكهة لتحية ضيفة أميرتهم، لتشرد «كاترينا» بعض الشيء قبل أن تلم «ماري» ما بها وتبدأ معها بحديث ود أخوي؛ فماري تسبقها في العمر بعددٍ من السنوات تجعلها تمتلك من الخبرة والنضج ما يكفيها لمعرفة ما بتلك الفتاة الضعيفة هنا.

-ماذا بك عزيزتي «كاترينا»؟ نعم، لم أرك منذ زمن بعيد لكن يبدو عليكِ الحزن والشحوب أنتِ تعلمين ما تعنيه لي ومقدار حبنا لوالدك الراحل الملك «شيرار»، وكيف يقدره وحترمه زوجي «فيليب».

-نعم، أعلم والدلائل واضحة بحضوركم هذا الزفاف ومباركة حكم الخونة «لزاندو».

أيقنت «ماري» أن «كاترينا» لم تتغير بالكامل بعد لتخبرها أن قدومهم هنا ما هو إلا للاطمئنان عليها في المقام الأول وقبل أي شيء آخر، لتسخر «كاترينا» أن الجميع يدعي أنه

يريدها بأفضل حالٍ، بينما في واقع الأمر الجميع يريد أفضل المكاسب لها وأن ما تقوله هو محض حديثٍ لا نفع منه.

-إني أعلم ما بكِ يا «كاترينا»، لكن إن كنتِ لا تصدقيني فلتقرأي تلك الرسالة وستعلمي بعدها أننا هنا من أجلك فقط.

أخرجت «ماري» رسالة قد أخفتها بإحكامٍ بين طيات فستانها لتعطيها «كاترينا» التي لم تتحمس لها في بادئ الأمر، لكن عندما وجدت الختم الخاص بالحكيم «توساني» يزين الرسالة التقطتها سريعًا لتفتحها وتقرأ محتواها؛ حيث طمأنها الحكيم «توساني» عليه مقدمًا له تعازيه على فقد والدها وسقوط «زاندو»، ومخبرًا إياها أنه في قلعة «بنتلي» يعملون الآن على إعادة الأمور لما كانت عليه في السابق، طالبًا منها أن تتعاون مع الأميرة «ماري» والامير فيليب وتخبرهما بكل ما تعلمه عن الأوضاع في مدينة الشمس؛ حتى يستطيعوا التحرك من جديد. شعرت «كاترينا» وكأن الحياة قد دبت في أوصالها من جديدٍ، رأت بريق من الأمل يتسلل إلى داخل ثنايا قلبها ليتسلل معه أثر ابتسامة صادقة على محياها لتنظر تجاه «ماري» التي راقبتها بكل سرورٍ لتتقدم منها «كاترينا» وتحتضنها بكل صدقٍ لتنهال عليها بسيلٍ لا حصر به من الأسئلة، وعن وضع الحكيم «توساني»؟

وما هو الشيء الذي يخطط له مع الأمير «فيليب»؟ وماذا يسعون من أجله؟ وكيف سيعيدون الأمور لنصابها من جديد في أرض «زاندو»؟ هدأت «ماري» من طوفان أسئلتها تلك لتطمئنها وتخبرها أنهم الآن يدرسون كل الأوضاع سيستعينون بكل الحلفاء الصادقين في أرض «زاندو» لكن في المقام الأول كل ما يشغل بالهم هو الوصول للأمير «ليدلي» حتى يجتمعوا تحت لوائه، لتسألها عن أي معلومة لديها عنه، انحسرت الابتسامة على وجه «كاترينا» لتروي لماري ما حدث يوم تنصيب «أتريموس»، وكيف اقتحم عليهم «ليدلي» المكان مع رغبة «أتريموس» في قتله لكنها افتدته بقبولها زواجها منه، وأنهم قد نفوه في محبس في «بوزان»، صمتت «ماري» بعض الوقت حتى تستوعب مدى تطور تلك الأحداث التي ترويها «كاترينا» على مسامعها لكن مع ما حدث في «زاندو» مؤخرًا فإن كل شيءٍ أصبح معقولًا ومتوقعًا، لكنها عادت لتتماسك من جديد قبل أن تمسك بكتفي «كاترينا» لتواجهها وتحدثها بكل ثقة وقوة:

-حسنًا، يا عزيزتي، لتطمئني من الآن لن يهدأ لنا بال حتى نحرر الأمير «ليدلي» من محبسه، وأنتِ يا عزيزتي عليكِ أن تتماسكي، أريدك أن تكوني عينًا لنا هنا حتى يعود أخوكِ من جديد ليحكم مملكته وأنتِ بجواره.

تساءلت «كاترينا» كيف لها هذا؟! لتبدأ معها «ماري» مرحلة جديدة من الحديث لتخبرها بباقي الخطة التي وضعها الحكيم «توساني»، كما بدأت في تجهيزها وإعدادها لتظهر بشكلٍ لائق في حفل العشاء الذي يعده «أتريموس» للجميع.

***

نهار جديد قد انتهى في سجن «بوزان» عاد المساجين إلى محبسهم من جديد، تأكد «أنتيكوس» من خلو الممر الخارجي لمحبسهم من الحراس ليشير لهم بأن الوضع آمن ليقترب «أشوري» من الأمير «ليدلي» ليجلس قرابته.

-سيدي، غدًا سنخرج من هنا، يمكنك أن تودع «أندرو» الآن وأن توصيه بما تريد، ولتتأكد أننا سنعود في أسرع وقتٍ ممكن من أجل تحريرك من هنا.

لم يتوقع «ليدلي» ورفاقه أن يكون أبناء «المنجالا» بتلك السرعة في التخطيط للهروب، لينظر «أندرو» لسيده وكأنه يرجوه أن يتراجع عن هذا القرار أو أن يأتي معهم في تلك الرحلة، ليسألهم ليدلي كيف سيكون الخروج من هذا السجن الحصين.

-غدًا وقت عملنا في المحاجر سيكون الفرار على «أندرو»

أن يكون بجوارنا عندما تسمع صيحتنا «منجالا» فلتعلم أن تلك إشارة الهروب، سنتوجه عبر الشرق لنعبر نحو الأمان في الخارج سيكون هناك من يقلنا.

-كيف ستهربون من كل هؤلاء الحراس؟!

-إنه الإلهاء يا سيدي، سنلهيهم لنهرب ولتعلم يا مولاي أن أبناء المنجالا هنا لحمايتك، لا تتعجل في الأمر، على «أندرو» أن يتحلى بالسرعة الكافية في الفرار فقط.

اقترب «أندرو» من سيده ليودعه بكل صدقٍ واعدًا إياه أن يعود لأجله من جديدٍ؛ فهو أبدًا لن يخلف بقسمه على حمايته مهما كلف هذا حتى وإن أفنى حياته.

***

تزينت موائد الطعام في بهو الحفلات والطعام بالقصر الملكي في مدينة الشمس بأشهى أنواع المأكولات والمقبلات، اجتمع كافة النبلاء وكبار مدينة الشمس من أجل الترحيب بضيوفهم الكبار، أشرف «كلاوديو» بنفسه على أن يكون كل شيء في أبهى حلة قبل أن يصحب زوجته لتلك المناسبة الهامة، أعلن الحاجب عن وصول ملكي الشرق والجنوب «كيجان» وتيري» ليصفق الجميع لتحيتهما قبل أن يقودهم

«كلاوديو» نحو المائدة الرئيسة ليأخذا موقعهما هناك، بعدها وصل الأمير «فيليب» أمير قلعة «بنتلي» وبرفقته زوجته «ماري» التي أطمأنت على «كاترينا» وأعدتها لهذا الحفل لتذهب في عجالة لزوجها وتستعد هي الأخرى لهذا الحفل بعد أن أخبرته بما دار، ليشعر بداخله أنهما أخيرًا قد حققا نقطة تقدم ما ليستعد هو الآخر للحفل.

رحب به كلا من «كيجان»و«تيري» ليستأذن بعدها من زوجته وينفرد بملوك «زاندو» الجدد ليحيهما ويبارك لهم ملكهم الجديد.

-إن هذا لأمر رائع عزيزي «كيجان»، أن نحظى جميعًا بدعم وتأييد أمير قلعة «بنتلي».

-أعزائي الملوك، إني رجل دولة أسعى لأمان إمارتي وأهلي، ومن يحقق مصلحة شعبي أنا معه طالما أنكم تعطونا الأمن والسلامة وما يجعلنا في أفضل حالٍ.

-بكل تأكيد عزيزي «فيليب»، فأنت جزءٌ أصيل من «زاندو»، وبكل تأكيد لن يمسكم أحد بأي شيءٍ.

-هذا ما نأمله سيدي الملك «كيجان»، كما نطمح بأن نحظى ببعض الكرم منكم ليكون تشريفًا لنا وليكون «آل بنتلي»

مدينين لكم للأبد.

-يبدو أنك لك بعض التطلعات والطلبات عزيزي «فيليب».

-أيها السادة، إننا الآن في مأدبة عشاء فلما لا نستمتع بها وبعدها نتحدث فيما فيه مصلحتنا جميعًا حتى يحضرنا الملك «أتريموس» هو الآخر.

انصاع الملكان الجديدام لحديث «فيليب» فقد أيقنا بداخلهما أنه يتطلع لشيءٍ يزداد به فخرًا هو إمارته، ليتفقا على الانتظار حتى نهاية العشاء، لتتعالى مع تلك النظرات المتبادلة الأبواق ملعنة قدوم الملك «أتريموس» الذي دلف للقاعة وبصحبته عروسه الأميرة «كاترينا» والتي بدةت في أبهى حلة وطلة لينبهر الجميع من حسنها ودلالها وفي مقدمتهم «كلاوديو»؛ فهو أكثر الحضور معرفة ببواطن الأمور بينها وبين «أتريموس» من عدم تقبل منها له، لكنه لم يكن أول المندهشين بل كان «أتريموس» نفسه هو أولهم حينما رآها تنتظره في جناحها بابتسامة عريضة صادقة تستعد بها لهذا الحفل، حيا الجميع الملك وعروسه بالتصفيق الحار ليتوسط الملك القاعة قبل أن تبدأ الموسيقى بالعزف ليفتتح الحفلة برقصة انفرادية مع أميرته التي أسرت قلبه بحقٍ خاصةً مع تلك الطلة الرائعة، ليتبعوا تلك الرقصة

بأخرى، شارك فيها جموع الحاضرين بصحبة زوجاتهم ليرقص الجميع حول العروسين المنتظرين قبل أن يقترب منهما الأمير «فيليب» وزوجته «ماري» ليحيي العروسين بكل ودٍ قبل أن يهمس الأمير «فيليب» للملك «أتريموس» بهدوء شديد:

-يبدوا أن سيدي الملك وعروسه يدينان بالشكر لزوجتي الأميرة ماري؛ فهي التي جهزتها لهذا الحفل لتكون أبهى عرائس «زاندو».

ليرد لهم «أتريموس» التحية بإماءة من رأسه قبل أن يوجه الشكر للأميرة «ماري» بكلماتٍ رقيقة، والتي حيته هي الأخرى وحيت العروس أيضًا لينظرا لبعضهما نظرة ذات معنى قبل أن يحييها الأمير «فيليب» ويواصل الجميع حفلهم الساهر.

***

استعد «براجوس» ورجاله لتنفيذ مهمتهم الجديدة طالبًا من «بيدرو» بأن يحافظوا على سلامتهم في المقام الأول قبل أي شيءٍ آخر، رافقهم «جونزالو» ليخبرهم بخطة التنفيذ؛ سيتحركون بمحاذاة الساحل بقوارب صغيرة سيكون معهم بعضًا من عناصر البحرية، سيتم إنزالهم

قبيل موقع التنفيذ بمسافة آمنة حتى لا يكشفوا، ليكمل «براجوس» باقي خطته لرجاله العشرين ليتقدموا للأمام على الأقدام بهدوء وسرعة ليقوموا بنصب تلك المدافع الصغيرة التي معهم، التوجيه سيكون باتجاه التلة التي يوجد خلفها المقاليع يجب أن تكون ضرباتهم مركزة سيقومون بشن غارة واحدة، معهم عشرة مدافع يطلقون من كل منهم مقذوفًا واحدًا فإعادة التلقيم يستغرق بعض الوقت، وهذا سيكون بعد كشف مكانهم؛ لذا رسم لهم طريقة الانتشار بشكل قوس في خمس نقاط كل موقع به أربعة رجال بصحبتهم مدفعين، المدفع الأول سيقوم بالإطلاق وبعدها سيتم معاينة الضرر إن كان عليهم إعادة التوجيه للمدفع الثاني أم لا عن طريق تلك البكرة التي تعدل من زاوية اتجاه المدفع عندما تطلق أول نقطة، والتي سيتواجد هو بها أول مقذوف لديهم على باقي النقاط التالية، أن تطلق مقذوفتها الأولى في الحال ليشتتوا الملاعين بعد ذلك سيتوجب عليهم إطلاق المقذوفة الثانية لديهم أيضًا، ستبدأ نقطة تواجد «براجوس» والتي اختارها أبعد نقطة عن الساحل ليتم الإطلاق بعدها بالتتابع من الأبعد للأقرب؛ لإحداث غطاء على انسحاب الجنود سيتوجب عليهم العودة سريعًا صوب القوارب التي ستتراجع سريعًا للميناء، ليكمل

لهم «جونزالو» الخطة أنه أثناء انسحاب القوارب للميناء ستتقدم بعض القطع البحرية الخفيفة لتقوم بفتح نيرانها على الساحل المحيط بالمنطقة أيضًا لتغطية الانسحاب سريعًا، أيضًا سيقوم «أنطوي» بقيادة المدافعين فوق أسوار الميناء لإطلاق بعض من الهجمات بواسطة مقاليعهم لكن تلك المرة ستكون المقذوفات ملتهبة ليشعلوا منطقة تواجدهم بالنيران، فعليهم أن يتحلوا بالسرعة حتى لا تصيبهم نيران القلعة أو القطع البحرية.

تسلل الرجال في قواربهم الخشبية الصغيرة بمحاذاة الساحل، وحتى لا يلفتوا الأنظار اختاروا الاختباء تحت الجرف المتاخم للميناء، ليتقدموا سريعًا نحو منطقة الإنزال التي تتمثل في بداية منحدر يصعد بهم للأعلى ليتقدم الرجال سريعًا في خفة وهم يحملون مدافعهم الصغيرة ليتأكد «براجوس» من كونهم قريبين كفاية من أجل تنفيذ مهمتهم، استقرت القوات المرابطة في النقطة الأولى ليجهزوا مدافعهم ويقوموا بتوجيهها ليتسلل باقي رفاقهم للبقاع التالية واحدة تلو الأخرى، حتى استقر «براجوس» وأربعة من رجاله في النقطة الأخيرة ليشير لهم بأن يستعدوا سريعًا، بينما تقدم هو للأمام بعض الشيء وهو زاحف ليرصد الموقع المستهدف ليجد الملاعين يحصنونه بكل ما لديهم

من قوة، كما شاهد العديد من العمالقة يؤمنون المضيق المائي ليرصد كل شيء ويخزنه في ذاكرته، ليعاود التقهقر نحو رجاله من جديد ليسألهم عن مدى جاهزيتهم.

-إننا مستعدون يا سيدي، وقد قمنا بالتوجه على الدرجة المتفق عليها، لكن هل ترى يا سيدي أن تلك الآلة ستجدي نفعًا؟

-هذا ما سنعرفه الآن يا عزيزي، فتلك هي تجربتنا الأولى لتلك المدافع لدينا «اضربوا».

أعطى «براجوس» إشارة الإطلاق لرجاله ليشعلوا فتيل الإطلاق للمقذوفة الأولى التي انطلقت في السماء بمنتهى السرعة لترطتم بقمة التلة محدثة كتلة رهيبة من اللهب الأخضر لتنطلق بعدها الضربات من النقاط الأربع الأخرى لينجح منهم ثلاثة في إصابة الهدف، بينما مقذوفة أخرى قد فشلت في ذلك ليأمرهم سريعًا بإعادة الضبط للمقذوفة الثانية، ليسارع الرجال للقيام بالأمر ليشيروا إليه بانتهائهم ليعطي الإذن بالإطلاق لتنجح تلك المقذوفة بعبور التلة لتجاور المقذوفات الثلاث التي سبقوها حيث اشتعلت الأرض بتلك النيران الخضراء ليهرع الملاعين ظانين أنه نوعٌ من السحر يستخدمه أهل الغرب لتشتعل تلك الكتل

من المواد الملتهبة بمن يتقرب منها ليذوب جسده ويتحلل تمامًا أو أحد أطرافه التي تتعرض للهب، بينما المقذوفات التالية قد نجحت بالفعل في إصابة تلك المقاليع لتعطلها تمامًا وتجعلها غير صالحة للعمل من جديد، ليصيح قائد تلك النقطة برجاله بأن يتقدموا صوب أماكن المقذف ليوقفوا من يقوم بذلك لتنطلق القناطير سريعًا نحوهم.

تراجع «براجوس» ورجاله صوب المنحدر وهم يحملون مدافعهم ليخبرهم «براجوس» بأن يسرعوا فهناك من يلاحقهم، ليسرع الرجال قبل أن يتوقف «براجوس» لبرهة ليقوم بإشعال فتيل أحد مقذوفات الاحتفالات التي أحضروها من أرض القديسين، لتشتعل تلك المقذوفة متجهة نحو السماء مكونة أشكالًا بهلوانية؛ ليعلم «أنطوي» أن تلك هي إشارة مغادرتهم للموقع ليبدأ بتوجيه الضربات من أعلى الأسوار باستهدافه تلك النقطة، ليفاجأ القناطير بتلك الكتل الملتهبة التي تصيبهم، ليتراجعوا من جديد نحو أماكنهم بينما تقدمت قطعتين بحريتين سريعًا ليقوما بإطلاق مدفعيتهم على الساحل الذي يقف به الملاعين ليفتحوا النيران سريعًا، ليغير الملاعين وجهتهم صوب تلك القطع البحرية لمواجهتها لكنهم كانوا على مسافة بعيدة من مرمى العمالقة، فتلك القطع تقوم بإحداث غطاء على «براجوس»

ورجاله الذين وصلوا أخيرًا نحو القوارب التي بدأت تعود سريعًا أدراجها نحو الميناء.

***

لم يعر»أتريموس» أي انتباه لأي من الحاضرين طيلة الحفل، اهتم فقط بكاترينا التي لاحظ عليها تغيرًا كبيرًا وكأنها لانت بين فينية وأخرى، لم يرد أن يسألها أو يثير حفيظتها كان يكتفي بمراقبتها بكل هدوءٍ، يتبادل الحديث والترحيب بضيوفه إلى أن اتفقوا على الحديث منفردين قليلًا ليتوجهوا نحو غرفة ملحقة بقاعة الحفل، بينما اقتربت «ماري» من «كاترينا» لتطمئنها أنها قد أخبرت الأمير «فيليب» الذي يرسل لها تحياته ووعوده بأن يطمئن بنفسه على الأمير «ليدلي».

استقلى كل من الحاضرين على مقعد مخصص له في هذا الاجتماع الخماسي ليجدد «أتريموس» ترحيبه من جديد بالجميع في تلك الجلسة الخاصة قبل أن يوجه حديثة للأمير «فيليب»:

-أنه لمم دواعي سرورنا تواجدك بيننا سيد «فيليب»، ونحن على أتم استعداد لتوطيد أواصر الود والعلاقات بيننا بكل تأكيد.

-أشكرك على ترحيبكم واستقبالكم الذي صحبه حفاوة وكرم كبير، كما أبارك لكم جميعًا على ملككم الجديد أيًا كانت طريقة الوصول إليه؛ فأنا دائمًا أسعى للتعامل مع الموقف أيًا كان هو.

-ماذا تقصد بحديثك عزيزي «فيليب»؟!.

-أنا لا أقصد أي شيء سيدي الملك «كيجان»، لكن كل من في «زاندو» يعلمون ما حدث، وأنا لا أغير الواقع أو أحدث أي تغيير أنا تعلمت أن أتكيف معه لكني فقط قد أسعى لبعض المكاسب لي ولشعبي.

-ماذا تريد سيد «فيليب»؟ أتطمح في إعفاء ضربي لتجارتكم، أم ترغب في تزويدكم بالموارد؟ لتقل ما تريد.

-بكل تأكيد سيدي الملك «أتريموس»، سأكون سعيدًا لو زادت العلاقات التجارية بيننا وبينكم جميعًا وأن يدعمنا ملوك «زاندو»، لكن ما المانع أن نحصل على بعض المزايا الأخرى أيها السادة.

استفسر الجميع منه عما يرمي إليه «فيليب» ليكون الحديث أكثر وضوحًا، ليفضي إليهم «فيليب» بما يريده بكل جرأة:

-أيها السادة، لقد اقتسمتم جميعًا أرض «زاندو»، كل منكم سعى لتمكين ملكه أعزاؤنا «تيري» و«كيجان» ارتكبا مذابح لا حد لها، لكن هذا شأن داخلي في أرضهم لا شأن لي به، وعزيزي»أتريموس» ها هو الآن يسعى لتعزيز ملكه بحصوله على زيجة من دماء ملكية سابقة ونحن هنا لنحتفل بزفافه. كل منكم نال ملكًا كبيرًا وأنا لا أحقد على أحد أيها السادة، لكن لما يكون لنا قدر يسير من تلك الكعكة، أنتم تعلمون أننا قلعة ومدينة جبلية ليس لدينا الكثير من الموارد في محيطنا، فأنا أطمع في بعض المعونة منك لنأخذ فقط شريطًا أرضيًا على طيلة حدود جبال ألابا يجعلنا نصل إلى بحر الشرق العظيم، هناك توجد قرية يعمل أهلها بالصيد، نريد أن ينضموا لنا خاصةً أنهم منسيون من قبل أهل الشرق، فقط نريد أن نزيد مواردنا من الصيد بدون إنشاء أي أسطول أو قطع بحرية، ويمكنكم أخذ كل ما تريدونه من تعهدات على ذلك، أيضًا نريد شريطًا حدوديًا بمحاذاة جبال الوسط لنحصل على بعض المراعي والغابات الصغيرة من أرض الجنوب لنزرع هناك ما نأكله ونعمل بالزراعة، ولكم كل الضمانات التي تريدوها.

-هل جننت يا هذا؟!! أتأتي إلى هنا لتتشرط علينا؟ وما أدراك أننا قد نوافق على ما تقوله؟!!

-لتهدأ عزيزي «تيري»، أنا فقط أطلب قدرًا يسيرًا مما حصلتهم عليه، أما الآن فعليكم أن تفكروا أن تحظوا بدعم علني من «آل بنتلي» وما يجدونه من مكانة لدى الجميع أو نكون في حالة عداء، أعلم أننا لسنا أقوياء كفاية لمجابهتكم لكننا قادرون على تقليب العديدين عليكم.

أنهى «فيليب» حديثه ليحيهم قبل أن يرحل، ليصب»تيري»و»كيجان»سبابهم ولعناتهم عليه، بينما «أتريموس» ظل هادئًا بعض الشيء ليتركهما يفرغان ما بداخلهما من نوبة الغضب؛ فقد وصل بهم الأمر لأن اقترح «كيجان» قتله هنا في مدينة الشمس وأن يغزو أرضه بجيشه ليعاقبهم على تطاول «فيليب» في حقهم، ليبدي تيري موافقته على الأمر لينظر كليهما نحو «أتريموس» طالبين منه الحديث.

-عليكم أن تهدآ أولًا قبل أي حديث قد يدور بيننا، علينا أن ندرس تلك الأمور بعناية شديدة فنحن لسنا في حاجة إلى أي خلافات الآن.

_أيها السادة، إني من رأي عزيزي «أتريموس» ليس لكونه ابن عمومتي أو ملك ولكن هذا هو العقل.

انصاع «كيجان» و«تيري» لحديث «أتريموس» و«كلاوديو» ليعود الجميع لهدوئه ليناقشوا ما طلبه منهم «فيليب»، ليقضوا ليلة طويلة انتهت باتفاق يرضي الجميع.

***

10

سيطرت نوبة من الغضب على «دوجلاس» وهو يتفقد الموقع الذي تم تدميره، حطم كل شيء أمامه، كال الضربات واللكمات لمن تبقى من حراسه، أطلق العنان لغضبه الجامح مما حدث؛ فالمدافعون في تلك المدينة يتحدونه بكل قوة عندما ظن أنه تقدم خطوة للأمام أعادوه للخلف خطوات أخرى، يعلم أن تلك الهجمات تبث في قلوب رجاله بعضًا من اليأس، سعى ليتمالك غضبه ويحاول التركيز من جديد ليجد «أراجونيس» يقف قد تسلل إليه نوع من اليأس صائحًا بأنهم أعداؤهم استخدموا نوعًا من السحر، فهم لم يروا من قبل مادة يمكنها إذابة الرجال هكذا، ليتقرب منه «دوجلاس» محدثًا إياه بعصبية هامسًا:

-اصمت يا هذا، هل أتريد أن تجعل الذعر يمتد إلى رجالنا؟ عن أي سحر تتحدث أنت؟

-ألا ترى أن ما استخدمه هؤلاء المهاجمون شيئًا غريبًا إنه نوعٌ من السحر لا شك.

أخذه «دوجلاس» على جنب بعيد ليتحدثا منفردين بعيدًا عن رجالهم حتى لا يشيع خبر السحر بينهم.

-إما أن تتحدث بقولٍ يمكننا تصديقه وإما فلتصمت؛ إن أهل «زاندو» قد طردوا كل سحرتهم منذ الحرب العظمى الأولى، إن هذا هو سلاح سري جديد لديهم ليس إلا، علينا الآن أن نهدأ ونتحدث بروية حتى نرى ماذا نفعل.

-لتعطى الأمر لرجالي ونقتحم تلك القلعة ونسقط تلك الأسوار في الحال.

-نعم، سأعطيكم الإذن لتفعلوا هذا، لكن كم من الرجال سيسقط قبل عبور السور الأمامي للقلعة، وبعدها كم سيسقط عن السور الثاني، أتريد أن تحدث فاجعة أخرى كما أحدثت في قلعة «آلانا» بأن تسقط بين صفوفنا خمسين ألف قتيل آخرين.

أنهى «دوجلاس» حديثه الساخر من «أراجونيس» الذي انفجر فيه غاضبًا وصائحًا بكل قوة:

-إياك وأن تسخر مني، إن تلك المعركة واجهنا فيها جيشًا جرارًا منهم يقارب الثمانين ألف مقاتل، وقد أفنيناهم عن بكرة أبيهم، وأنت لتريني ماذا ستفعل هنا كيف ستقتحم تلك القلعة؟ وإلا فلتصمت.

بدا التوتر على كلا القائدين مما حدث، ليحاول «دوجلاس»

ضبط أعصابه مرة أخرى فليس هذا هو الوقت المناسب للخلاف بينهما. على الجانب الآخر بداخل القلعة بدا الارتياح على الجميع مما حدث للمرة الثانية يحدثون تفوقًا نوعيًا على الملاعين، ليعطى «بيدرو» التعليمات بأن يبدأ القصف من المقاليع بداخل القلعة لأبعد عمقٍ ممكن في صفوف الملاعين، ليستثمر ما أحدثه «براجوس» ورجاله من تفوق بأن يكملوا التفوق النسبي، فالآن تحت هذا الحصار هم في حرب نفسية من المقام الأول، حيا الجميع «براجوس» عند وصوله لاجتماع القادة بالقلعة بعد أن تركوه ينال قسطًا من الراحة عقب إرهاقه في الأيام الماضية ليأتي استفسار من «بيدرو» عن مدى قوة المقذوفات التي استخدموها في الليلة الماضية، ومدى إمكانية استخدامها مجددًا وهل يمكن استخدمها في المقاليع لينتظروا الإجابة من براجوس.

-إن هذا الأمر يتوجب التسلل لأقرب نقطة ممكنة؛ فتلك المقذوفات لا تحدث أي نتائج إلا عن فصل السائل الخاص بها والذي يتم بالكامل داخل المدفع الخاص بها وهذا أمر معقد بالنسبة لنا، بالإضافة لأن كل مخزوننا من تلك المقذوفات لا يتعدى المائتين مقذوفة وقد استخدمنا منهم عشر قذائف بالفعل، لكن يا سيدي، يمكننا استخدام شيء آخر قد أحضرناه من أرض القديسين من قبل وأنت تعلم عن

أي شئ أتحدث عزيزي «بيدرو»، لكن دعنا لا نخرج كل ما في جعبتنا مرة واحدة فعلينا أن ننظم صفوفنا وأن نجيد استخدام مواردنا في أضيق الحدود الممكنة فلا أحد يعلم إلى الآن إلى متى يستمر هذا الحصار، لكن يمكننا أن نشن بعض الهجمات عليهم من الحين والآخر، فإن كررنا هجمات مماثلة لهجمة الأمس فسيمكننا أن نقوم بما يصل إلى خمسة عشر هجمة أو ما يزيد قليلًا فعلينا أن نختار الأوقات المناسبة للقيام بذلك.

بدا حديث «براجوس» مقنعًا للجميع ليظهر لهم كم هو قائد حربي محنك يمكنه القيام بأكثر المهام الانتحارية جنونًا، لينصرف الجميع بعدها كل إلى موقعه، بينما طلب منه «بيدرو» البقاء هو و»أنطوي» ليحدثهما في أمرٍ خاص ليستفسر منهما عن السلاح الذي قصده «براجوس» في حديثه أمام الجميع.

-سيد «بيدرو»، أنت تذكر أن في آخر رحلة لنا إلى ممالك القديسين منذ ما يقرب العام برفقتي وعزيزنا «براجوس» والملك «ريفيرا» أحضرنا نوعين من الأسلحة قرر الملك «ريفيرا» أن يتم تخزين كليهما هنا في ميناء اللؤلؤة وبكل تأكيد أن تذكر ذلك، أولهما هو ما استخدمه «براجوس»

ورجاله بالأمس، أما السلاح الأخطر فهو ما يسميه أهل القديسين المقذوفات الانفجارية؛ تلك عبارة عن بلورات زجاجية كبيرة محملة بمواد سائلة خاصة يتم وضعها في المكان المراد تدميره، يخرج من تلك البلورات فتيل طويل يمتد لأمتارٍعديدة يتم إشعاله وعند وصول النيران لتلك البلورات تخلف انفجارًا وحطامًا كبيرة.

ظل «بيدرو» في حالة من السكون يحاول استيعاب ما أتوا به من أرض القديسين فرغم كونه حاكمًا وقائدًا للمدينة إلا أنه لم يسأل من قبل عن نوعية تلك الأسلحة التي تحصلوا عليها من أرض القديسين، ليعود للاستفسار مجددًا:

-هذا يعني أنه لكي نستخدمها يجب أن نزرعها في وسط جيشهم، وهذا أمر مستحيل التنفيذ لكن هل لدينا نوع آخر من الأسلحة لا أعلم عنه شيئًا؟

-لا سيد «بيدرو»، هذان هما النوعان الذان نمتلكهما، لكن استخدام البلورات الانفجارية تلك لي فيها رأي ما إن سمحتما لي؛ فيجب أن نفرض أسوء الاحتمالات فيمكننا أن نستخدم تلك البلورات بأفضل شكل ممكن.

استفسر «أنطوي»و«بيدرو» عما يرمي إليه «براجوس» من حديثه، ليخبرهم أنه لا يتوقع صمودهم لوقت طويل أو على

الأقل سور القلعة الأمامي؛ لذا علينا تلغيمه بتلك البلورات ليكون مقبرة لهم في حال تخطوه، نزلت كلماته وافتراضاته كالصاعقة على كليهما ليعم صمت طويل عليهم استغرق فيها بالتفكير بكل منطقية.

***

لم يكن يعلم «أندرو» كيفية هروبه، كل ما كُلف به أن يقترب من أشوري ورفقته في المحجر ينتظر إشارة البدء المتفق عليها، وضع كامل ثقته وقدر كبير من إيمانه بهم من أجل نصرة سيده وتحرير أرضه ومحبوبته، أدركت الشمس موقعها أخيرًا في منتصف السماء ليحين وقتها تغيير دورية الضباط المسئولين عن حراسة المساجين، ليهمس «أشوري» له بأن يستعد لبداية رحلة الفرار. حاول «أندرو» أن يرصد كل ما حوله ليلاحظ أن عددًا كبيرًا من المساجين بدأوا يقتربون منهم بشكلٍ غير اعتيادي، سعى لحصر كم هؤلاء السجناء لكن سبقه هذا الصياح العالي الذي خرج من أحد السجناء صائحًا بكل ما لدية من قوة «مانجالا» ليعلم أن تلك هي إشارة البدء في الفرار، لكنه تسمر في مكانه بدون إرادة منه كأن حواسه جميعها قد توقفت ليخرج من هذا الصمت بصياح من «أنتيكوس» له يخبره أن هذا وقت الرحيل،

مع تكرار الصيحات عاليًا باسم «مانجالا» انقض ما يقارب الخمسون رجلًا يحملون فؤسهم على الحراس ليشتبكوا معهم، بينما بدأ بعضهم في رشقهم بالحجارة، هنا بدأ عدد من الحراس بأعلى التلة بالنزول لمساندة زملائهم ليشير إليه «أشوري» بالانطلاق في الاتجاه المعاكس ليتبعهم عدد من هؤلاء الرجال حتى وصلوا نحو ممرٍ صغير بين تلتي المحجر، ليقف الرجال ويمنعون الحراس من عبوره ليكملوا هم فرارهم. شاهد «ديجو» ما حدث لتزداد الحماسة في داخله وينقض بفأسه على أقرب الحراس تجاهه ليحطم به رأسه، ليتبعه عدد آخر من المساجين الذين أيقنوا أنهم أكثر عددًا من حراسهم ليتحول الأمر من محاولة إلهاء للهروب لثورة كاملة بداخل السجن ليثور أربعة آلاف سجين على حراسهم الموجودين أمامهم، لينتبه للأمر الضباط الذين انصرفوا ليعودوا من جديدٍ ومن معهم من رجال لردع المساجين، بينما أطلق أحدهم أحد الأجراس القريبة والذي ينبأ عن أي حالة من الإنذار أو الاستنفار العام. تقدم «ميلاني» ركب الفارين فرغم ضآلة حجمه إلا أنه تمتع بقدرٍ كافٍ من السرعة في العبور بين الصخور في هذا المنحدر الجبلى، ليستمروا في العبور والركض بين ثنايا الجبل ليسألهم «أندرو» أيعلمون إلى أين يسيرون؟ أم أنهم فقط يركضون نحو المجهول؟

ليأتيه الجواب من «ميلاني» الذي أخبره أنه قد سبق له الدخول والخروج من بوزان أكثر من مرة استعدادًا لهذا اليوم، وأنه يعلم إلى أين المسير ليتابع «أندرو» الركض خلفهم فلم يعد أمامه إلا أن يكمل ما بدأوه. تعالت الأجراس في كل بقاع السجن ليركض «إيفان» سريعًا من ديوانه متسائلًا عما يحدث، ليجد «أداميوس» أمامه سائلًا إياه عما يحدث، ليجيبه أن الأصوات تعالت من المحجر يبدو أن هناك شيئًا ما يحدث بالخارج، ليأمر إيفان بإرسال التعزيزات إلى هناك كما طلب من «أداميوس» أن يتوجه لتأمين سجن الأمير «ليدلي» سريعًا فهذا هو السجين الأهم لديهم. لم يشعر «ديجو» بنفسه إلا وهو ينقض على الحراس واحدًا تلو الآخر ليستل سيفين من القتلى منهم ليتصدى لباقي الحراس، بينما تبعه جمع آخر من المساجين ليتقدموا للأمام إلى أن نجحوا في السيطرة على الحراس المرافقين لهم، لتتعالى صيحات المساجين ما بين الفرحين وما بين المرددين لاسم «المنجالا» عاليًا من أبنائها الأوفياء الذين أشعلوا فتيل تلك الثورة، لكن تلك الفرحة لم تطل عندما شاهدوا باقي ضباط وحراس السجن وهم يأتون نحوهم مسرعين للإجهاز عليهم، ليركض «ديجو» نحو جواد قريب منه ويعتليه حاملًا السيف الذي بحوذته مستعدًا للقتال، بينما

صاح أحد أبناء «المنجالا» في رفاقه ليقفوا في صفٍ واحد، حمل كل منهم سلاح ما مستعدين للمواجهة ليصيح «ديجو» فيمن خلفه من المساجين للاصطفاف خلفه ليقفوا بعشوائية كبيرة ليخيب رجاؤه في تلك المواجهة قبل أن تبدأ، ليجد رجلًا يخرج من بينهم يمسك بسيف ملقى على الأرض، ثم ينطلق نحو جواد آخر متواجدًا في المكان قبل أن يعتليه ويذهب به ليقف بجوار «ديجو» ليعرفه بنفسه:

-«مارتي ديكلان» هكذا ينادوني، ضابط سابق بجيش مملكة الجنوب لكن تم الزج بي إلى هنا.

-مرحبًا سيدي، يمكنك مناداتي ب «ديجو» ضابط صغير بجيش الغرب زج بي إلى هنا أيضًا، لكن إلى أي مدى يا سيدي ترى هؤلاء الرجال يمكنهم القتال؟

-إنهم جميعًا من المجرمين العتاة، لكن في الحرب النظامية موتهم سيكون سريعًا؛ لذا علينا أن نقودهم بأفضل ما يكون

أنهيا الثنائي حديثهما ليشعر «ديجو» ببصيص أملٍ ولو بسيط ليبقوا على قيد الحياة، ليجد «مارتي» يصيح بالرجال أن يستعدوا جيدًا ليبدأ بعض من الرجال بإطاعته وكأنهم يعرفونه، وأدى بعضهم التحية العسكرية له ليعلم أنهم كانوا جنودًا سابقين هم أيضًا، ليسرع باقي المساجين لاتباع ما

يقمون به من اصطفاف كالقطيع فهي العادة البشرية عندما تجهل أمرًا ما تجد شخصًا آخر لتقوم باتباعه. سارع الفارون الأربعة بالعبور بين ثنايا الجبل ليخبرهم «ميلاني» بأنهم قد أوشكوا على الوصول ليتبعوا سيرهم حتى يصلوا إلى منحدر ليس بدرجة الصعوبة العالية، ليشير لهم للأسفل ليجدوا رجال ثلاثة برفقتهم عدة خيول ليهبطوا المنحدر سريعًا حتى يلتقوا الرجال الثلاثة الذين تقدمهم «برانكو» مَن زج بهم في الحبس من قبل، ليحيى سيده «أشوري» ورفقته ليسألهم هل نجحوا في مهمتهم ليجيبه أشوري:

-ليس هذا وقت الحديث، علينا أن نبتعد عن هنا سريعًا.

لينصاع طوعًا لحديث سيده، ليعطيهم ملابس عادية ليبدلوها سريعًا بملابسهم قبل أن ليتحركوا بعيدًا عن قلعة بوزان ليخبرهم «برانكو» أن وجهتهم ستكون مكان آمن يبعد عنهم بنحو ستين ميلًا ليقضوا فيه تلك الليلة قبل أن يتحركوا في صباح اليوم التالي نحو جبال «آلابا» في أقصى الجنوب. لم يهدأ «ليدلي» في محبسه منذ سمع تلك الأجراس في الخارج، شعر بحركة كبيرة تحدث في الخارج حاول أن يعلم ما يحدث ليطرق بابه مناديًا على الحراس لكن لم تأته أي إجابة، ليعمل بعدها ليحاول الهدوء والسيطرة

على أعصابه لينزوي في مكانه المعتاد بالمحبس قبل أن يشعر بتلك الجلبة التي تحدث في الممر الخارجي قبل أن يسمع أصوات الأقفال لباب محبسه ليتبعها فتح الباب ليجد «أداميوس» وأربعة من الحراس خلفه ليتقدم تجاه ليدلي ليطلب منه مرافقته.

-يبدو أن الأمور لا تسير بخير حال معكم، فإن تلك الأجراس لا تقرع في «زاندو» إلا في حالات التأهب القصوى.

-سيدي، تأكد أني هنا من أجل سلامتك وحمايتك في المقام الأول ،»فلتحيا المنجالا».

أنهى «أداميوس» حديثه الهامس في أذن «ليدلي» الذي نظر له بغرابة شديدة قبل أن ينظر له «أداميوس» نظرة ذات مغزى إيجابي، ليبدأ «ليدلي» بالاقتناع بأن أبناء «المنجالا» قد يكونون الأمل الوحيد له ليحرر «زاندو» مما هي فيه. بدأ حراس القلعة ينظمون صفوفهم أمام أبوابها يقودهم الضباط والفرسان في الصفوف الأولى ومن خلفهم باقي الجنود، بينما اعتلى بعض الرماة الأسوار ظل المساجين في مواقعهم ليبدأ «مارتي» بتوجيههم هو ورجاله ليساعدهم «ديجو» هو الآخر، بينما اصطف أبناء «المنجالا» في الصف الأول أمام أقرانهم السجناء، ليظهروا كجيشٍ همجي يحتمي أغلبه

بالعصى والفؤوس، بينما تسلح بعضهم بالرماح والسيوف التي استولوا عليها مِن مَن أسقطوهم من الحراس، ليقف «ديجو» و«مارتي» سويًا في النهاية يقودان باقي السجناء ليتفق الجميع بدون أي ترتيبٍ مسبق على أن يقودهما هذين الرجلين ليتحدث «مارتي» هامسًا له:

-إن قررنا البدء بالهجوم فسنسقط قبل أن نصل إليهم، وإن قررنا الدفاع فسيحصدون أرواحنا هنا.

-إذًا فعلينا انتظار تقدمهم لنتقدم نحن أيضًا إنها معركة غير متكافئة على مستوى العتاد لكننا نفوقهم عددًا.

-إذًا فلندع الآلهة أن يظهر هؤلاء الرجال ما لديهم من بطشٍ وغلٍ تجاه سجانيهم وإلا فعلينا أن نحفر قبورنا هنا.

-سنحفر القبور اليوم لكن ستكون قبورهم سيد «مارتي».

أنهى «ديجو» حديثه بجد ليتأهب لتلك المواجهة أمام حراس السجن الذين رتبوا الصفوف ليقفوا منتظرين هجوم المساجين، ليتزامن هذا مع وصول «إيفان» لساحة العمل التي تحولت لمعركة ليصيح في رجاله:

-ماذا تنتظرون؟! اجعلوهم عبرة للجميع، مزقوهم لأشلاء، ولتعلموا هؤلاء الرعاع. تحركوا.

صاح «إيفان» في رجاله ليتقدموا للأمام لينطلقون بكل ما أتوه من قوة ليتقدمهم الضباط فوق خيولهم يتبعهم الحراس، بينما انتظر المساجين في مكانهم متأهبين للتصدى لهم إلى أن اقتربوا بشكلٍ أكبر ليشير «مارتي» للجميع ليتراجعوا للخلف، ليعلم الحراس أنهم في نزهة ليقتربوا من الجبل بشكل كافٍ محاولين قمع تلك المظاهرة لكن الأحجار انهالت عليهم من أعلى الجبل بدون توقف؛ فقد وزع «مارتي» الرجال أعلى المحجر طالبًا منهم إلقاء الحجارة عليهم عند هجومهم عليهم ليعوقوهم في التقدم في محاولة جيدة منه لاستخدام طبيعة المكان حوله، بدأ بعض الحراس يتقهقرون للخلف ليحتموا من تلك الكتل الصخرية التي تلقى عليهم، بينما حاول البعض الآخر تنظيم صفوفهم لتكن تلك هي هفوتهم الأولى بالتقهقر ليتحفز معها بعض المساجين الذين انقضوا عليهم من كل مكان ليسقطوا من بقى منهم ويقتلوه بأبشع الطرق الممكنة، انهالوا عليهم ضربًا بالفؤوس والحجارة ليهشموا رؤوسهم ليحملوا ما لديهم من سلاح لاستخدامه، ليشير لهم «مارتي» بأن يتقدموا للأمام لينقض بجواده متقدمًا يتبعه «ديجو» وبعض من الرجال الذين استقلوا جياد الحراس ليأخذوا هم دورهم في رد الهجوم على الحراس الذين ولو الأدبار، لينطلق من خلفهم باقي

السجناء بصياحٍ مرتفع أرعبوا به حراسهم الذين خشوا على نهايتهم، فكل منهم يتذكر ما كاله لهؤلاء الرجال من سوء ليتوقع منهم ما هو أسوأ. بدا «مارتي» و«ديجو» في مقدمة الصفوف كالقادة البارعين، انطلقوا بخيولهم ليشقوا الصفوف ومن خلفهم رجال «المنجالا» ورجال «مارتي» ليتفاجأ الحراس بهم منظمين في هجومهم لينقض المساجين الباقين من خلفهم فكانت أعدادهم تفوق الحراس بضعفين فقلعة «بوزان» بها ما يقارب الستة آلاف سجين، بينما حراس القلعة أقل من الألفين بعدد يسير، شعر «إيفان» بأنها النهاية لتلك السنوات التي قضاها هنا رأى رجاله يسقطون واحدًا تلو الآخر ليصيح في الآخرين بأن يتراجعوا نحو القلعة ليحتموا بها، بينما أمر أحد رجاله بأن يحضر الدعم من مملكة الجنوب، انتبه «ديجو» لتراجعهم نحو القلعة ليشير لمارتي بالأمر لينطلق كليهما وخلفهم بعض من راكبي الخيول من المساجين ليسبقوا المتراجعين نحو أبواب القلعة ليسيطروا على حراسها قبل إغلاقه ليلحق بهم كم كبير من المساجين ليبدأ في إعمال القتل في الحراس ليروا ثورتهم غير المخطط تلك تكلل بالنجاح. انطلق الثنائي «ديجو» ومارتي» بداخل القلعة كأنهما متلازمان منذ زمن بعيد يدافع كل منهما عن الآخر ويحمى ظهره مواصلًا التقدم من رواق لآخر ومن

ردهة لتابعتها، كان هدف «ديجو» هو الوصول صوب «إيفان قائد القلعة الذي بدأ بالركض نحو غرفته حتى يحتمي بها ليجد نفسه في النهاية محاصرًا من كليهما ليستل سيفه أخيرًا مستعدًا لمواجهتهما.

-أيها السادة أعلم أن كلاكما فارسان فهل ترحمان فارسًا مثلكما؟! اتركوني وشأني، وسأترك لكم كل ما لدي من أموالٍ ولترحلا من هنا سأنهي أي اجراءت تتعلق بوجودكما أنتما لم تأتيا لبوزان من قبل .

-ان حديثك هذا متأخر؛ فاليوم ستلقى على يدي جزاء سخريتك من الأمير «ليدلي»

حاول «إيفان» أن يرجو «ديجو» ليقسم له أنه لم يمس الأمير «ليدلي» بأي سوءٍ لكنه لم يفلح فقد انقض عليه، استل «إيفان» سيفه ليحاول صد تلك الضربات لكن الذعر بداخله جعله كالمبتدئ أمام وحش كاسر؛ فقد أطلق «ديجو» الجماح لغضبه ليس غضبًا منه فقط بل غضبًا لكل ما حدث في الفترة الماضية من سقوط أرضه وفقدانه لأصدقاء وغدر قد طال الجميع أذاه، وفي النهاية يقبع هنا أسيرًا في هذا السجن العفن، راقب «مارتي» ما يحدث أمامه ليجد «إيفان» عجوز متهالك أمام «ديجو» الذي مزق كل بقعة في جسده

بسيفه ليملأه بالجروح والدماء قبل أن يقرر أن يرأف به في النهاية ليسكن سيفه في قبله ليدعه يغادر تلك الحياة، ليقف «ديجو» مكانه شاعرًا بكمٍ كبير من الغضب في صدرة لم يخرج بعد ليجد «مارتي» يربت على كتفه محاولًا تهدئته، ليشير له «ديجو» أنه بخير قبل أن يطرح عليه «مارتي» سؤالًا قد تبادر لذهنه:

-لتهدأ يا عزيزي، لكن اعذرني في حديثك مع «إيفان ذكرت اسم الأمير «ليدلي» أي أمير تقصد يا هذا؟!.

تذكر «ديجو» أمر الأمير «ليدلي» ليخبر «مارتي» أنهم عليهم الإسراع لإنقاذه من محبسه ليتجها سريعًا، بينما بدأ «ديجو» يقص عليه بعض مما حدث أثناء طريقهم بعد أن تبعهم عدد من رجال «مارتي» ليصلوا إلى محبسه ليجدوه فارغًا لا أحد به ليصيح «ديجو» سابًا بأقصى اللعنات على القلعة وحراسها.

رغم انطلاقهم بعيدًا عن السجن لكن عقل «أندرو» ظل متعلقًا بالأمير «ليدلي» وما حدث هناك، حاول أن يعلم ما يحدث ليسأل «أشوري» كيف فروا بتلك السهولة من السجن ومن هؤلاء الرجال الذين افتدوهم بأرواحهم وهم يعلمون أن الموت في انتظارهم. بدأ «أشوري» يشرح له عقيدة وإيمان

أبناء «المنجالا» بنبوءتهم الموعودة والتي تتمثل في إنقاذ الموعود ليقودهم هم وغيرهم من أجل توحيد «زاندو» من جديد، أما كيف فروا فالأمر لم يكن بتلك السهولة نبوءتهم أخبرتهم عن أمير سجين يقبع في أشد سجون «زاندو» قسوة وأن هذا الأمر سيحدث مع سقوط ممالكها في حرب عظمى جديدة أمام الملاعين، ليعود «أندرو» ويتساءل مجددًا كيف لهم أن يعرفوا هذا الأمر وكيف جهل أهل «زاندو» تلك الأمور، ليخبره «أشوري» أن لقبائل «المنجالا» العرافين الذين تنبأوا بحدوث كل هذا، بينما أهل «زاندو» قد أخرجوا العرافين والسحرة من أرضها من قبل، أما أهل المنجالا فلم يقل إيمانهم يومًا بتلك النبوءة استمروا لقرون عديدة يتابعون الأوضاع في أرض «زاندو»، أرسلوا من بين أبنائهم الكثيرين لينخرطوا بين أهل «زاندو» وقد نجحوا في ذلك مثل مقليهما «برانكو» و«ميلاني» مرشديهم إلى السجن، أما عن كيفية لقائهم بالأمير فالزج بهم في السجن كان مرتبًا له من البداية فما كان «أداميوس» القائد الذي ألقى بهم في الحبس إلا أحد أبناء «المنجالا» الذي انخرط بين أبناء «زاندو»، بل أصبح ضابطًا في سجن بوزان ومعه بعض الجنود من أبناء «المنجالا» المتخفين، عند اندلاع الحرب سهل «أداميوس» دخول العديد من أبناء قبيلتهم للسجن

كسجناء أعلمهم كل شيء يخص القلعة؛ كيف يكون الهروب، وكيف يكون الصمود، أتينا لننتظر قدوم الموعود وعندما أتيتم أنتم إلى هنا حرص «أداميوس» على أن تكونوا معنا بنفس المحبس، ويوم وصولكم اقتادني لحبس انفرادي ليخبرني بأن هذا هو الأمير الموعود على الأرجح، بعدها تركني لرجال القلعة ليثقلوا جسدي بالركلات واللكمات حتى لا يشك به أحد ويتركوني في اليوم التالي في المحبس مع سيدك، بعد قرار الهروب كان عليّ فقط إبلاغ «أداميوس» بإشارة متفق عليها بدون أي حديث حتى لا ألفت نظرك أو نظر أحد، ليخبر هو باقي أبناء «المنجالا» بأن يستعدوا لعملية الفرار لكن كان الشيء الذي يجهله أنك من ستأتي معنا وليس الأمير ليدلي؛ لذا أرسلت له «ميلاني» في تخفٍ شديد ليخبره في الأمر أثناء فترة القيلولة والراحة في المحجر بالأمس. بدا الاندهاش وبشدة على وجه «أندرو» الذي عجز عن الكلام للحظاتٍ ليستوعب مدى جنون هؤلاء الرجال يفعلون كل هذا ولمدة قرون من متابعة أهل «زاندو» وتعقب سيرة نبوءة قد لا تحدث إلا في الخيال، لكن ها هو الآن معهم يخطون من أجل تحقيق تلك النبوءة الموعودة لهم. هرع «ديجو» في الأروقة الخارجية يبحث عن الأمير «ليدلي» في كل مكان ليسمع مع وصوله لنهاية الرواق صوت

الأمير يأتيه من الخلف مناديًا إياه ليلتفت إليه سريعًا عائدًا إليه ليجد بجواره «أداميوس» وبعض من حراس السجن، ظن «ديجو» أنهم يحتجزون الأمير «ليدلي» ليصيح بمارتي ومن معهم من رجالٍ أن يحرروا الأمير، لكن الأمير «ليدلي» وقف أمامهم صائحًا توقفوا إنهم معنا، ليقف «ديجو» في الثانية الأخيرة يشعر بشيء خاطئ في الأجواء ليسأل الأمير «ليدلي» عما يقول؛ ليخبرهم أن هؤلاء هم من أبناء «المنجالا» وأنهم من بين خطة الهروب، لم يتقبل «ديجو» أو «مارتي» بهذا الحديث ليخبرا الأمير «ليدلي» أنهم يدعون هذا فقط من أجل النجاة بحياتهم، لكن ما حسم الأمر كان قدوم رجال المنجالا الذين أكدوا كلام «أداميوس». انتشر الخبر في كل أرجاء القلعة بوجود الأمير «ليدلي» بين المساجين ليحاول الجميع رؤيته، بينما الأمير هو من خرج لهم للساحة الأمامية يحيط به «ديجو» و«مارتي» و«أداميوس» ورجالهم ليقف الأمير أمامهم خاطبًا بهم:

-أيها السادة، نعم، ها أنا ذا الأمير الأسير، هنا أنا مثلكم سجين يقبع في «بوزان»، لكن القدر قد ساقكم جميعًا لتتحدوا من أجل تحرير أنفسكم، اليوم أنتم سيطرتم على القلعة أسقطم سجانكم، قد أعترض على تمثيلكم بجثثهم لكنكم أخرجتم ما بداخلكم من غضبٍ، الآن نحن جميعًا

أحرار، لكن علينا أن نختار الحرية التي نريدها إما أن نهرب من هنا ويذهب من له أهل لأهله أو يذهب كل منا حيث يشاء، وهناك أيضًا خيار آخر أن يبقى هنا من يريد. أنا سأبقى هنا فتلك هي أول بقعة في «زاندو» تتحرر مما يحدث بها الآن مكوثي هنا لعدة أيام جعلني أغير الكثير من مفاهيمي وقناعاتي بحكم «زاندو»؛ فيجب أن تقوم البلاد بكم وبعامة الشعب ليس بالنبلاء والكبار فقط، أنا هنا سأبقى في تلك البقعة المضيئة فقد حولتم «بوزان» من نقطة سوداء لشعاع من النور يمكننا منه أن نغير «زاندو» بأكملها.

حاول «ليدلي» أن يجذب السجناء حوله وأن يكون منهم نواة أولى لجيشه الجديد، عارضه الكثيرون لكنه لم يسعى للرد عليهم فقد اكتفى بإعطائهم حرية الاختيار؛ فقد كانت لديه نواة من الرجال يمكن الاعتماد عليهم من رجال «مارتي» وأبناء «المنجالا»، لم يقف بعضهم للاستماع لهذا الحديث بل لاذوا بالفرار، بينما كذبه البعض في كونه أمير لكن تصديق «أداميوس» للأمر جعل البعض يقتنع، وأما البعض الآخر بدأ يستمع لحديثه، تقدم هذا الرجل ضخم الجثة من بين الصفوف ليفسح له الجميع المجال عرفه «مارتي» ليتقدم تجاهه لكن الأمير «ليدلي» طلب منه أن يدعه يتقدم، ليتقدم خلفه هذا الرجل جمع من الرجال حتى

وقف قبالة الأمير «ليدلي» بتحدٍ كبير ليشير لمن تبعوه من الرجال بالتوقف ليتحدث معرفًا بنفسه:

-أدعى «إدجارد»، وهؤلاء هم رجالي سيدي الأمير، لكني قد اشتهرت باسم سيد الفولكا اسم عصابتي تلك.

علم الأمير «ليدلي» على الفور الرجل المتواجد أمامه فعصابة الفولكا قد اشتهرت في فترة سابقة كقطاع للطرق بين حدود ممالك الشرق والجنوب والوسط، كانوا يعتدون على التجار بالطرقات ينهبون ويسرقون إلى أن ألقى القبض عليهم وتم إيداعهم في «بوزان».

-ومن منا لا يعرف الفولكا؛ فقد روعتم العديدين ونهبتم أيضًا طرق التجارة في أرض «زاندو»، لكن لا أعتقد أنه يوجد هنا ما يمكن سرقته غير أحجار تلك القلعة.

-لا يا سيدي، فخزانة «بوزان» مليئة بالذهب والعملات النفيسة أكثر مما في ممالك «زاندو» نفسها، لقد كنت في يوم من الأيام أخطط أن أسطو على «بوزان» ليس لأجلي وليس لهؤلاء الرجال، بل لنرسي بعضًا من العدل، كنا نسرق ونضع الهبات للفقراء في القرى المترامية الأطراف على حدود ممالك «زاندو».

-لكن هذا ليس حلًا، السرقة ليست هي الطريق الأفضل لإرساء العدل.

-أعلم هذا يا سيدي، لكن في تلك الأيام وبعد أن غزا الملاعين أرضنا وسلبت منكم عروشكم فأعتقد أن السرقة ستعود من جديد إلى «زاندو» بل بكثرة للغاية، وأنا قد مللت من هذا فوجودي هنا لسنوات عشر جعلني أعزف عن السرقة، لكن لم يجعلني أنسى إرساء العدل للجميع، وأنت يا سيدي، تريد أن نبدأ من هنا مبدأ العدل والعدالة هنا أن يحظى الجميع بحقه بيده وإن كنت تريد حكم القلعة فعليك أن تأخذه بيدك؛ ولذا فعليك أن تخطو فوق كل هؤلاء الرجال حتى تفعل ذلك.

-إذًا فلتذهب تلك القلعة وحكامها للجحيم فلن نتخلص من قمعٍ حتى نصنع آخر، فإن كنتم لا ترغبون بي هنا فأنا سأرحل وأترك لكم تلك القلعة.

استل «إدجار» سيفه قبل أن يضعه بينه وبين الأمير «ليدلي» ليجعل طرفه تجاه صدره ومقبضه في يد الأمير «ليدلي».

-إذًا فلتعاهدنا أيها الملك، أننا إن عاوناك على الأمر لسعيت لبناء «زاندو» جديدة تقوم على العدل والمساواة، أن ترسي

قواعد جديدة يتساوى بها الجميع.

صاح بهم الأمير «ليدلي» ليعد جميع الموجودين أنهم إن ساندوه لجعل «زاندو» أكثر عدلًا ومساواة، كما وعدهم بأن يخلدوا كنواة أولى لجيش التحرير قبل أن يمد يده ليقبض على السيف قبل أن يطلب من «إدجارد» الجلوس أرضًا ليعلن أمام الجميع تنصيب «إدجار» فارسًا في جيش «زاندو» الجديد قبل أن يركع من تبقى من السجناء أمامه جميعًا، ليعلنهم جنود «زاندو» الجدد ويعاهدونه على كونه ملكًا يساعدونه على تحرير «زاندو» مما هي فيه.



11

جلس ملوك «زاندو» الثلاثة في البهو الرئيس لقصر الحكم في مدينة الشمس برفقة «كلاوديو» مستشار مملكة الوسط لينتظروا قدوم الأمير «فيليب» الذي أتى إليهم مباشرة فور أن أخبره حاجب القصر بانتظار الملوك له، ليدخل عليهم بكل اعتزازٍ وفخر ليلقي عليهم تحيته قبل أن يذهب لمجلسه ناظرًا إليهم بكل تحدٍ متسائلًا عما إن كان لديهم جوابًا لطلباته متمنيًا منهم أن تكون طلباته قد نالت القبول، ليجد أن «كيجان» هو أول المتحدثين:

-سيد «فيليب»، قبل أن نعطيك جوابنا فيما طلبت لي سؤال لديك؛ إن كنت تعتقد أننا قد نوافق على هذا الطلب فلتعطني سببًا واحدًا يدفعنا لذلك، فنحن على الجانب الآخر يمكننا أن نرفض طلبك، بل نحفر قبرًا لك في مدينة الشمس هنا.

-عزيزي «كيجان»، رغم كوني مجرد أمير وأنت الآن قد أصبحت ملكًا لكن يا عزيزي، أنا أقدم منك في أمور السياسة. أولًا: لا أعتقد أن تقتلوني هنا؛ فأنا أتيت مباركًا ومهنئًا لملككم جميعًا كما أتيت للاحتفال بعرس الملك «أتريموس»، وأي أذى قد يصيبني فهو بالتأكيد سينال من قدره ومكانته،

وأنا لا أعتقد أنكم جميعًا في حاجة لمثل تلك الأمور، على أسوأ الأحوال سيرفض طلبي وأطرد من هنا وتهاجمني يا سيدي بجيشك الجرار لتسقطوا قلعة بنتلي، لكني سأكون قد أسقطت من رجالك الكثيرين، أما ما يجعلني أتوقع القبول وهو الشيء الأقرب للحدوث هو مصلحتكم العامة؛ فالحاكم مهما كان مقدار قوته هو وجيشه لكنه بكل تأكيد يسعى للدعم الخارجي، وأنتم تدعمون بعضكم البعض وهذا وحده ليس كافيًا فأنتم بالكاد في مرحلة التأسيس، ولستم في حاجة للحصول على أي منغصاتٍ أخرى. أرى أن عزيزنا «أتريموس» قد رتب أوضاعه جيدًا أما كليكما فيطمعان لدعم آخر ربما يكون مني نظير تضحيات بسيطة وفي المقابل أحقق أنا بعض المكاسب البسيطة أيضًا.

-يبدوا أيها السادة، أننا اكتسبنا حليفًا يتمتع بالذكاء والقدرة على المراوغة والمفاوضة.

-إذًا يبدو سيد «أتريموس» أن طلبي قد لاقى قبولًا حتى وإن كان على مضض لكنه فيه الفائدة لنا جميعًا.

أصاب «فيليب» في توقعه فقد نال الإيجاب على طلبه، لكن بعد اعتراضٍ كبير من «تيري» و«كيجان» لكنهما في النهاية قد رضخا لهذا الرأي ليعلنا قبولهم للأمر، لكن مع

تعديل مشروط فيه بأن يحظى «فيليب» بما يطلبه لكن أن تكون تلك المناطق تابعة لمملكتي الشرق والجنوب مع حكم انتدابي من قلعة «آل بنتلي»، وهو مالم يرفضه «فيليب» فموافقتهم بتلك الطريقة هي انتصار له، ليعد «كلاوديو» لهم وثيقة اتفاق يوقع عليها الأطراف الثلاثة ويذيلها توقيع وختم الملك «أتريموس» كشاهد على تلك الوثيقة الجديدة.

شربوا نخبهم لهذا التوقيع لينصرف بعدها كل إلى جناحه، ليظل «أتريموس» وكلاوديو سويًا بعد أن نجحا في إقناع قرنائهم بهذا الأمر قبل أن يخبرهم الحاجب بعودة الملك «تيري» طالبًا لقاءهم، ليسمحوا بدخوله على الفور ليدخل عليهم بكل زهوٍ وفخرٍ قبل أن يبدأ بالحديث:

-أعتقد أننا اليوم أيها السادة قد وقعنا اتفاق لم تخسر فيه مملكة الوسط أي شيء.

-يبدو أن عزيزنا «تيري» يرى أمورًا أخرى لم نرها سيدي الملك «أتريموس»، أو ربما لم يرض عن سعينا جميعًا لإحلال السلام في أرض «زاندو».

-من قال هذا سيد «كلاوديو»، إني داعم قوي للاستقرار في تلك المرحلة، لكن نحن قدمنا الكثير فماذا قدمتم معنا؟

-يبدو يا «تيري» أنك نسيت لمن الفضل في كل هذا من البداية، أنا من أشعلت تلك الشرارة التي جعلتنا الآن نجلس على عروش «زاندو».

-أنا لا أنكر هذا يا عزيزي، لكن نريد بعض التعويض عما قدمناه في اتفاقيتنا مع آل بنلتي خاصة إن كان في جوفي سر كبير عن سجين ما يقبع في «بوزان».

بدت كلمات «تيري» واضحة للغاية؛ فهو يهدف بكل تأكيد لوجود «ليدلي» في سجن «بوزان»، ويريد أن يساومهم على تلك المعلومة ليبدو التوتر جليًا على «أتريموس»، بينما «كلاوديو» بدهائه انفجر ضاحكًا ليبدو عدم الفهم على وجه «تيري»، لما يضحك هذا المخبول وهو يهددهم لكن «كلاوديو» حاول أن يتماسك من ضحكاته الساخره مشيرًا إليهم باعتذاره.

-أعذرني سيدي الملك، لكن لم أستطع أن أتمالك نفسي، يبدو أنك تريد تهديدنا بأمرٍ لا يخفى على الجميع في مدينة الشمس، لقد ألقى القبض على «ليدلي» هنا أمام أعين الجميع وتم نفيه لبوزان بل الأنكى أن هذا كان طلب أخته الأميرة «كاترينا» عروس الملك «أتريموس»، فنحن لسنا بهذا الغباء حتى نضع «ليدلي» في مكان واضح للجميع إن كان يشكل

-يبدو يا «تيري» أنك نسيت لمن الفضل في كل هذا من البداية، أنا من أشعلت تلك الشرارة التي جعلتنا الآن نجلس على عروش «زاندو».

-أنا لا أنكر هذا يا عزيزي، لكن نريد بعض التعويض عما قدمناه في اتفاقيتنا مع آل بنلتي خاصة إن كان في جوفي سر كبير عن سجين ما يقبع في «بوزان».

بدت كلمات «تيري» واضحة للغاية؛ فهو يهدف بكل تأكيد لوجود «ليدلي» في سجن «بوزان»، ويريد أن يساومهم على تلك المعلومة ليبدو التوتر جليًا على «أتريموس»، بينما «كلاوديو» بدهائه انفجر ضاحكًا ليبدو عدم الفهم على وجه «تيري»، لما يضحك هذا المخبول وهو يهددهم لكن «كلاوديو» حاول أن يتماسك من ضحكاته الساخره مشيرًا إليهم باعتذاره.

-أعذرني سيدي الملك، لكن لم أستطع أن أتمالك نفسي، يبدو أنك تريد تهديدنا بأمرٍ لا يخفى على الجميع في مدينة الشمس، لقد ألقى القبض على «ليدلي» هنا أمام أعين الجميع وتم نفيه لبوزان بل الأنكى أن هذا كان طلب أخته الأميرة «كاترينا» عروس الملك «أتريموس»، فنحن لسنا بهذا الغباء حتى نضع «ليدلي» في مكان واضح للجميع إن كان يشكل

أي خطر علينا.

بدا الغضب على وجه «تيري» من حديث «كلاوديو» الساخر، لكنه وجد تأيدًا لهذا الحديث من قبل «أتريموس» الذي توجه قبالته بتعابير وجه متجهمة للغاية:

-عزيزي «تيري»، لقد بدأنا هذا الأمر سويًا كل منا يسعى لمستقبل أفضل له وللجميع، أنا اخترت حلولًا سلمية لتثبيت أركان حكمي، بينما أنت لم تتحلَ بهذا القدر من السلم مع أهل مملكتك ووجب عليك أن تتنازل قليلًا لتحقيق أكبر مكاسب ممكنة، أما أن تأتي لهنا وتحاول أن تساومني أو تهددني فهذا أمرٌ لا نود أن يصير مجددًا بيننا، على كل حال أنت صديق وفي، وسنسعى لتوفير كل الدعم لكن ما حدث الآن عليك أن تنساه تمامًا.

شعر» تيري» بخيبة الأمل وهو يغادر المكان، بينما بدا الغضب على وجه «أتريموس» الذي صاح بالسباب واللعنات عليه، بعدها طلب من «كلاوديو» أن يرسل بعضًا من رجالهم نحو «بوزان» بعد انتهاء العرس ليأتوا بليدلي من هناك؛ حتى يكون تحت أعينهم أفضل من كونه بعيدًا لكن عليهم أن يتحلوا بالسرية في هذا الأمر.

***

حمل «كلارك» على كاهله مهمة كبيرة؛ أولًا: أن يعود بالمؤن الكافية للجميع في ميناء اللؤلؤة بأسرع وقتٍ ممكن من أرض القديسين، وثانيًا: المهمة الخفية التي لا يعلمها إلا هو والقائد «بيدرو» بأن يعود إليهم بدعمٍ عسكري من ممالك القديسين، كان يصارع الوقت حتى يصل لوجهته سريعًا أخذ يحث البحارة على العمل على مدار الساعة، طلب من قادة السفن أن يقسموا رجالهم باستمرار للمضى قدمًا للأمام لا وقت للراحة؛ فتلك الرحلة لا تتحمل أي وقت للتوقف، كان في قمرة القيادة يتابع كل جديد ينظر للخرائط أمامه قبل أن يصل إليه قائد السفينة الرئيسة لتلك القافلة البحرية ليعطيه تقريرًا عن الوضع الحالي:

-سيد «كلارك»، أريد أن أطمئنك يا سيدي، فنحن للآن نسير بسرعة أكبر من المتوقعة لقد خدمتنا الظروف الجوية والملاحية؛ فسرعة الرياح واتجاهها مع اتجاه التيار المائي في تلك الأيام قد يجعلنا نقلل الرحلة من عشرة أيام إلى ثمانية.

-إن هذا أمر رائع سيد «كوستاس»، لكن لتعلم أننا نحتاج لكل وقت ممكن، فهل يمكننا أن نصل في وقتٍ أسرع من ذلك؟

-سيدي، يوجد في القافلة أربعة سفن تم بناؤهم في غضون العامين الماضيين، يمتازن بسرعة عالية يمكنهم الوصول في غضون ستة أيام لكن هذا سيجعلنا نترك باقي القافلة خلفنا، فباقي السفن لا تمتاز بتلك الوسائل الحديثة في السرعة والتحرك، أي أننا إن قمنا بذلك سنصل قبلهم بيومين على الأقل.

أخذ «كلارك» يفكر مليًا في الأمر فهو يريد الوصول بأسرع وقت ممكن، لكنه أيضًا لا يريد أن يحدث تشتيت في القافلة في النهاية طلب الاجتماع بكبار التجار المرافقين له في تلك الرحلة، أخبرهم بالأمر وبأهمية الرحلة لهم وأنهم يسعون لكسب أي وقتٍ ممكن، ليظلوا وقتًا طويلًا من التشاور والأراء المقترحة حتى يستقروا في نهاية الأمر بأن تتقدم تلك السفن الأربعة سريعًا نحو أرض القديسين وسيرافق «كلارك» عدد من التجار المعروفين وبشدة في أرض القديسين، ليقوموا بإبرام التعاقدات والتوصية على المؤن المطلوبة للجميع، بينما سيظل كبير التجار مع باقي القافلة ليقودهم نحو أرض القديسين؛ ليستطيعوا كسب بعض الوقت فاليوم الواحد قد يغير الكثير في مستقبل أهلهم وأقاربهم الباقين في ميناء اللؤلؤة تحت الحصار.

***

ساد الهدوء على أسوار ميناء اللؤلؤة وكأنه اتفاق مسبق بين كلا الطرفين على هدنة لإعادة ترتيب الصفوف، استمر المدافعون في مراقبة ما يحدث في الخارج وجدوا تراجعًا جزئيًا لجنود الملاعين، لم يكن تراجعًا عن مواقعهم لكنه نوعٌ من التوقف عن الموقف الحربي؛ الجنود تخلوا عن زيهم العسكرى لجأوا للراحة، أعدوا حلبات للقتال والتدريب، تركوا المقاليع والمنجنيق الخاص بهم أعدوا سباقات بين الخيول والقناطير، كما وكأنهم في نزهة وليسوا في معركة، شعر بعض الجنود بأنهم نجحوا في صد الملاعين بينما انتاب البعض الآخر القلق، لكن «بيدرو» ورفاقه من قادة الجيش علموا أن هذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة، أمر «أنطوي» بوضع الجنود في حالة استنفارٍ قصوى على مدار الساعة ليحدثوا تناوبًا في الفترات ما بين الحراسة والراحة، بينما طلب «براجوس» من «بيدرو» و«أنطوي» أن يبدأ في تلغيم السور الأمامي ليعطياه الإذن للقيام بالأمر. على الصعيد الآخر لم يكن أحد يعلم ماذا يدور في رأس «دوجلاس»؛ فقد أمر رجاله بأن يلجأوا للراحة والمرح ليوقفوا كل ما له علاقة بالقتال، لكن ليتركوا دوريات متتالية من الحراسة المستمرة، لم يفصح بما في نفسه لأحدٍ حتى ينفذوا ما

يريده منهم فقد تحول بسرعة عجيبة من قمة الغضب والإطاحة بكل من يواجهه بعد تدمير موقع المقاليع المواجه للميناء، ليصبح بعدها في قمة الهدوء وكأنه تحول لكتلة من الجليد، حاول الجميع أن يعرف ما يرمي إليه لكنه أخبرهم أنه لن يفصح عن أي شيء إلا بعد أن ينفذوا ما يريده منهم، لكن «أراجونيس» لم يعد به صبر أو احتمال لما يحدث ليذهب إليه لمواجهته ومعه جمع من قادة الجيش الأدنى درجة ليحاولوا معرفة ما يدور في ذهنه، وجد «دوجلاس» هذا التجمهر الذي بدأ في لفت انظار الجنود القريبين منهم، ليطلب منهم أن ينضموا إليه في خيمته الخاصة لكنهم رفضوا الأمر ليأخذهم بعيدًا عن الجنود ليحدثهم فيما يفكر فيه:

-أيها السادة، في بادئ الأمر لا يجب أن يحدث هذا الأمر الآن، فأنتم تثيرون البلبلة بين قواتنا، أما ما فعلته فهو أمر نفسي بحت، إنها حرب نفسية الآن مع المدافعين داخل القلعة علينا أن نظهر لهم أننا لا نبالي مما قاموا به، فهم بكل تأكيد يعتبرون ما قاموا به في الأيام الماضية من صمود أمامنا، وهو كذلك بكل تأكيد إن هذا الأمر كفيل بأن يدمر ثقة جنودنا بأنفسنا؛ ولذا علينا أن ندعم جنودنا وأن نعطيهم الراحة وكامل الثقة في أنفسهم علينا أن نربك حسابتهم.

-لكن بهذا الشكل أنت تعطيهم الفرصة لكي يعيدوا ترتيب أنفسهم من جديد تمنحهم الوقت لالتقاط الأنفاس.

-لن يدوم الأمر طويلًا عزيزي» أراجونيس»، غدًا مع أول ضوء للشمس سنحاول قصف السور الأمامي للقلعة من جديد، لكن تلك المرة لم نفعل غير ذلك، أريد أن يكون السور عبارة عن حطام مع نهاية اليوم أيها السادة أو بعد الغد على الأكثر.

بدأ «دوجلاس» بشرح خطته للقادة المرافقين؛ سيجعلون القصف متواصلًا على أبواب القلعة فقط، يركزون عملهم على ذلك حتى يسقطوها ليكون عبورهم بعدها للأبواب الثانية، أتاه بعض الاعتراضات من رجاله بأن تلك الأسوار أثبتت قوتها في الصمود لقصفهم المتوالي؛ فالأسوار قد بنيت بنظام تتابعي أي أن السور الأول عبارة عن جداريي قويين سمكهما كبير فلما لا يهجمون بكل قوتهم على تلك الأسوار ليسقطوها بقوة الغيلان والعمالقة معًا، لكنه عاد معهم لنقطة البداية بأنه اختار فكرة الحصار من بداية غزوهم لتلك القلعة لأن إقدامهم على تلك الفعلة سيجعلهم في مرمى نيران المدافعين، مما سيجعل احتمالية سقوط العديد من رجالهم في الفوج الأول من تلك الهجمات وهو أمر سيكون كارثيًا

فإن كانوا يريدون السيطرة على الميناء فهم في المقام الأول يريدون الحفاظ على قوتهم ليختتم حديثه:

-أيها السادة، لقد شهدنا في الهجمة الأخيرة التي قام بها المدافعون في تلك القلعة أنهم يمتلكون أسلحة لا نعلم ما هي وبكل تأكيد لا نعلم ما هي كميتها أو نوعيتها؛ لذا فعلينا أن نحافظ على رجالنا وهذا ما آتانا من وصايا السيد قبل تلك الحرب، فأنا لا أريد أن أفقد خمسين ألف مقاتل آخرين مثلما حدث في موقعة «آلانا» مع عزيزنا «أراجونيس».

-إن الوضع كان مغايرًا في «آلانا» لقد هاجمنا جيشًا جرارًا كان قوامه ثمانين ألف مقاتل من أبناء الغرب وكان أمامنا عائق مائي لكن هنا لا يوجد أي من ذلك.

-نعم، لا يوجد هناك جيشًا قادمًا لمهاجمتنا لكن يوجد بداخل تلك القلعة الآلاف من العامة والمقاتلين سيدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة، كما يوجد أمامنا عائقين حصينين لأسوار تلك القلعة، كما أنه في غضون أيام قليلة سيصل إلينا تعزيزات من أبناء السيد وقتها سيمكننا أن نسقطهم بوقت أسرع.

كعادته استطاع «دوجلاس» أن يكسب ثقة قادة جيشه حتى وإن طال النقاش لكن في النهاية انصاعوا لأوامره

وقراره لينطلقوا بين رجالهم يضفيون أجواء من المرح والكثير من الاستهتار بالمدافعين خلف القلعة وهم يعلمون أنهم يراقبونهم عن كثب، بينما اهتم بعض القادة الآخرين بالتأكد من كفاءة المقاليع والمنجنيق لديهم ليستعدوا لقصف القلعة في اليوم التالي.

***

توجه هذا الركب البسيط المكون من خمسة أفراد بأقصى ما لديهم من سرعة لأقصى الجنوب كانوا يخرجون أقصى ما في جيادهم من سرعة، لم يعد أمام «أندرو» أي خيارات يصارع معهم الوقت للعودة لسيده «ليدلي» من جديد، بينما «أنتيكوس» يشتاق للعودة لأرض»المنجالا» من جديد بعد أن نجحوا في مهمتهم المقدسة ليجعل هذا الأمر يزيده فخرًا ومكانه، بالإضافة لكونه أفضل مقاتلي قبائل «المنجالا»، بينما «أشوري» قد ملأ قلبه شغفًا بتلك المحبوبة التي سيمر عليها في طريقه سيمضي قدمًا نحو أرضه لكنه في طريقة سيطمئن على قلبه الذي أسكنه في صدر «أديلا» كان برفقتهم «ميلاني» دليلهم في الطريق ومعهم «برانكو» الذي أثر على مرافقتهم حتى جبال الألابا للاطمئنان عليهم، بينما طلب من رجاله أن يراقبوا كل أخبار سجن «بوزان»

حتى يعود لهم فالآن قد فروا وبرفقتهم أميرهم «أشوري» لكن الموعود مازال حبيسًا هذا السجن الحصين وعليهم أن يسعوا لتأمينه فهم يثقون في أحد أهم رجالهم بداخل القلعة «أداميوس» ورفاقه من أبناء «المنجالا».

***

بداخل «بوزان» تحولت الأقدار بين ليلة وضاحاها؛ فمن كانوا سجناء الأمس ها هم يرتدون زي حراسهم الآن ليعلنوا أنفسهم نواة أولى لجيش تحرير «زاندو»، أمر الأمير ليدلي بحفر مقبرة جماعية ليضعوا بها جميع القتلى في المعركة التي حدثت في اليوم السابق ليقف هو بنفسه ليقود مراسم تأبينهم ليصطف الجميع خلفه وهو يخطب في رجاله:

-أيها السادة، لتعلموا أني لست سعيدًا بكل تلك الدماء المهدرة فلم أكن أتمنى يومًا أن أن يقتل أبناء «زاندو» بعضهم البعض، أعلم أنكم عانيتم الأمرين هنا على يد هؤلاء الرجال لكنهم أبناء تلك الأرض، اليوم نحن نؤبنهم لكن لنتعاهد جميعًا ألا نرفع سلاحنا إلا على من يعتدى علينا حتى نرسي قواعد العدل في تلك الأرض من جديد.

أنهى حديثه قبل أن يقترب من تلك المقبرة الجماعية ليلقي بها تلك الشعلة التي بيده لتشتعل النيران بأجساد من

فيها، ليتأمل ما يحدث أمامه داعيًا ومتمنيًا أن تكون تلك هي شعلة النيران الأولى في طريقة للعودة لأرض أجداده وأن يعيد ل»زاندو» اتزانها من جديد.

***

رست السفينة الملكية الخاصة بالملكة «إلينا» ملكة الجليد في مينائها من جديد لتجد في انتظارها الوزير الأول «دوراتي» وقادة مملكة الجليد ليستقبلوا ملكتهم التي عادت من أرض السحرة معلمي وحماة مملكتهم منذ نشأتهم الأولى، ليجتمع معهم العديد من العامة من أبناء الشعب ليس لاستقبال ملكتهم فقط بل لاستقبال معلمي مجلس السحر الأعلى أيضًا؛ فقد انتشرت الأنباء عن قدوهم رفقة الملكة «إلينا» وهو أمر غير معتاد تواجدهم إلا في مراسم تنصيب الملوك أو الأحداث الهامة وعوتهم الآن يعني أن أمر الحرب الذي بدأ ينتشر بين الجميع قد أوشك على أن يصبح واقعًا، أصطف الحرس الملكي وفرق الجيش المختلفة من الميناء حتى الطريق الطويل لمدينة الحكم حيث قصر الجليد في تحية إجلالٍ وتقدير لمعلمي وحماة مملكة الجليد، ليتزين القصر الملكي بأبهى حلة ليعلن حاجب القصر انعقاد فوري لملجلس الحكم الأعلى بحضور الملكة ومستشارها

الأول والوزير الأول وكافة القادة ليرحبوا جميعًا بمعلميهم وحماتهم من مجلس السحر الأعلى، بدأ المستشار «جورج» الحديث في تلك الجلسة بعد أن أخذ الإذن من الملكة «إلينا» ليخبر الجميع ما هم مقبلون عليه.

-أيها السادة، الحضور أبناء مملكة الجليد وحماتها إننا اليوم نجتمع هنا من جديدٍ بعد رحلتنا المباركة التي شرفت فيها بمرافقة الملكة «إلينا» لنأخذ برأي ومشورة معلمينا وحماتنا على مدار الأجيال من شرفونا بحضورهم اليوم معلمي وقادة المجلس الأعلى لسحرة الجليد، لقد فوضتم جميعًا الملكة «إلينا» للقيام بتلك الرحلة من أجل أخذ المشورة والقرار الفصل فيما أرسله لنا «راجاك» من أوضاع تحدث في أرض «زاندو» أرض الأجداد والآباء الأوائل لنا، وهل نحن مستعدون لخوض تلك الحرب وإن كان هذا هو وقت النبوءة الخاصة بنا أم أن الأوان لم يأتِ بعد وها نحن نجتمع اليوم من جديد لأخذ القول الفصل، أعلم أنكم جميعًا لا تهابون الحرب وأنكم متعطشون لها وأني كنت أكثركم اعتراضًا على خوض تلك الحرب، لكن الآن بحضور معلمينا لا يحق لي الحديث بغير ما يرونه فالكلمة لهم الآن.

أنهى «جورج» حديثه ليتنحى جانبًا موجهًا تحيته لمعلميه

السابقين قبل أن يعاود الجلوس في مقعده قبل أن يبدأ كبير السحرة حديثه للجميع.

-سمو الملكة «إلينا»، أخواني الحضور، أبناء الجليد الأوفياء، لا داعٍ لأن أذكركم بماضينا وماضي أسلافنا الأوائل فجميعنا يعرفه بكل تأكيد لكن دعوني أتحدث عن المستقبل الذي ننتظره إن الحرب قد دقت طبولها في أرض «زاندو» وعاد الملاعين من جديد للظهور، لكن أهل «زاندو» قد ضربتهم الخيانة، هناك الآن قادة جدد يجلسون على عروشها لديهم تحالفات قوية مع الملاعين، وهؤلاء الملاعين لن يبقوا هناك فسيأتون هنا في وقت ما ربما ليس الآن ولكنه ليس بالوقت البعيد، إن تلك الأحداث يا سادة هي الحرب العظمى الثانية التي ذكرت في النبوءات القديمة بعودة الملاعين من جديد وهنا تأتي النبؤة بعودتنا إلى أرض «زاندو» لردع هؤلاء الملاعين، لكن أيها السادة لتعلموا أن تلك الحرب ليست بالنزهة أو حتى مضمونة النتائج فنحن سنذهب من هنا نحو المجهول، سنذهب لنقاتل ونحارب من أجل أناس قد نسوا وجودنا منذ أمد طويل، سنبحث عن الأمير الموعود الذي يعيد تشكيل «زاندو» من جديد فإن كنتم عازمين على تلك الحرب فلتعلموا أن المجهول والمجهول وحده هو ما ينتظرنا حتى النجاة فإما نسطر أسماءنا بحروف من نور وإما نطمس

في أرض «زاندو» إلى الأبد.

دبت الحماسة بين الحاضرين لخوضهم لتلك الحرب حتى مع كلمات معلم السحرة الأكبر بأنهم في الطريق نحو المجهول، لتعود الملكة «إلينا» للحديث تلك المرة إلى قادة مملكتها المتحفزين:

-أيها السادة، أبناء الجليد الأوفياء، لقد اجتمعت بكم من قبل هنا من أجل تلك النبوءة العظيمة التي نشأنا جميعًا عليها قطعت الطريق وتشرفت برحلتي لأرض السحرة حيث حماتنا ومعلمينا العظام، والآن نعود لنجتمع من جديد كعادتنا هنا في مملكة الجليد ومنذ العهد الأول لأسلافي «آل ياشين» فالقرار هنا يكون بالمشورة بيننا جميعًا ويكون بالتصويت، فمن يوافق على خوض تلك الحرب فليعلن عن نفسهم وعن وقومه أيها السادة.

أشرف الوزير الأول «دوراتي» على التصويت الذي أتى بالموافقة بإجماع الحضور، فلم يتردد أيًا من القناطير أو العمالقة أو أقزام الجليد في العزم على خوض تلك الحرب الجميع يسعى لإعلاء كلمة وشرف الأباء وإعادة سيرتهم من جديد في أرض «زاندو»، كما أنهم يسعون لردع خطر محتمل قبل حدوثه بأن يهاجم الملاعين أرضهم في المستقبل

القريب ليعطى الوزير «دوراتي» الحديث لقائد الجيش القنطور»سوكراتيس» ليبدأ الحديث:

-مولاتي الملكة، سادتي ومعلمونا، وحماة مملكة الجليد من مجلس السحر الأعلى، منذ جلستنا الماضية مع الملكة «إلينا» ولم أتوانَ في استكمال الحشد للجيش وتجهيزه بكل ما أوتينا من قوة، وأيضًا لم يتوانَ أخونا «جريفز» ومعشر الأقزام في تصنيع الأسلحة للجيش، كما أمدنا عزيزنا «جريفز» ومعشر العمالقة بالمقاليع والمنجنيق والأبراج وكل ما نطلبه، أيها السادة، نحن الآن لدينا جيش قوي تجاوز المائتي ألف مقابل نحو خمسين ألف آخرين، لدينا من القناطير نحو أربعين ألف مقاتل مستعدين لبذل الغالي والنفيس من أجل مملكتهم، ولدينا من البشر نحو المائة وثلاثين ألف مقاتل ما بين الفرسان والمشاة والرماة وولدينا نحو عشرين ألف عملاق وهم جل العملاقة جميعًا لدينا، فعزيزنا «جريفز» لم يترك رجلًا من قومه إلا ودفع به في الجيش، كما أننا لدينا نحو الستين ألاف مقاتل من الأقزام، الجميع مستعد لخوض الحرب كما أننا تجهزنا لوضع حامية قوية من قرابة الثلاثين ألف مقاتل من كافة الأجناس لحماية المملكة، فقط أعطونا الإذن وسنبدأ بالزحف نحو الجنوب لنمر بأرض الملاعين ندمرها ومن بعدها نعبر نحو أرض

«زاندو» لنحررها.

حيا الجميع القائد «سوكراتيس» على جهده الكبير في تجهيز وحشد الجيش الذي ضاعف عدد قواته عن الأوقات العادية التي لا يوجد بها حروب ليأتي تأييد كبير لخوض الحرب ليتحدث مجددًا كبير معلمي السحرة مقاطعًا هذا الحديث:

-أنه لجهد كبير منكم أيها السادة، لكن عليكم أن تدرجوا تعديلين بسيطين في تلك الخطة، أولًا لتعلموا أن مجلس السحر الأعلى وكل من لدينا من سحرة سينضمون لهذا الجيش المبارك بكل تأكيد ليس لدينا العدد الكبير لكن لدينا العلم الوفير.

ابتهج الجميع بهذا الخبر السار فوجود السحرة معهم يكسبهم من القوة ما لا يملكه أبناء «زاندو» أو الملاعين بكل تأكيد، ليصفقوا جميعًا لكبير السحرة محيين إياه لكنه أشار إليهم ليتيحوا له المجال لإكمال حديثه مرة أخرى:

-شكرًا لكم أيها السادة، فنحن وإن كنا حماة الجليد وبحق فيجب أن نكون في طليعة المقاتلين بكل تأكيد، أما الأمر الثاني فنحن لن نزحف نحو الجنوب بل سنبحر أيها السادة فما هو حال أسطولكم.

بدت الدهشة على الجميع من ما قاله معلمهم الأكبر فهذا يعني تغير كامل في تلك الخطة الحربية التي وضعوها من قبل، ليعاودوا الاستفسار منه عما يقصد بالإبحار نحو الجنوب قبل أن يجيبه الوزير الأول «دوراتي» بأن أسطولهم البحري وأسطول الصيد وكل ما لديهم لا يتجاوز المائتي سفينة لكنها جميعًا من صنع العمالقة وهي سفن عملاقة يمكنها أن تحمل أعداد كبيرة.

-حسنًا، يا أبنائي، عليكم أن ترتبوا تلك السفن بأن أقصى ما يمكنها عليكم موازنة تلك السفن من كل الأطياف وعند مساء غد سيأتي إلى هنا مائة سفينة أخرى هي قوام سفن مجلس السحرة كلها أعدت خصيصًا من أجل النبوءة الموعودة، فحربنا ستبدأ فى أقصى الجنوب هناك سيتحد أبناء النبوءة من كل مكان.

***

12

تعالت أبواق الأفراح في كل أرجاء مدينة الشمس لتعلن عن يوم الزفاف الملكي المنشود لملكهم الجديد «أتريموس» وعروسه الأميرة «كاترينا، بينما تعالت أصوات القذائف في كل مكان في ميناء اللؤلؤة حيث اهتزت الأرض من شدة الضربات التي وجهت نحو الأسوار الأمامية للقلعة، بدت البهجة والفرحة على العامة في مدينة الشمس نظرًا للعطايا التي أعلنها الملك للجميع، بينما ساد الذعر والخوف المتزايد على كل المتواجدين في ميناء اللؤلؤة، كلاهما أبناء «زاندو» لكن هؤلاء رضخوا لحكم خائن بحد سيف وهؤلاء عانوا من أثر الخيانة بعدو مغتصب لأرضهم ليصمدوا أمام هذا الحصار ويهرع ضعافهم من قوة القصف الذي يلاحقهم، بينما مقاتلوهم قد أثبتوا بسالة كبيرة في الدفاع عن أرضهم التي بدأت تروي بدماء أبنائها. بينما في مدينة الشمس فقد كسيت الأرض بالورود والأزهار التي تساقطت من السماء كالأمطار احتفالًا بالموكب الملكي الذي بدأ يطوف كل أرجاء المدينة ليصطف الجميع من أجل الاحتفال بملكهم وعروسه الذين اعتليا عربة مكشوفة يقف فيها ليدلي بزيه الملكي الكامل، بينما عروسه قد تحلت بفستان زفاف خلاب قد صمم خصيصًا لها ترصعه الأحجار الكريمة في كل موضع ليمسك

العروسين بيدي بعضهما البعض ويشيران للعامة المترصين في كل مكان، يقود موكبهم فرسان الحرس الملكي وفرق الموسيقى من بعدهم وبعض من فرق المشاة في الجيش ويليهم الفرق الاستعراضية والأكروباتية ليأتي بعدهم عربة الزفاف الملكية التي أحاط بها الجنود من كل صوب، وفي خلفها أتت عربة تقل ملكي الشرق والجنوب ضيفي الشرف في هذا العرس، وبعدهم عربة تقل الأمير «فيلب» وزوجته، ومن بعدهم توالت فرق الاستعراض والنبلاء ليقطع هذا الموكب المدينة من أقصاها إلى أدناها ومن شرقها إلى غربها ليتوجه بعدها مباشرة إلى معبد «أبتشك» لتبدأ مراسم الزفاف الكهنوتية لتمتلئ القاعة بالضيوف والنبلاء وكبار القادة، لتعلو بعدها الأبواق إعلانًا عن وصول الملك وعروسه ليتقدما مباشرة نحو المنصة الرئيسة للمعبد حيث يقف هناك كبير الكهنة بكامل حلته، ليقف جميع الحضور مصطفين لتحيتهم بتصفيقٍ حار لترتسم أيات السعادة والبهجة على وجه العروسين الأمر الذي يراه الجميع طبيعيًا على وجهة «أتريموس»، بينما استنكر البعض الوضع على «كاترينا» لكن بعض الشائعات التي بدأت تخرج بقصة حب قد دارت في الخفاء بينهما منذ أمد بعيد هي السبب فى تلك الابتسامة التي تعلو محياها، بينما بقى سرها خفيًا عن «أتريموس»

نفسه لكنه أرتاح لها لتنظر لها الأميرة «ماري» لتشجعها على ما تقوم به فهي وحدها ما تعلم السر في هذا فهي من أعادت لقلبها الأمل من جديد. انتهت رحلة العروسين الطويلة ليقفا أمام كبير الكهنه ليتبادلا معه التحية قبل أن يتقدم ليقف بينهما ليعلن بدء مراسم الزواج؛ بالتعريف بالعروسين أولًا قبل أن يطلب من الحضور أن يقفوا جميعًا ليتم ترانيمه وكلماته التقليدية في حالات الزفاف، ليلقي على مسمع كل منهما حقوقه وواجباته لدى الآخر ليردد كل منهما خلفه ما يتوجب عليه قبل أن يشهد جميع الحاضرين على إتمام الزفاف قبل أن ينتقل للخطوة الأخيرة بتأكيد رابطة الدم بينهما، ليقترب أحد الكهنه الأقل درجة منه يحمل كأسين ذهبيين بكل منهما مشروب روحي مقدس قبل أن يطلب الكاهن من العروسين أن يقدم كل منهما إبهامة ليقوم بشكهما بدبوس صغير ليخرج بعض القطرات من الدماء من يدهما يسقطاهما في الكأسين ليتناول العروسين الكأسين ويرتشفان منه بعض الجرعات، ليلنعهما بعدهما كبير الكهنة زوجين بمباركة ومعية آلهة معبد «أبتشك»، ليصفق الحضور مجددًا مهنئين العروسين ويتبادل الكاهن التحية مع العروسين من جديد، ليقترب «أتريموس» من عروسه ويقبل جبينها بكل ودٍ قبل أن يمسك بيدها من جديد لينطلقا لخارج

المعبد والحضور من خلفهم ليعلنوا انتهاء المراسم الدينية ويتوجهوا بعدها نحو القصر الملكي في موكب جديد لبدء الاحتفالات بتلك الزيجة الجديدة. أما في القصر الملكي اكتظ المكان بالضيوف من علية القوم ليسعى الجميع من أجل توجيه مباركته للملك علّهم ينالون كامل رضاه عنهم ليتهافت الجميع على تقديم الهدايا والمباركات، جلس الأمير فيليب في موقعه يراقب الجمع عن كثب؛ فالجميع هنا ينتظر قدوم الملك بعد أن ذهب للراحة بعد موكب الزفاف الصباحي ليبحث «فيليب» عن ضالته بين الحاضرين، ليهتدي إليه أخيرًا ليقرر التقدم صوبه مباشرة نحو هذا الرجل الخمسينى العمر والذي ارتدى حلة أظهرت للجميع مدى ثرائه الفاحش ليحيه الأمير «فيليب» ليبدأ حديثه معه:

-مرحبًا سيد «فيرديناند»، لقد بحثت عنك كثيرًا منذ قدومي إلى هنا، لأعرفك بنفسي أنا «فيليب» أمير قلعة بنتلي.

-مرحبًا سمو الأمير، بكل تأكيد أعلم من تكون فالأمراء لا يخفى بريقهم على أحد.

-هذا وإن كانوا خاصة من بين كبار التجار، وهذا ما أعرفه عنك سيد «فيرديناد» فإن وآل «روز» هم كبار تجار مدينة

الشمس و»زاندو» قاطبة، وأنا بحثًا عن مصلحة شعبي أريد أن أعزز علاقتي بكم لنحدث نوعًا من التعاون التجاري المثمر بيننا.

حياه «فيرديناند» بكل تأدب ليتبادلا سويًا أطراف الحديث في كيفية التبادل التجاري بينهما؛ بأن يحرص آل «روز» على إمدادهم بالسلع المهمة نظير أن يقدم لهم الأمير فيليب بعض التسهيلات في أرضهم ليطلب بعدها الأمير «فيليب»من»فيرديناند» أن يخرجا سويًا من هذا الجمع، ليذهبا لإحدى التراسات المتواجدة قريبًا ليتحدثا في هدوء عن قرب أكثر ليشعر الأمير»فيليب» بوجود بعض الغضاضه في حديث السيد «فيرديناند» ليباغته بسؤال لم يتوقعه «فيرديناند».

-سيد «فيرديناند»، لتسمح لي أن أسألك عن رأيك في الأوضاع التي جدت على أرض «زاندو»؟ وما هو مدى موافقتك من رفضك للأمر؟!

تغير وجه «فيرديناند» بعض الشيء قبل أن يرتشف بعض الجرعات من المشروب الروحي الذي بحوزته قبل أن يعاود الجواب.

-يبدو أن هذا السؤال له العديد من الأسباب التي تقف

وراءه لكن حتى وإن لم تعجبني الأوضاع فأنا رجل تجارة أحاول أن أحافظ على تجارتي وعلى عائلي، لن أنكر أن «آل فيرجسون» قد كفلوا لنا الأمان والاطمئنان على كل ذلك، وأن مساوئ ما حدث كثيرة لكن في أوقات الحرب تزدهر التجارة، والحاكم الجديد يسعى لكسب ودنا حتى وإن اعترضنا عليه يجب أن نكسب رضاه طالما أنه سيضمن نجاح تجارتنا وإلا فعلنا أن نواجه بطشه؛ فتلك هي أرضي وأرض أجدادي ولا أعلم مكان غيرها فيجب أن أتكيف على ما بها، أما الملوك القادمين فهم شركاء فيما حدث وقد أتوا لتهنئة شريكهم، لكن يا سيدي مالا أفهمه حقًا هو مباركتكم أنتم «آل بنتلي» فدائمًا ما عهدناكم أهل حق.

-هل هذا يعني أن ما نحن فيه اليوم درب من دروب الباطل سيد «فيرديناند»؟!

-أرجوك سيدي الأمير، لا تتلاعب بالكلمات فأنا لم أقل شيئًا.

-إذًا فلتعتبر أن هذا ما فهمته أنا، لكن إن كان هناك درب للحق هل نجد من يعاوننا نحن آل بنتلي إليه؟!

-هذا يتوقف على أي درب ستسلكونه؟!

-إنه درب يقف في مقدمته الحكيم «توساني» يدفعنا

إليكم اليوم للقياك، وفي نهايته يوجد الأمير «ليدلي» وريث «زاندو» الحقيقي الآن؟!

بدت الصدمة على محيا «فيرديناند» ليضئ بداخله شعاع نور ولو بسيط فهو من الغاضبين وبشدة مما يحدث، لكنه يحافظ على أمواله وعلى مركزه ف «آل روز» على علاقات وطيدة على مدار الأجيال ب «آل فيرجيسيون» ويدينون لهم بالولاء، لكنه سرعان ما أخفى فرحته تلك ظنًا منه بأن الأمير «فيليب» يتلاعب به لصالح «أتريموس» ليكيدوا له؛ فأخذ يراوغ في الحديث ليتأكد من صدق الرجل أمامه لكن ما كان قاطعًا للشك هو رسالة سلمها له الأمير «فيليب» موقعة ومختومة من الحكيم «توساني» يناشده فيها بالتعاون من أجل إعادة «زاندو» لما كانت عليه من قبل، لم يكن يعرف «فيرديناند» ماذا يفعل ليجيب الأمير «فيليب» الذي أخذ الرسالة منه مجددًا قبل أن يلقيها في مشعل نيران صغير بجواره؛ ليتأكد من حرقها قبل أن يخبره بما حدث مع الحكيم «توساني» ويطلب منه أن يكونوا على تواصل تام ليتفقا سويًا على أن تكون قوافل التجارة هي أدوات الاتصال بينهما طالبين منه أن يمدهم بكل الأخبار التي تحدث في مدينة «الشمس» وأن يكون السيد «فيرديناند» هو حلقة الوصل المباشرة بينهم وبين الأميرة «كاترينا» فهي وحدها

من تعرف بما يحدث، هنا دب الحماس بداخله ليشعر بوجود بذرة حقيقية للمقاومة ليخبرة أنه لن يتوان عن التعاون والسعي مع كل المخلصين من أبناء «زاندو» من كبارها ورجال التجارة بها في كل ممالكها، فقد كان «فيرديناند» شبكة علاقات متشعبة في كل «زاندو». لم يستمر حديثهما طويلًا عندما سمعوا الأبواق تعلو في البهو الرئيسي معلنة عن وصول العروسين ليبدأ الاحتفال الرسمي بالزفاف الملكي.

***

لم يتوقف قصف الملاعين لأسوار ميناء اللؤلؤة منذ نسمات الصباح الأولى حتى أسدل الليل ستاره على الجميع ليواصلوا قصفهم ليلًا بدون أي رحمة، لم ير «دوجلاس» أمامه إلا سقوط الأسوار الأمامية للقلعة، أخذ يحمس رجاله عليهم ألا يملوا من مواصلة القصف فبكل تأكيد سيؤتي جهدهم هذا أكله؛ فتلك الأسوار مهما بلغت قوتها سيأتي وقت ما ليتوقف صمودها أمام هذا القصف المكثف. بداخل القلعة أعطى «بيدرو» الإذن لقادة الجيش «أنطوي» و«بيدرو» بتلغيم الأسوار الأمامية بما لديهم من مواد حارقة ومتفجرة قد تحصلوا عليها سابقًا من ممالك القديسين،

ليشرف القائدان بأنفسهما على تنفيذ هذا الأمر تحت القصف المتواصل، حرصوا على أن يكونوا بين رجالهم ليبثوا بداخلهم روح الشجاعة والقوة لإتمام عملهم على أكمل وجه ليقضوا يومًا عصيبًا سقط فيه بعض الرجال بعدة إصابات ما بين البالغة والبسيطة، لكن عزيمتهم على الصمود لم تتراجع قيد أنملة ليعودوا للأسوار الداخلية بعد إتمام مهمتهم بنجاحٍ، قبل أن يعقد «بيدرو» اجتماعًا بقادة المقاومة داخل القلعة سريعًا ليستمع منهم عن ما حدث في اليوم ليبدأ بأنطوي قائد القوات الحربية لديهم:

-أيها السادة، اليوم أنجزنا عمل شاق بتلغيم الأسوار الأمامية بالكامل للقلعة والتي بدأت تعاني من ضرباتهم، إننا نتحمل الحصار منذ ما يقارب السدوسين أيها السادة وأعتقد أن الأسوار قد تصمد لسدوسين آخرين على الأكثر لكن لنأمل أن أكون مخطئًا في توقعاتي.

-نتمنى أن يصمد أكثر من ذلك عزيزي»أنطوي»، لكن ما هي توقعاتكم للمواد الملتهبة التي وضعناها في الأسوار في حال اختراقها وما مدى فاعليتها؟

-سيد «بيدرو»، إننا لم نقم بتجربة تلك المواد من قبل، لكن حسب التقارير التي لدينا عن إمكانيات تلك المواد عندما

اقتنيناها من أرض القديسين فهي قادرة على الإطاحة بالفوج الأول بالكامل من جيش الملاعين إن استطاعوا عبور الأسوار.

-نتمنى هذا عزيزي»براجوس»، لكن نتمنى أن لا يعبروا الجدار من الأساس.

***

دامت الاحتفالات حتى أوقات متأخرة من الليل في مدينة الشمس انفض الجمع وعاد المدعوون كل إلى مكانه ليبقى فقط العروسان الذان توجها للجناح الملكي الجديد الذي تم إعادة تجهيزه وتزينه خصيصًا بسرعة كبيرة من أجل العروسين، بدا الخجل واضحًا على محيا «كاترينا» التي احمرت وجنتاها وبشدة عندما أغلقت الأبواب عليهما هي و»أتريموس» سويًا، شعر أتريموس بذلك ليعطي لها بعضًا من الحرية ليذهب للمرحاض الخاص الملحق بالجناح ليغير ملابسه ويقضي هناك وقت طويل بما يكفي لكي تتهيأ له عروسه، ليعود بعدها ليجدها في أبهى طلة ترتدي بعض من الملابس النسائية البراقة لكن خجلها قد ازداد عما قبل، اقترب منها بكل ود مقبلًا جبينها ليجلس قبالتها مادحًا إياها في حسنها وبهاء طلتها.

-أتعلمين يا عزيزتي، إن فرحة قلبي وسعادتي اليوم بكونك زوجة لي أن أحظى بحسناء «زاندو» الأولى صاحبة الوجه الملائكي وكأنها لؤلؤة قد أتت من السماء لتستقر هنا على أرضنا.

ظل لدقائق يتأمل حسنها وعينيها التي لم تغادر النظر للأرض أسفلها، اقترب منها ليطبع قبلاته على وجنتيها ليداعبها كزوجة له ليجدها جامدة بدون أي مبادلة للشعور له ليسألها عما بها لتزداد خجلًا قبل أن تمسك يديه وتنظر إليه بحنو لتجيبه:

-لا يوجد شيء سيدي الملك، لكن أنت تعلم أن زواجنا قد حدث في عجالة، وأنت تعلم ما لدى الفتيات من خجل في تلك المواقف، وأنا للآن لم أعتد عليك بما يكفي عن قرب، كنت أرغب فقط بأن أنال كرمك بأن تعطيني الوقت الكافي حتى أعتاد عليك لأكون لك زوجة مطيعة مثالية كما تريد.

تفهم «أتريموس» حديثها ليبتسم لها بودٍ قبل أن يقبض على كفيها بشكل أكبر:

-لقد فهمت عزيزتي «كاترينا»، ولكي كل ما تريدين فأنتِ لا تعلمين كيف هي لوعة قلبي في حبك منذ وقت بعيد، وتأكدي أني لن أرغمك على شيء وإن شئتِ سأتركك على

راحتك في جناحك.

أنهى «أتريموس» حديثه ليستعد لمغادرة المكان لكنه وجدها تجذبه تجاهها بكل ودٍ:

-سيدي، أنا طلبت منك الوقت فقط لكن لم أطلب مغادرتك للمكان؛ فكيف أعتاد عليك إن لم تكن بجواري؟! كما أنه لا يجب أن يبيت الملك ليلة زفافة بعيدًا عن زوجته لنتشارك جناحنا حتى يحين الوقت ونتشارك كل شيء.

أثلجت تلك الكلمات صدر «أتريموس» ليشعر بتقدم نحو قلبها، بينما نجحت «كاترينا» بدهاءٍ شديد من أن تملى رغباتها عليه لتراوغه بعض الشيء وتكسب بعض الوقت في لعبتها تلك التي لا تعلم نهايتها ليقضيا ليلتهم سويًا في جناحهما بكل عفة من كلاهما.

***

لم يتوقف العمل في مملكة الجليد؛ الجميع على أهبة الاستعداد لنصرة أهل «زاندو» وتحقيق نبوءتهم، لم يبق في الميناء الرئيس للمملكة وباقي الموانئ بها موضع لقارب صغير حتى؛ فقد بدأ تجهيز كافة السفن والعمل لا يتوقف عن ملئها بالعتاد والمؤن اللازمة لهذا الغزو المنتظر، أشرف

الوزير «دوراتي» بنفسه على الأمر بوجود قائد الجيش «سوكراتيس» وباقي رجال الدولة، استمر العمل على قدمٍ وساق إلى أن فوجئ الجميع بحجم السفن العملاقة التي قد اقتربت من الميناء، فمقارنة بأسطول الجليد العملاق الذي شيده العمالقة فهم أمام سفنٍ بحجمٍ أكبر بكثير يكاد يقارب ضعف حجمها، هرع قائد الأسطول ليحشد جنوده ورجاله لمواجهة تلك السفن التي تقترب منهم، لكن سرعان ما تعالى صوت كبير معلمي السحرة من خلفهم يهدئ الجميع ويخبرهم بأن تلك هي السفن القادمة من أرض السحرة قد تم تشيدها بأحدث ما توصلوا إليه من علوم مختلفة، وأن تلك السفن تتحرك بسرعة كبيرة ويمكنها أن تحمل أضعاف الأعداد التي تحملها السفن الأخرى. بدت السعادة والدهشة على الجميع فقد وعدهم معلم السحرة الأعلى بالمدد لكن لم يتوقعوا أن يكونوا بهذا الحجم؛ فتلك السفن لم تأتِ فارغة بل أتت إليهم محملة الكثير من المعدات والأسلحة الحربية ليزداد الحماس داخل أبناء «الجليد» ليواصلوا عملهم بجدٍ وجهدٍ كبير تحت أعين قادتهم.

***

فى مدينة الشمس كانت أفراح الزفاف الملكي في كل

مكان، وفي مملكة الجليد كانت أفراح الزحف المقدس تشعل قلوب الجميع، لكن في أقصى الجنوب كانت أفراح قلب «أشوري» لا تضاهيها أي فرحة في أرض «زاندو» قاطبةً؛ فقد دنوا من الوصول نحو كوخ «لوكاس» حيث يرقد قلبه هناك بسلام بين صدر «أديلا» تلك الحسناء التي سلبته عقله وروحه، لم يوقف السعي على الوصول ليحث الجميع معه بأن يصلوا نحو الكوخ ليمضوا ليلتهم هناك قبل أن يكملوا مسيرتهم نحو قبائل «المنجالا» وطنهم الأم، ليصلوا أخيرًا بعد أن انتصف الليل ليسارع «أشوري» بلهفة قد لاحظها الجميع لكن لم يفهم مغزاها سوى رفيقه «أنتيكوس»، انطلق «أشوري» يطرق الباب ينتظر بلهفة كبيرة لأي مجيب يأتيه من الداخل ليأتيه الرد من قبل «لوكاس» الذي تساءل عمن يطرق بابه، ليجيبه أنه «أشوري»، ليفتح «لوكاس» في عجالة ليحي سيده لكن عين سيده قد زاغت في هذا الركن البعيد من المنزل حيث وقفت «أديلا» ترقب لقاءه عن بعدٍ لتعبر أعينهما عن كل ما في طيات صدرهما بلغة لا يفهمها إلا العاشقون، ليرحب «لوكاس» بالجميع ليدلفوا سريعًا نحو الكوخ قبل أن يسارع «لوكاس» بمساعدة «ميلاني» بإخفاء جيادهم بالإسطبل الصغير الملحق بالكوخ ليمضوا ليلتهم تلك في أمان، بينما اكتفى «أشوري» بتلك النظرات السريعة لتزيد

قلبه شغفًا، بينما النيران لم تتوقف في صدر «أديلا» من فرحتها لتقضي ليلتها كاملة تشكر الآلهة على عودة «أشوري» سالمًا لها من جديد.

***

توجب على العروسين أن يتواجدا في البهو الملكي لتحية وتوديع الملوك المهنئين لهم قبيل رحيلهم وعودتهم إلى أرضهم، تأنق «أتريموس» في حلته الملكية ليصطحب برفقته عروسه الحسناء التي تدللت بأحد فساتينها المطرزة بحرفية عالية تقدما نحو البهو وسط مباركة من كل العاملين بالقصر الملكي الذين اصطفوا على جانبي الطرقات من الجناح الملكي حتى البهو الرئيس، ليكتفي العروسان بإيماءة بسيطة من رأسهما مع ابتسامة كبيرة تعلو محيا «كاترينا» لتقنع الجميع أن كل شيء قد تم على أكمل وجه. اصطف كبار الدولة من المستشار «كلاوديو» والوزير «كيني» وقادة الجيش وكبار النبلاء في المدينة لتهنئة العروسين الذين أكملا طريقهما في القاعة الملكية، بينما انحنى إليهما الجميع حتى استقر الملك «أتريموس» على عرشه وبجواره جلست زوجته الأميرة «كاترينا»، بارك الجميع للملك ولزوجته الأميرة «كاترينا» ليشير إليهم «اتريموس» مقاطعًا إياهم:

-أيها السادة، إني شاكر لكم حضوركم للتهنئة من جديد، كما سنودع اليوم ضيوفنا ملوك «زاندو»، لكن عليكم من اليوم أن تعدلوا من حديثكم فحتى الأمس السيدة «كاترينا» كانت أميرة مدينة الشمس أما من اليوم فهي ملكتها الجديدة.

انهال الجميع بالتصفيق والتحية للملكة الجديدة التي اتسعت ابتسامتها لتضع يدها على يد زوجها وتقبض عليها بحرارة لا تخلو من الإدعاء بداخلها أمام الجميع، ليعلن بعدها الحاجب وصول الضيوف ليستقبل الملك «أتريموس» أقرانه من ملوك «زاندو» وكذلك الأمير «فيليب» وزوجته ليربح بهما»أتريموس» بكل فخر، ليتبادلوا المباركات والتهنئة قبل أن يدعو جميع الحضور لمأدبة غداء على شرف ضيوفهم، انفرد الملوك ببعضهم البعض ليتودد إليهم «فيليب» بكل دهاء لينتقي كلماته بكل عناية:

-مرة أخرى أجدد تهنئتي ومباركتي سمو الملك «أتريموس»، وأريد أن أعبر عن سعادتي بالأيام التي قضيتها هنا في مدينة الشمس، كما أتمنى أن نشهد قريبًا أحداث من الفرح والسعادة في كل ممالك «زاندو»، وأتمنى أن لا يحمل عزيزانا الملكين «كيجان» و «تيري» أي غضاضة تجاهي فنحن في قلعة «بنتلي» ندين لكم بالولاء من الآن ونحن

داعمكم الأول في كل شيء، ولتعتبروا أن قطع الأرض التي تحصلنا عليها ما هي إلا شيء رمزي وشكلي فهي من الآن تحت إدارتنا لكنها تابعة لكم بكل تأكيد.

حياه الملوك متصنعين صفاء نيتهم فمازالت نفوسهم تحمل الكثير من الغضاضة عما أعطوه إياه، ليشعر «فيليب» بذلك لكنه تصنع السعادة أمامهم والدين بالولاء، على الصعيد النسائي انفردت الأميرة «ماري» بالملكة «كاترينا» لتخبرها بأن يبقيا على تواصل وأنها إن أرادت أن تخبرهم بشيء أو أن يحدث العكس فستكون حلقة الاتصال بينهما السيد «فيرديناند روز»؛ فهو يدين بالولاء التام لوالدها الراحل وبشرتها بأنها قريبًا ستسمع أخبارًا جيدة عن شقيقها الأمير «ليدلي»، ليستمر الجميع في حفلهم إلى أن يودع «اتريموس» ضيوفه الذين غادروا مملكته كل لمملكته لينطلق «كيجان» نحو الشرق بموكبه، بينما ترافق موكبا كلا من «فيليب» و «تيري» معًا نحو الجنوب حيث سخونة الأحداث التي يجهلها الجميع.

***

13

أشرف الأمير «ليدلي» على تجهيز قلعته الجديدة للصمود بأفضل شكلٍ ممكن؛ بدأ يحث رجاله على تجهيز المتاريس من الأخشاب والأحجار التي تحصلوا عليها من المحاجر والغابات التي عملوا بها سابقًا كفترة عقوبة لهم في سجن «بوزان»، بدأ يوزع رجاله جعل له مجلسًا عسكريًا مصغرًا كونه من «أداميوس» و«مارتي» و«ديجو» حيث يمتلك هؤلاء الرجال خبرة حربية سابقة، كما أضاف إليهم «إدجار» زعيم عصابة الفولكا ليعمل كل الرجال وبجد في القلعة على تأمين أنفهسم، كما قادهم «أداميوس» للمخازن السرية للقلعة والتي تحوي العديد من الأسلحة والعتاد الخاصة بها، كما استعان بخبرة «إدجار» في الكر والفر لتجهيز الفخاخ التي يعرقلون بها أي حشدٍ قد يهجم عليهم على طيلة الطرق القريبة المؤدية للقلعة ليبدأ توزيع الأدوار والمهام كقائد لهم:

-أيها السادة، أجدد لكم شكري من جديد على جهوداتكم المستمرة وإيمانكم بقضيتنا جميعًا قضية «زاندو»، لكن أولًا علينا أن نؤمن أنفسنا وقلعتنا فمازال عددنا قليلًا، يجب أن نجعل من تلك القلعة ملجأ لكل مقاوم لذا أيها السادة علينا أحكام سيطرتنا على طرقاتها، فلتخبروني أيها السادة عما

ترونه في كيفية إحكام هذا الأمر.

-سيدي، فلتسمح لي، فلقد نشرت بعضًا من رجالي على الطرقات الأربع التي تأتي مباشرة نحو القلعة بصفتنا قطاع طرق سابقين ورجال عصابات لكن كنا نحمل بعضًا من النبل، الأهم يا سيدي، أن رجالي لديهم الخبرة في الاختباء والمراقبة والكر والفر وهذا سيفيدنا في ذلك، كما أننا أقمنا بعض الفخاخ البسيطة كالشباك والحفر المفخخة التي تستخدم في صيد الحيوانات والحوش لكنها ستعيق وتكشف أي أحدٍ يقترب من القلعة، كما أمرتهم بإحداث مناوبات في الحراسة والمراقبة.

-كل الشكر لك سيد «إدجار»، أنت ورجالك عليكم أن تبقوا يقظين بما فيه الكفاية في الفترة المقبلة؛ فبكل تأكيد سيرسلون سرايا استطلاع ليستفسروا عما حدث هنا في «بوزان»؛ لذا أيها السادة نريد أن نحصن القلعة ونريد حصر بكل ما لدينا.

-سيدي، نحن لدينا نحو الخمسة آلاف رجلٍ ممن فضلوا البقاء معنا بعد ما حدث وهناك من رحل من الرجال كلهم قادرون على حمل السلاح والقتال وقد سلمناهم جميعًا زيًا عسكريًا جديدًا مما مدنا به السيد «أداميوس» من مخازن

القلعة، كما قمنا بتسليحهم جيدًا الآن يقوم عزيزنا «مارتي» بفرز الرجال وتصنيفهم بين الفرسان والمشاة والرماة.

-نعم، سيدي، كما قال عزيزنا «ديجو» بدأنا بتصنيف الرجال وتوزيعهم على نقاط القلعة الحصينة من أبراجها وبوابتها، كما أقمنا ساحات لتدريب القتال كما أمرت وتعريف الرجال بكيفية التحول من قتال العصابات والشوارع للحروب العسكرية.

-أحسنتم أيها السادة، إن جهدكم لا يحتاج للإيضاح فهو جلي للعيان رؤيته، لكن عزيزنا «أداميوس» ماذا لدينا من تعزيزاتٍ دفاعية يمكن استخدمها؟

-سيدي، مازالت أجري حصرًا لمخازن القلعة، لكن لدينا هنا القدر الوافر من قدور الزيت والشحوم التي يتم استخدمها من أعلى الأسوار، كما لدينا كتل ملتهبة يمكن استخدمها أما المعدات الخفيفة من السيوف والرماح والسهام والأقواس والدروع فهي تكفي تسليح ضعف العدد الموجود من الرجال فهنا كنا نكنز الأسلحة دائمًا.

بدأ «ليدلي» يتابع كل الخطط والوسائل الدفاعية الممكنة مع رجاله ليخبرهم أنهم يجب أن يتحلوا بالصبر لفترة من الزمن حتى يتحولوا من مدافعين لمهاجمين، كان في قرارة

نفسه ينتظر وصول أبناء «المنجالا» لكنه لم يفصح بأي من ذلك، فقط علم بالأمر الثنائي «أداميوس» و«ديجو» حتى أن باقي أبناء «المنجالا» في القلعة كانوا يجهلون ما يخطط لهم سادتهم بنصرتهم في الفترة المقبلة، كل ما يتوجب عليهم هو البقاء ونصرة الأمير الموعود الذي ذُكر في نبوءتهم القديمة، ليطلب «ليدلي» تكثيف حلقات التدريب والتمرين، كما طلب بتجهيز كل وسائل الدفاع والدفع بها نحو أسوار القلعة، كما طلب منهم أن يحفروا خندقًا خارجيًا حول أسوار القلعة بعمقٍ كافٍ لإعاقة المهاجمين، ليتساءل عن وجود نجارين وحدادين بين السجناء وحصرهم ليبدأوا العمل سريعًا على بناء عدد من المقاليع توزع على أسوار القلعة حتى وإن كانت مقاليع بسيطة الاستخدام يمكنهم الاعتماد عليها في الفترة المقبلة، ليطيعه رجاله الذين زادت حماستهم وبشدة نحو أميرهم الذي يقودهم بكل عزم وجد من أجل «زاندو» وحدها.

***

لم يستطع العاشقان إلا اختلاس النظرات لبعضهما البعض ليعبرا عن شوقهما وحبهما لكن قلب «أشوري» لم يعد يتحمل كل هذا الصمت، يريد أن يحدثها يخبرها عما في قلبه لكنه

لم يجد الفرصة المناسبة للحديث معها، ليجد نفسه بدون أي سيطرة على مشاعره يحدث والدها «لوكاس» عنها بل فاجأ الجميع بحبها له ليحدثه أمام جميع الحاضرين:

-سيد «لوكاس»، هل تسمح لي بالحديث معك في أمر خاص؟

-بكل تأكيد يا سيدي.

-سيد «لوكاس»، بكل صراحة ووضوح أريدك أن تقول رأيك فيَّ.

-أنّى لي أن أتحدث عنك سيدي الأمير؟!! فأنت سيدي وابن سيدنا وزعيمنا سليل قادة المنجالا العظام.

-لم أكن هذا ما أطمح به سيد «لوكاس» من جواب، لكن هل تقبل بي صهرًا لك.

ساد الصمت بين الجميع إلا من صيحة فرح خرجت من «أنتيكوس»، بينما بدت الدهشة جلية على «لوكاس» الذي لم يتوقع مثل هذا الطلب، فإن صهر السادة لهو شرف عظيم لم يتوقعه، بينما «أديلا» التي سمعت حديثهم من وراء حجاب قد أحمرت وجنتيها خجلًا بينما قلبها لم يتوقف في مكانه لتشعر بضرباته تتسارع واحدة تلو الأخرى كحال قلب

«أشوري» الذي انتظر رد والدها، لتمر تلك اللحظات عليه وكأنها دهر من الزمن الذي ارتعدت كل فرائصه من هول الطلب الذي لم يتوقعه، ليصمت هو الآخر ليبادر «برانكو» بالحديث:

-ماذا بك عزيزي»لوكاس»؟! هل ترفض طلب الأمير «أشوري»؟ إنه شرف لا يرفض أبدًا.

-لا، «برانكو»، لا تجبره على شيء إني أنتظر رأيه هو، فلا يوجد أي إجبار في الأمر إنما هو طلب مني بمصاهرته والزواج بابنته «أديلا» طلب ليس فيه مكانة ولا إمارة، إنما هي حياة بالكامل تبنى بين رجل وامرأة.

-سيدي، لم أقصد الرفض فأنّى لمثلي أن يرفض؟ أنا فقط لم أتوقع هذا الكرم منك فلي كامل القبول ولابنتي مرغمة على ذلك إن توجب الأمر.

-لا، سيد «لوكاس»، سلها فلا إرغام في الأمر وإن حصلت على موافقتكما فلتكن تلك مواعدة أمام الحضور حتى أتيكم برفقة أبي الزعيم «إيكابي» لنتم الزفاف والعرس رسميًا ولتطلبوا ما شئتم.

حفز الجميع «لوكاس» على أن يسأل ابنته التي ارتبكت

بالداخل لتسرع بعيدًا ليذهب والدها لسؤالها ليجد حمرة خجلها تزداد في كل برهة ليقترب منها متوددًا.

-ابنتي، لعلكِ سمعتِ ما طلبه الأمير «أشوري» فإن وافقتِ لهو شرف عظيم لنا، ولإن رفضتِ فلا إرغام على ذلك كام قال الأمير.

لم تجبه «أديلا» فقط أبعدت عينيها عن ناظريه ليقبض والدها على كتفيها ويسألها بكل أبوة عن رأيها ليطمئنها أنه لن يرغمها على شيء، وأن ما قاله بالخارج ما هي إلا كلمات لمجاملة الأمير وأنه سيقف خلف قرارها أيًا كان لتتردد «أديلا» وتتلعثم بالكلمات التي وقفت بين ثنايا حلقها لتستجمع كل قواها وتخبر أباها أخيرًا بصوت لا يكاد يسمع أنها موافقة على طلب الأمير «أشوري»، ليحتضنها والدها مقبلًا إياها قبل أن يخرج للجميع هادئ الطباع ليعطيهم رد العروس بالموافقة ويطلب من أشوري أن يعده بأن يحافظ عليها فهي أغلى ما يملك وهي قرة عينه. لم يتمالك «أشوري» نفسه عند سماع رد «لوكاس» ليقسم له بأغلظ الأيمان أنه سيحفظ «أديلا» مدى الحياة، ليقترب من «لوكاس» محتضنًا إياه فرحًا قاطعًا وعده له، بينما ساد الفرح بين الحاضرين ليسرع «برانكو» و«أنتيكوس»

و«ميلاني» بالمباركة لأشوري على خطبته تلك ومهنئين «لوكاس» أيضًا، ليظل «أندرو» وحده منزويًا يتساءل بين نفسه هل حقًا هؤلاء الرجال يريدون تحرير «زاندو» ومساعدة الأمير«ليدلي»؟ أيعقل أن يفكر هذا الشاب بالزواج في وسط كل تلك الأحداث التي تعصف بهم جميعًا؟ لكنه عندما شعر بلوعة الحب بين طيات قلبه واشتياقه الجارف نحو «كاترينا»، شعر بتلك الدمعة الساخنة التي شقت طريقها على وجنته ليمسحها سريعًا قبل أن يلحظ الأمر أحد، ليهب سريعًا نحو «أشوري» محتضنًا إياه فهو أدرى الحاضرين بشعور العاشق وأجدرهم لمعرفة مدى فرحة «أشوري» بعروسه. انفرد «أشوري» بخطيبته «أديلا» خارج الكوخ قبل الرحيل، لم تكن الكلمات تعرف طريقها لكليهما اكتفيا بالنظرات والقليل من شح الكلام الذي عبرا فيه كليهما عن سعادتهما، ليعدها «أشوري» أنه سيعود إليها لخطبتها رسميًا مقبلًا كفيها قبل أن يحتضنها بحب جم لتشعر هي بالأمان بين ذراعيه ليطبع قبلة أخيرة على جبينها ليودعها ويعود ليودع كلا من «لوكاس» صهره الجديد و«برانكو» الذي سيتوجب العودة عليه لمراقبة ما يحدث في «بوزان»، بينما سيعبر هو و«أنتيكوس» برفقة «أندرو» ودليلهم «ميلاني» جبال الآلابا ليذهبا حيث معقل المنجالا.

***

في عاصمة الجنوب وصل هذا الفارس الفار من قلب «بوزان» نحو تلك المدينة التي اتسمت بالمروج الكثيرة التي تحيطها من كل حدب وصوب، حتى أن قصورها وبيوتها قد زينت باللون الأخضر الزاهي لتكون بصدقٍ المدينة الخضراء حتى رغم الدماء التي سالت فيها، عندما عاد «تيري» ليجلس على عرشها استوقفه الحراس عن أبواب المدينة ليخبرهم أنه أتى قاصدًا ملك الجنوب برسالة من قلب «بوزان» ليقتاده الرجل سريعًا نحو القصر الملكي ليلتقوا بوزير المملكة الأول «بافيان» شقيق الملك «تيري» ليدلفوا نحو الديوان الخاص به، ليسألهم عما لديهم ليخبروه بأمر الفارس ليأذن بدخوله عليه.

-ماذا بك أيها الفارس؟ وما هي تلك الرسالة التي حملت بها إلينا..

أخرج الفارس من بين طيات ملابسه خاتمًا صغيرًا هو خاتم رسمي لمراسلات قلعة «بوزان» ليضعه أمام الوزير «بافيان» كعلامة تأكيد على أنه قد أتى برسالة مباشرة من القائد «إيفان»، لينظر «بافيان» للخاتم قبل أن يشير إليه بالحديث.

-سيدي، لقد أرسلني القائد «إيفان» لطلب المدد والمساعدة منكم ملوك الجنوب؛ فقد حدثت ثورة كبيرة بداخل سجن «بوزان» المساجين قاموا بشيء مرتب لم نكن نعد له، كما أن أعدادهم كبيرة للغاية.

أخذ «بافيان» يستمع إليه وهو يتفكر في الأمر مع وصف هذا الفارس لما حدث في القلعة من هجوم على حراسها، وأنه عند فراره بطلب من القائد «إيفان» كان يرى المساجين وهم يداهمون القلعة ويسقطون الحراس أمامهم، ولا يعلم إن كان زملاؤه قد استطاعوا السيطرة على الأمر أم لا، شعر «بافيان» أن تلك هي فرصة سانحة لهم للسيطرة على «بوزان» واستقطابها نحو الجنوب فقط، كما أن تلك فرصة ذهبية للحصول على الأمير «ليدلي» كسلاحٍ رادع يمتلكونه في أي وقت قد ينشب فيه شجار بينهم وبين «أتريموس» ورجاله في مملكة الوسط، استمع حتى النهاية قبل أن يسمح للفارس بالانصراف ويأمر رجاله أن يكرموا نزله قبل أن يرسل في استدعاء باقي إخوته للتشاور معهم في الأمر. جلس الأخوة مجتمعين في الديوان الخاص ببافيان ليخبرهم عما حدث وعن أهمية الأمر الذي يدور في «بوزان»، ليبدأوا جميعًا في الإدلاء بأرائهم عليهم بأن يهبوا لاستعادة التوازن هناك ولم يجد رفضًا من أي منهم

إلا من أوسطهم «ترافي» الذي طلب منهم الانتظار حتى عودة أخيهم «تيري» من مدينة الشمس فربما له رأيًا آخر. ازداد الطمع في نفوسهم فبعد أن سيطروا على الجنوب أصبح طموحهم نحو «زاندو» قاطبةً ليسارع باقي إخوانه بتأكيدهم وتوافقهم معه في الرأي والمشورة ليجعموا على إرسال حامية عسكرية قوامها عشر ألاف مقاتل لتسيطر على سجن «بوزان»، كما اختاروا أخاهم الأصغر «روبرت» ليكون هو قائد هذه الحامية ليتعامل بسرية مع هدفهم الأهم وهو اقتياد الأمير «ليدلي» معه نحو المدينة الخضراء بعد تلك النزهة العسكرية.

***

أحكم الحكيم «توساني» إغلاق الأبواب عليه ليختلي بنفسه بعيدًا عن الجميع، خلع عنه ملابسه التي أثقلته ليبقى بتلك العباءة الخفيفة فقط، ليذهب لأحد أركان غرفته ويخرج صندوقًا متوسط الحجم قد انزوى بعيدًا عن أعين الجميع قد اصطحبه معه من قلعة الاتحاد، أخرج هذا المفتاح الصغير الذي علقه حول رقبته ليقوم بفتح الصندوق ويضعه على الطاولة أمامه، ليخرج منه قطعة بيضاء من القماش كتانية الصنع والملمس ليفردها أمامه، ثم يبدأ بإخراج باقي

المحتويات ليضع أمامه طبق نحاسي صغير وضع بداخله شمعة سميكة الحجم أشعلها ليتصاعد منها أبخرتها، ليخرج بعدها إناءً نحاسيًا آخر حمله ليضع به بعض الفحم المشتغل قبل أن يضيف عليه بعض البخور وبعض المواد الأخرى التي وضع منها بعناية شديدة وبكميات قليلة ما يجعل أبخرتها تتعالى للأعلى بلون أبيض كثيف، ليضع الشمعة عن يمينه والمحبرة عن يساره قبل أن يخرج رقاقة ورقية ويضعها أمامه، ثم يمسك بريشة كتابة خاصة ومحبرة ليبدأ بتستطير بعض الكلمات في تلك الورقة، أتم ما قام بكتابته قبل أن يستقيم في مجلسه ويبحر في أعمق النقاط بداخل عقله ليصفي ذهنه تمامًا من كل ما يحدث حوله، فقط حاول أن يركز على شيء واحد تلك الكلمات التي كتبها في ورقته وهو يتمتم ببعض الكلمات البسيطة قبل لتسود الظلمة أمام ناظريه، ليبدأ بإغلاق عينه سابحًا في هذا الظلام الدامس لا يركز إلا في الكلمات التي في ورقته وهو يتمتم ببعض الكلمات بلسانة بدون أي خطأ، لينعزل تمامًا عن الموجودات من حوله ويظل على هذا الوضع لدقائق عدة قبل أن يشعر بتلك النغزة البسيطة في أسفل رأسه ليرى أمام عينه تلك النقطة البيضاء التي ظهرت واختفت سريعًا ليفتح عينه بعدها ببطءٍ شديد وهو يأخذ نفسه بعمقٍ شديد، بعد أن شعر

بأن أنفاسه قد انقطعت قبل أن يمسك بالورقة الصغيرة أمامة ويشعلها من تلك الشمعة قبل أن يلقي بها في المبخرة أمامه وهو يتمتم بتلك الكلمات التي بدأ بها من البداية ومازال تركيزه منصبًا على الكلمات التي كتبها حتى تأكد من إحراق الورقة كاملةً ،قبل أن يعتدل مجددًا ممسكًا بصدره محاولًا أن يتنفس بأكبر قدر ممكن محدثًا نفسه:»يبدو أني كبرت بما فيه الكفاية لكي أتعب هكذا كلما أقوم بمثل تلك الأمور، أتمنى أن ينتهي هذا الأمر قريبًا فلم تعد لدي الطاقة الكافية، فقد أهلكتني»زاندو« بمشاكلها تلك« حاول الحكيم توساني أن يستجمع طاقته من جديد مرة أخرى ليعيد الموجودات بغرفته كما هي لوضعها السابق ويفتح نافذتها ليخرج تلك الأبخرة التي تجمعت في سمائها سريعًا.

***

على مدار يومين متتاليين لم يتوقف العمل في مملكة الجليد، الجميع يحشد قوته من أجل الحرب المقبلة، السفن أصبحت ممتلئة بالعتاد والمؤن اللازمة، كما أصبح المقاتلين على أهبة الاستعداد لخوض تلك الحرب متحفزين من أجل نبوءتهم القديمة ساعين بكل ما لديهم من قوة لإعلاء رايتهم وتخليد تضحيات أجدادهم من جديد في أرض «زاندو»،

لينتظر الجميع إشارة البدء ليبدأ زحفهم المقدس نحو أقصى الجنوب. أنهى معلمو مجلس السحرة الأعلى خلوتهم التي استمرت طيلة الليل ليخرجوا على الملأ الذي ينتظرهم، شقوا طريقهم مباشرة نحو الخيمة الملكية التي جهزت خصيصًا للملكة «إلينا» التي أصرت أن تتابع بنفسها كل التجهيزات من أرض الميناء، أبدى الجميع تقديره وإجلاله لمعلميهم الكبار لتستقبلهم الملكة بكل حفاوة وترحاب ليبادلوها التحية بكل وقار وتقدير.

-سمو الملكة «إلينا» حامية الجليد وسليلة «آل ياشين» العظام، أيها السادة الحضور، الآن يمكننا أن نبدأ المسير نحو الجنوب.

شعر الجميع بالسعادة فتلك هي الإشارة الحاسمة لبدء التحرك لتتضارب مشاعرهم ما بين الحماسة ومواجهة المجهول، فمع كل عزيمتهم وحماستهم السابقة ها هم الآن يشعرون بما تحدث عنه المستشار «جورج» من قبل أنهم سيواجهون المجهول، حرب إما للفناء أو تسطير الأمجاد لتشعر الملكة «إلينا» بما يحدث لتنهي الجدل بسؤال سريع للوزير «دوراتي» عن موعد التجهيز الرسمي للرحيل، ليخبرها بأن السفن جاهزة فقط تعبئتها بالجنود سيلزمه نهارًا كاملًا

لينتظر الجميع إشارة البدء ليبدأ زحفهم المقدس نحو أقصى الجنوب. أنهى معلمو مجلس السحرة الأعلى خلوتهم التي استمرت طيلة الليل ليخرجوا على الملأ الذي ينتظرهم، شقوا طريقهم مباشرة نحو الخيمة الملكية التي جهزت خصيصًا للملكة «إلينا» التي أصرت أن تتابع بنفسها كل التجهيزات من أرض الميناء، أبدى الجميع تقديره وإجلاله لمعلميهم الكبار لتستقبلهم الملكة بكل حفاوة وترحاب ليبادلوها التحية بكل وقار وتقدير.

-سمو الملكة «إلينا» حامية الجليد وسليلة «آل ياشين» العظام، أيها السادة الحضور، الآن يمكننا أن نبدأ المسير نحو الجنوب.

شعر الجميع بالسعادة فتلك هي الإشارة الحاسمة لبدء التحرك لتتضارب مشاعرهم ما بين الحماسة ومواجهة المجهول، فمع كل عزيمتهم وحماستهم السابقة ها هم الآن يشعرون بما تحدث عنه المستشار «جورج» من قبل أنهم سيواجهون المجهول، حرب إما للفناء أو تسطير الأمجاد لتشعر الملكة «إلينا» بما يحدث لتنهي الجدل بسؤال سريع للوزير «دوراتي» عن موعد التجهيز الرسمي للرحيل، ليخبرها بأن السفن جاهزة فقط تعبئتها بالجنود سيلزمه نهارًا كاملًا

لتخبرهم بأن يستعدوا للتحرك مع آخر أضواء النهار، وأن يهرع الجميع سريعًا نحو السفن. صدرت الأوامر الملكية سريعًا بتحرك الجميع نحو السفن ليبدأوا رحلتهم، بينما اعتلت الملكة «إلينا» وقادة الدولة السفينة الملكية وبرفقتهم معلمى مجلس السحر الأعلى ليشاهدوا تحركات المقاتلين ويحفزوهم على ما يقومون به، بينما نساء الجليد قد خرجن لتوديع أزواجهن ورجالهن؛ فقد تحول الميناء لمركز تجمع أبناء الجليد لتسود لحظات من الود والشجن بين الجميع كل يودع ذويه متمنين لهم التوفيق والنصر في زحفهم المجيد.

***

يوم ثالث يقضيه الملاعين في قصف الأسوار الأمامية لميناء اللؤلؤة، لم يتوقف «دوجلاس» عن تحفيز رجاله فمهما كانت قوة هذا السور فسيسقط بالنهاية أمام عزيمتهم وقوتهم الغاشمة أخبرهم أنه يمكنهم إسقاطه بقبضة أيديهم فقط فهم أبناء السيد الأوفياء، لكنه يريد الحفاظ على أرواحهم فإن كانوا يستطيعون إسقاطه بالمقاليع فلما نضحي بالرجال، أعد حلقات تدريبات للقتال في كل الخطوط على طيلة خط الحصار فعليهم أن يستعدوا جيدًا لاقتحام المدينة حين تسقط تلك الأسوار، بينما بالداخل ساد الصمت

الجميع يؤمن الجدار الثاني للقلعة؛ المتاريس قد وضعت خلف الأبواب، المدافعون يسعون لتأمين كل موضع قدم أعلى الأسوار، يعلمون أن دفاعهم على طيلة خط الأسوار لن يكون في صالحهم فعددهم ليس بالكافي لصد هجومهم إن نجح الملاعين في اختراق السور الأول؛ لذا توجب على قادتهم إيجاد حلول سريعة لذلك فالوضع بالخارج قد تغير مع تغير خطط الملاعين.

-أيها السادة، هذا هو وضعنا الآن الأسوار لن تصمد كثيرًا تحت هذا القصف ثلاثة أيام من القصف المكثف هو أمر جيد، لكن هل سنصمد لثلاثة أيام أخرى هذا ما يجب لا نعلمه، كما تعلمون أن عددنا ليس بالكبير للدفاع على طيلة أسوار القلعة الداخلية أمام هذا الجيش الجرار من الملاعين.

-سيد «بيدرو»، أيها السادة، اسمحوا لي، إن أردنا نصمد لمدة أطول فعلينا أن ندفع الملاعين للهجوم في حيز أقل ممكن؛ لذا أقترح أن نشارك بسفن البحرية في الدفاع عن القلعة منكم إن مدى القاذفات لدينا يصل إلى نحو الميلين على أقصى تقدير؛ لذا إن اقتربنا بالسفن بأكبر قدرٍ ممكن من الشاطئ على جانبي القلعة الشمالي والجنوبي مع تركيز قصفنا على الملاعين فهذا يعني أننا سنقلل حيز الهجوم على

كل جانب بنحو الميلين يدافع عنهم رجال البحرية.

-هذا اقتراح جيد سيد»جونزالو»، لكن هذا سيجعلنا نقلص المسافة نحو الأربع أميال ليبقى أمامنا سبعة أميال ندافع بها وهي مسافة ليست بالقليلة خاصة مع عدد جنودنا الضئيل أمامهم؛ لذا سيد أنطوي، من الآن ستجند كل رجل موجود بداخل القلعة، أعطهم أسلحة لا يهم إن كان يجيد القتال أم لا، لنجعلهم على الأسوار يحملون قدور الزيت ويلقون بها على الملاعين أو حتى نستخدمهم في وضع الفخاخ ومساعدة الرجال، يجب أن يجدوا أكبر عدد ممكن على الأسوار، فما يميز الأسوار الداخلية أنها تمتاز بارتفاعٍ شاهق سيحتاج تسلقها وعبورها وقتًا كبيرًا إن قرروا عبورها دون قصفها.

-سيد «بيدرو»، إن تجنيد العامة في هذا الوضع قد يضر بنا أكثر ما يفيد.

-أعلم عزيزي»براجوس»، لكن ليس لدينا خيار آخر، أريد أن نرفع العدد للضعف على الأقل يجب أن نصمد لأطول وقت ممكن دفاعًا عن مدينتنا حتى نصرفهم عنا.

لم يعلم أحد ما يدور في صدر»بيدرو»؛ فهو يحاول كسب أطول وقت ممكن ممنيًا نفسه بأن يأتيه المدد من أرض

القديسين، لم يصرح لأحدٍ بما في داخله حتى لا يعطيهم أملًا زائفًا يركنون إليه ليشرد قليلًا قبل أن يعاود الحديث.

-أيها السادة، في حالة فشلنا سيتوجب علينا إخلاء المدينة عبر الميناء سنحمل السفن بأكبر قدر ممكن ونعبر بهم بعيدًا.

بدت كلماته صامدة فلأول مرة يتحدث عن السقوط وإجلاء المدينة فهم يعرفون جيدًا أن الملاعين لن يرحموهم إن اجتاحوا أسوار القلعة، لينهوا اجتماعهم ويبدأوا العمل سريعًا ليشرع «أنطوي»و«براجوس» ورجالهم بتجنيد كل ما يجدونه من رجال أمامهم، بينما أسرع «جونزالو» نحو رجاله ليأمرهم بانتشار السفن منذ صباح اليوم التالي على حدود الميناء، ليمضى الجميع ليلة طويلة من العمل على خططهم للصمود لوقت أطول.

14

يحمل الآمال والطموحات لأبناء الغرب بين طيات نفسه، يخفي السر الأهم في مهمته نحو أرض القديسين ممنيًا النفس بأن يلبي ملوكهم النداء، لكن صراع النفس أخذ ينبئه بالأسوء لما قد يقبلون بخوض حربٍ كتلك، صراع نفسي رهيب لا يعلم به أحد يدور بين جنبات «كلارك»، لم ينعم بالنوم كفاية طيلة الرحلة ليبقى ليلته تلك متمنيًا أن يعود موفقًا إلى أرضه من جديد ليجد النوم طريقه نحو أجفانه مع ساعات الصباح الأولى، لكنه لم ينعم به إلا لدقائق معدودة ليجد تلك الطرقات المتتالية على قمرته الخاصة في السفينة ليهرع سريعًا مجيبًا ليجده أحد الجنود يخبره بأن هناك سفينتان حربيتان تقتربتان إليهم ترفع أشرعة «أرض القديسين»، ليبدل ملابسه سريعًا ويصعد للسطح طالبًا من رجاله الهدوء ليهدئوا سرعتهم؛ فهذا أمر اعتيادي فدائمًا ما يجول أسطول ممالك القديسين الثلاث محيطهم البحري ليأمرهم بإعطاء الإشارات للسفن بالاقتراب ليمضوا بعض الوقت قبل أن تقترب إحدى تلك السفن إليهم وتصبح ملاصقة لهم، ليحييهم السيد «كلارك» قبل أن يمدوا إليه جسرًا ليعبر نحوهم ليجد قائد تلك السفينة بانتظاره. تحلى السيد «كلارك» بكل هدوءه وحنكته وقوته أمام أبناء ممالك

القديسين فهم فارعو الطول، مسحوبو الأعين، دقيقو الأنف، تسحب آذانهم للأعلى ليتبين للعيان أنهم من جنس «الإلف» الأسطوري فهم أحد أجناس الجن الذين يتطورون وتعايشون وتطوروا ليقطنوا أرض القديسين منذ قديم الأزل، تلك الأرض التي كانت مجهورة من الجميع لكن استطوتنها في البداية ثلاثة رجال من جنس الإلف اكتشفوها واقتسموها معًا أطلقوا عليهم لقب القديسين الثلاثة ليؤسسوا لجنسهم تلك الممالك البعيدة، أبدى «كلارك» فائق احترامه لقائد تلك السفينة معرفًا عن نفسه كمسئول الخزانة بميناء اللؤلؤة بأرض «زاندو»، وأنهم في رحلة تجارية نحو ميناء»راوش» حيث مملكة القديس «سيناترو»، تفهم قائد السفينة الحربية الأمر ليرحب به وبتابعيه ليخبره «كلارك» أنه يحمل رسالة خاصة للملك «ترادوس» حاكم «مملكة «سيناترو» ليجذب هذا انتباه هذا القائد ليجيب سريعًا:

-حسنًا، سيدي، إن كنت تريد أن تصل أسرع فيمكننا أن نقلك بسفينتنا تلك، فسفننا الحربية فائقة السرعة يمكنها أن تقطع الطريق من ميناء «راوش» حتى أرض «زاندو» في خمسة أيام فقط، وإن أتيت معنا يمكننا أن نصل لميناء «راوش» مع منتصف الليل.

لاق هذا الاقتراح إعجاب «كلارك» ليرحب به وبشدة قبل أن يعود لقائد ركبهم ويخبره أن سيتوجه معهم مباشرة نحو ميناء»راوش» وسينتظروهم هناك ليكون بصحبته بعض من كبار التجار، كما أخبرهم أن السفينة الحربية الثانية سترافقهم حتى يصلوا إلى ميناء «راوش» آمنين لينصاع الجميع لقرار السيد «كلارك» الذي توجه سريعًا لسفينة الإلف لينطلقوا نحو أرض القديسين؛ فهو يسعى لكسب كل دقيقة ممكنه في رحلته حتى يلقى ملوك القديسين الثلاث.

***

تأنق «روبرت» في قيادة قوات الجنوب في نزهة عسكرية نحو «بوزان» هدفهم الأول تقليم أظافر المساجين وردعهم وأن يعلو كلماتهم على حراس «بوزان» لم يشعر هذا الشاب اليافع للحظة واحدة بأن مهمته عسيرة فهم سيساعدون السجانين المسيطرين بالفعل على السجن لبضعة أيام ويبقى بينهم بعض من جنود الجنوب ليرسو مبدأ الاستقرار لفترة من الزمن قبل أن يعودوا من جديد نحو المدينة الخضراء ولكن برفقتهم «ليدلي» هذا الأسير بالغ الأهمية الآن، قادهم هذا الفارس كدليل نحو معقل عمله السابق، بينما سادة حالة من المرح بين الجنود غير عابئين برحلتهم فهم يعلمون

أن سادتهم الجدد في حكم الجنوب سيغدقونهم بالأموال والعطايا، نظر تلك النزهة ليبدو الفيلق المتحرك ففي أقل درجات استعداده لخوض حرب بأي حالٍ من الأحوال، لكنهم لم يعوا بعد ما هم مقبلون عليه، فقد انتشر رجال «إدجار» على طيلة الطرقات المؤدية لقلعة «بوزان» يرصدون كل التحركات التي تحدث هناك، ليلحظوا هذا الفيلق الذي توجه نحوهم ليبدأ هؤلاء الرجال بتبادل الإشارات بينهم عن طريق تقليدهم لأصوات الطيور فهذا ما اعتادوا عليه من قبل حين احترفوا قطع الطرقات، لم تجذب تلك الأصوات اهتمام جنود الجنوب إلا قلة قليلة منهم لكنهم حظوا بسخرية من بين أقرانهم، بينما أنها رجال «الفولكا» عملهم ليتراجعوا للخلف نحو القلعة لكن الأخبار قد وصلت قبل أن يصل الرجال ليسرع «إدجار» نحو الأمير «ليدلي» ليخبره بأن هناك قوات ما تقترب من القلعة قادمين من مملكة الجنوب.

-يبدو أن الحرب هنا ستبدأ مبكرًا، كنا نريد أن نكسب بعض الوقت في صمت بعيدين عن الأعين، لكن كم هي أعدادهم عزيزي «إدجار»؟

-إنهم بضعة ألاف يا سيدي، هذا ما علمته عبر إشارات رجالي لكن سنعلم عددهم وقواهم الحقيقي عندما يعود

الرجال المنتشرون على الطرقات.

-حسنًا، أيها السادة، إن الفخاخ التي صنعها رجال «إدجار» لن تعيقهم عن التقدم نحو القلعة لكنها ستؤخرهم بعض الشيء فمع اكتشافهم لأول فخ سيبدأون بالبحث عن البقية.

-سيدي، هل ترى أن نغلق القلعة ونحصنها جيدًا بأن نقوم بنشر الرجال في كل مكان؟

-لا، لن نقوم بذلك بل سندعوهم لداخل القلعة لننصب لهم الشرك هنا.

بدا الاندهاش على الجميع كيف يخطط الأمير»ليدلي» بالدفاع عن القلعة بتسهيل دخول القوات القادمة إليهم ليبدأ شرح خطته التي تبادرت لذهنه لحظيًا سريعًا؛ فالقادمون بكل تأكيد لا يعلمون ما حدث في القلعة بالتفصيل، فالفارس الذي دفع به «إيفان» نحو عاصمة الجنوب ليأتي إليهم بالمدد خرج قبل أن يحسم الصراع في سجن «بوزان» ولا يعلم ماذا حدث؛ لذا إن كان عدد القادمين هم بضعة آلاف على الأكثر سينصبون لهم الفخ باستخدام «أداميوس» ورجاله في إحكام الشرك عليهم جيدًا.

***

بسلام عبر فتيان «المنجالا»جبال»آلابا» لتكن رحلة عودتهم كما ذهابهم فلم يقابلهم أي من الوحوش الضارية تلك المرة توجب عليهم الانتقال على الأقدام إلى أقرب نقطة مراقبة، بل ليتحروا الدقة سلكوا طريقهم نحو النقطة التي انطلقوا منها في بداية رحلتهم ليروا من بعيد شاب يعرفونه جيدًا ليصيح إليه «أنتيكوس»:

-أنت يا هذا يبدو أنك عدت سالمًا بدون أن تهاجمك الوحوش من جديد.

التفت إليهم هذا الشاب والذي لم يكن إلا «جوليان» رفيقهم في رحلة الذهاب لينطلق إليهم مهرولًا ليرحب بهم قبل أن يقودهم مباشرة نحو نقط المراقبة ليتحصلوا على بعض الراحة هناك ويتناولوا بعض الطعام، ليقدموا لهم خيولًا يمتطونها نحو موطنهم الأم مقر قبائل «المنجالا»، ليتحدثوا في الطريق مع «جوليان» متسائلين منه عن المتغيرات التي طرأت على وطنهم في فترة غيابهم تلك.

-لقد أعلن الزعيم «إيكابي» حالة التأهب القصوى يا سيدي، يحض كافة المقاتلين من أبناء «المنجالا» استعدادًا للعبور نحو «زاندو»، كما عقد اجتماعًا سابقًا مع قادة القبائل الأخرى من أجل النبوءة المقدسة يا سيدي.

تمنى «أشوري» أن يكون الجميع قد اتفقوا على كلمة واحدة وأن يساند الجميع أبناء «المنجالا» في تلك المهمة فهو يعلم بعض النزاعات بين بعض القبائل خاصة قبائل «النوماكي» الذين يطمحون لمقعد الزعامة بدلًا من قبيلتهم، فالحرب في أرض»زاندو» ضارية وما وجده هناك لن يتحمل وجود أي شتات بينهم فيجب أن يحشدوا كامل قوتهم لخوض تلك الحرب المقدسة.

***

لم يهدر»كلارك» الوقت، فمع وصوله لميناء «راوش» طلب المضى سريعًا نحو مدينة القديس «سيناترو» حيث عاصمة المملكة الوسطى في أرض القديسين ليمضي ليلة ونهار كامل في الطريق برفقة بعض من جنود ممالك القديسين ممن أقلوه مباشرة نحو عاصمتهم بل نحو القصر الملكي، ليقابل الملك «ترادوس» ليخبروا الحرس الملكي بوجود ضيف من أرض «زاندو» يطلب لقاء الملك في عجالة، ليرحبوا به ويبقى «كلارك» في البهو الرئيس للقصر حيث قاعة العرش لينتظر قدوم الملك نظرًا لوصوله في وقت متأخر من الليل، سعى «كلارك» أن يستغل هذا الوقت لترتيب كلماته جيدًا فهو يعرف أن ملوك القديسين هم أهل فخر وعزة كما يعلم

أنهم أناس لا يمكن ترويضهم أو إغراؤهم بسهولة، كما يعلم أيضًا أنه إن نجح في إقناعهم أو استمالتهم فسيكونون هم المدد الحقيقي لنصرة الجميع ليس في مدينة اللؤلؤة لكن في كافة أرجاء «زاندو». انقضى الوقت في عجالة على «كلارك»، لينتبه لحاجب القصر يخبره بقدوم الملك «ترادوس» الذي دخل إلى القاعة في خيلاء ووقارٍ شديد بزيه الذهبي اللامع وتاج رأسه المرصع بالأحجار الكريمة ليقف «كلارك» تحيةً وإجلالًا لحضوره الملكي مطأطئ رأسه في حضرته حتى استقر الملك «ترادوس» على عرشه ليشير إليه بالحديث، تقدم «كلارك» صوبه بأدبٍ شديد محييًا إياه ومعرفًا عن نفسه ومنصبه في أرض الغرب قبل أن يقدم إليه الرسالة المحمل بها ليلتقطها الحاجب ويعطيها للملك الذي فضها بدوره ليقرأ ما فيها من تحية إجلال وتقدير من ملوك «زاندو»، ثم طلبهم له ولملوك القديسين بالعون والمساعدة في حربهم أمام الملاعين، فلم تكن طلبات ملوك «زاندو» تلك حربية بل كانت على سبيل التعاون الاقتصادي والتجاري بإمدادهم بالمؤن المطلوبة إن لزم الأمر، كما أعربوا عن تقديرهم لملوك القديسين وثقتهم بأنهم سيكونون خير معين لهم في تلك الحرب لتنتهي الرسالة بأختام الملوك الخمس وتحيتهم له، لينهي الملك الرسالة قبل أن يبتسم في وجه

«كلارك» محدثًا إياه:

-كل التحية والترحيب لك ولملوك «زاندو» سيد «كلارك»، يمكنك أن تتحصل على كل المؤن التي تريدونها معفاة من الضرائب، كما ستحظون بدعمٍ خاص فيما تطلبونه من خزائن المملكة وبكل تأكيد من باقي ممالك القديسين.

-إنه لشرف وكرم عظيم منك يا سيدي، وهذا عهدنا دائمًا بكم، لكن إن سمحت لي سيدي الملك فإن تلك الرسالة هي آخر وصايا ملوك «زاندو» قبل أن يُغدَر بهم وإني هنا رسول عن أهلي وقومي طامحين في كرمكم ومساعدتكم الكاملة لنا؛ فالأمر لا يقتصر على المدد التجاري فقط.

-ما الذي ترمي إليه من حديثك يا هذا؟ وما تقصد بأن تلك الرسالة كانت آخر وصايا ملوك «زاندو» قبل أن يغدر بهم؟

تحدث «كلارك» بكل أسى وحزن ليصف للملك «ترادوس» ما مر على «زاندو» في الفترة الماضية بداية من سقوط الشمال بشكل مفاجئ عصف بأرضهم، ليعلن ملوكهم حرب التحرير لمواجهة الملاعين لكنهم عانوا أثار الخيانة ومرها فسقط بعدها الغرب وجيشه ليليه سقوط ملوك «زاندو» بأيد آثمة من رجالهم، لتبدأ بعدها المذابح في كافة أرجاء البلاد، استطرد «كلارك» في توصيف كل ما حدث في بلاده بدقة،

بينما انصت إليه الملك «ترادوس» بكل اهتمامٍ أخذ يستفسر منه عن كل نقطة في حديثه ليستمرا في حوارٍ طويل تجاذبوا فيه كافة التغيرات التي حلت على «زاندو» انتهاءً بالموقف الراهن في ميناء اللؤلؤة وطلبهم للمساعدة، ليصمت الملك «ترادوس» بعض الشيء ليعاود الحديث من جديد:

-أعتقد أنك تعلم سيد «كلارك»، بأننا أجناس الإلف نمتاز بالأعمار الطويلة التي تصل لقرون عديدة، عند حربكم العظمى الأولى وتوحد كل قبائل «زاندو» من أجل ردع خطر الملاعين عنهم كنت وقتها شابًا يافعًا كانت تأتينا أخبار تلك الحرب، ضربتم وقتها المثل في التعاون والزود على أرضكم، صارت تلك قصة تعلم لصغارنا ويرويها كبارنا لكي يعلمونا التضحية من أجل الوطن والأرض فقد أمضينا هنا بضعة آلاف من السنوات عندما أتينا لأرضنا تلك من كل بقاع الأرض، وإن ما يحدث الآن لهو أمر محزن ومسئ للغاية لهذا التاريخ الناصع الذي سطرة أجدادكم، وإني لأعرب لك عن كامل أسفي وأساي لما يحدث، يمكنك أن تذهب الآن للراحة ولتعلم أن كامل المؤن التي تطلبونها ستحصلون عليها بشكلٍ مجاني كدعمٍ بسيط لكم وعرفانًا بعلاقات الود الدائمة بين ممالكنا، لكن أمر الحرب والمدد العسكري فلندعه لوقت آخر.

أنهى الملك «ترادوس» حديثه ليشكره «كلارك» على مشاعره تلك ليغادر البهو برفقة بعض من الحرس الملكي ليستقلوه لجناحٍ خاص به، بينما أمر الملك «ترادوس» حاجب قصره ليكتب رسالة سريعة تحمل على وجة السرعة لملوك القديسين الآخرين لينبؤهم عن الوضع الراهن في أرض «زاندو» وما يراه الملك «ترادوس» في هذا الأمر.

***

أن يصمدوا يومين آخرين تحت القصف المكثف كان بادرة أمل لدى المدافعين في ميناء اللؤلؤة بأن أسوارهم قادرة على حمايتهم بشكل أكبر، يعلمون أنها ستنهار في وقت ما لكنهم يأملون أن تصمد حتى وقت يتوقف فيه الملاعين على قصفهم معتقدين أن تلك الأسوار حصينة غير قابلة للسقوط، دفعوا بمن جمعوهم من مدنيين أعلى أسوار القلعة لينجحوا في حشد عدد كبير من الرجال مدوهم بالزي العسكري، كل ما يريدونه هو إظهار وجود عدد كبير أعلى الأسوار ليقتنع الملاعين أن مهمتهم ليست بالسهلة، لم يتوقف «بيدرو» عن تحفيز قادة جيشه ورجاله بنجاجهم في هذا الأمر، كما استمر في تحية الرجال الذين تم تجنيدهم فقد استطاعوا أن يرفعوا العدد من نحو الخمسة ألاف مقاتل لنحو العشرين

ألف مدافع خلف القلعة، نعم يعلم أنهم يدفعون بهم نحو التهلكة لكن عليه أن يجمع أكبر عدد ممكن للصمود أمام هذا العدوان الغاشم. لم تخبْ عزيمة «دوجلاس» على إسقاط هذا السور رغم أنه يرى حوله بعض الضجر من رجاله ومن قادة جيشه، كان في قرارة نفسه يسب الجميع ويلعن تلك الأسوار التي تعطله عن مهمته الأخيرة في بلاد الغرب، استمر رجاله في القصف بشكل روتيني جعلهم دائمًا يزيدون قصفهم مع أوقات الليل عن النهار ليخبروا من في القلعة أنهم لا يكلون أو يملون في أي وقت، قضى ليلته الأخيرة في صراع مع النفس ومع من حوله من رجال، لكن شيئًا بداخله أخذ يحدثه عن اقتراب الأمر ليقف بنفسه برفقة المقاتلين على المقاليع يلقمها ويطلقها معهم راجيًا أن يكون حديث نفسه في محله، ليؤتي العمل المتوالي على طيلة الأيام الماضية أكلها فالتصدعات التي لاحظها المدافعون بداخل القلعة منذ عدة أيام قد أصبحت أكثر قوة الآن، ليؤتي القصف أكله وتسقط أول صخرة في جسد هذا السور العملاق. ساد القلق في أجساد كافة المدافعين عن القلعة؛ فسقوط السور الأمامي يجعلهم وجهًا لوجه أمام الملاعين، لينطلق «بيدرو» للنقاط الأمامية يتابعون ما يحدث ليحشدوا كافة الرجال خلف الأسوار مباشرة ليتمتم «بيدرو» في قرارة

نفسه(يبدو أن نهايتنا قد بدأت الآن) قبل أن يتمالك نفسه سريعًا موجهًا حديثه لبراجوس وأنطوي متسائلًا عن المواد الملتهبة التي لغموا بها السور الأمامي عن مدى نجاحها، ليخبره «براجوس» أنه أمر غير معلوم فعليهم أن يدعوا بأن يكون أبناء ممالك القديسين صادقين فيما أعطوهم من سلاح، على جانب الملاعين تعالت صيحات الفرح بين الجميع مع سقوط أول صخرة ليعلموا أن عملهم الحقيقي قد بدأ الآن ليعقد «دوجلاس» اجتماعًا سريعًا مع قادة جيشه ليخبرهم بما سيقومون به:

-أيها السادة، الآن نبدأ إنجاز النصف الأول من مهمتنا، ليستمر الرجال بالقصف حتى حلول المساء نريد أن نحدث أكبر قدر من التصدعات بهذا السور، وقتها سيبدأ الهجوم سندفع بالغيلان والعمالقة، مهمتكم الأولى ستكون إحداث فتحات كبيرة في الأسوار لنهاجم على طيلة الخط الدفاعي لهم فقط سنترك فاصلًا بعيدًا عن الميناء يجب أن نشتتهم في مناطقهم الدفاعية، فقد آن الأوان لرد ما فعلوه بنا من قبل، عند نجاحنا بهذا الأمر سندفع بالمشاة كاملين وهذا ما يقارب نصف الجيش لنتقدم نحو الأسوار الأمامية سيكون عليهم إلهاؤهم إلى أن يتم العمالقة والغيلان عملهم بإسقاط أكبر قدر من السور، فقط سيبقى فيالق المقاليع والمنجنيق

والفرسان والقناطير بالخلف.

حظت خطة «دوجلاس» بإعجاب الجميع ليقسموا جميعًا باسم «السيد» أنهم سيلعنون كلمته كأبناء أوفياء له بإسقاطهم لآخر معاقل الغرب في تلك الليلة فبإسقاطهم للسور الدفاعي الأول لن توقفهم أي أسوار أو أي قوات أخرى.

***

تقدم الزعيم «إيكابي» أبناء قبيلته في استقبال ابنه «أشوري» ورفقته العائدين من رحلتهم المقدسة في أرض «زاندو»، ليستقبلوهم كأبطال عائدين إليهم بأول بشارة النبوءة المقدسة لأبناء «المنجالا»، لم تقل حفاوة استقبالهم «لأشوري» و»أنتيكوس» عن تلك الحفاوة التي استقبلوا بها «أندرو» بل لحظ هو نظرات العامة له التي كان يملؤها الشغف والفخر تجاهه، الجميع ينظرون إليه ويتهامسون بينهم وكأنهم يشاهدون أحد عجائب الدنيا أمام أعينهم، اصطحبهم «إيكابي» نحو منزله مباشرة ليس كبيوت «زاندو» بكل تأكيد لكنه أكبر المباني في المكان حوله.

جلس «أشوري» ورفقته بصحبة أبيه وكبير عرافي «الفودا» وكبار رجال «المنجالا» ليروي عليهم ما حدث في رحلته

وكيف ألتقوا بالأمير الموعود، كما عرفهم برفيقهم الجديد «أندرو» الحاضر معهم نيابة عن الأمير «ليدلي»، بدا بعض الاستياء على وجه الزعيم «إيكابي» فلم يعودوا بالموعود الذي حدثتهم عنه نبوءتهم القديمة بعد بل أتوا بمن ينوبه ليوجه ناظريه نحو كبير العرافين الذي صمت هو الآخر مغمضًا عينيه قليلًا قبل أن يهم سريعًا مغادرهم ليلحق به الجميع نحو خيمته، بينما خيم عدم الفهم على «أندرو» الذي شعر فقط بخيبة أمل هؤلاء الرجال فلم يكن هو الشخص المرجو قدومه إليهم، لكنه تبعهم سريعًا إلى حيث ذهبوا ليجدهم جميعًا يقفون بوقار وإجلال لهذا الرجل الذي بدأ يقوم ببعض الأعمال التي تنتمي للشعوذة والسحر المحرم في أرض «زاندو». استغرق السيد «توفا» كبير العرافين بعض الوقت في إنهاء طقوسه تلك قبل أن يرفع هامته للجميع مبتسمًا لهم ليهز رأسه بعلامة الإيجاب قبل أن يبدأ الحديث موجه لزعيمهم «إيكابي»:

-إنه الموعود يا سيدي، إنه الموعود.

لم يفهم الجميع ما يرمي إليه كبير العرافين من حديثه لكنهم فرحوا بتأكيده بأنهم على المسار الصحيح، لم يستفسر أي منهم عما قاله كبير العرفين ليأمر السيد «إيكابي» بإعداد

وليمة سريعة للحاضرين مخبرًا إياهم أنهم عليهم أن ينالوا قسطًا من الراحة؛ فغدًا سيكون موعدًا جديدًا يجتمع فيه كبار قبائل الغجر ليبدأوا رحلتهم نحو أرض «زاندو».

***

استمر تقدم هذا الجيش المصغر الذي تحرك من عاصمة الجنوب نحو «بوزان» أمر الأمير «روبرت» بإرسال بعض سرايا الاستطلاع للأمام لتتقدم الجيش ليكشفوا عما يوجد بالطريق كإجراء احترازي، فهو يعلم أن النصر حليفه لا محالة لكنه أراد أن يثبت للجميع كونه قائدًا حربيًا محنكًا على غرار أخيه كيغان بإجراء مثل تلك المناورات المعتادة لكن يبدو أن هذا الأمر كان سبيلهم في كشف أولى الفخاخ التي نصبت على الطرقات القريبة من قلعة «بوزان». مع اقتراب الشمس من المغيب عاد بعض أفراد سرايا الاستطلاع تلك نحو باقي الجيش ليذهبوا سريعًا نحو الأمير»روبرت» مخبرين إياه بوجود بعض الفخاخ البدائية التي نصبت على جنبات الطريق والتي أسقطت اثنين من رجالهم، استشاط «روبرت» غضبًا مما سمع ليستدعي سريعًا هذا الفارس الذي أتاهم من «بوزان» ليسأله عن تلك الفخاخ ليخبره أنه لم يكن يوجد مثل هذا الأمر من قبل حين أتى نحو عاصمة

الجنوب، ليصيح «روبرت» به غاضبًا قبل أن يطلب من رجاله أن يخيموا تلك الليلة في موقعهم على أن يرسل هذا الفارس برفقة سريتين للاستطلاع من أجل كشف الفخاخ المتواجدة في الطرقات، وليكمل الجيش مسيرته في صباح اليوم التالي. بداخل قلعة «بوزان» أحكم «ليدلي» خطته جيدًا ليخبر رجاله ويعلمهم ما سيقومون به لينتشر رجاله في كل موقع خاصة مع وصول رجال الاستطلاع لديهم والذين أخبروهم أن الجيش المقبل عليهم قد يصل قوامه إلى ما يقارب العشرة ألاف رجل، ليعدوا عدتهم جيدًا لهم قبل أن يلقن «أداميوس» جيدًا ما سيقوم به مخبره أن نجاح خطتهم تلك يتوقف عليه في المقام الأول؛ فاليوم التالي سيكون يوم حسمهم الأول في «بوزان».

***

15

استعد كلا الطرفين للمواجهة الوشيكة بينهما ؛الملاعين يتأهبون للهجوم وإسقاط ميناء اللؤلؤة، بينما المدافعين بداخل القلعة قد حُبست أنفاسهم يعلمون أن الجحيم قد اقترب منهم ليستعدوا بكل ما أوتوا من قوة للذود عن أرضهم وعن أنفسهم في معركة غير متكافئه نجحوا في تأجيلها من قبل إلى هذا الوقت الحاسم، ليختبروا مدى صلابتهم الحقيقة في مواجهة مباشرة أمام الملاعين.

انتظر «دوجلاس» حتى أحكم الليل إسدال ظلامه على كل الموجودات في أرض «زاندو»، لكنه لم يشغل باله هو ورجاله إلا اقتحام هذا الميناء العصي عليهم إلى الآن، يعلم من البداية أن تلك الأسوار فقط هي ما تعيقهم وأن إسقاطها سيكون السبيل الأول لهم لفرض سطوتهم على تلك المدينة اللعينة التي صمدت كما لم يصمد أي مكان آخر في «زاندو» أمامهم، تأكد من جاهزية جيشه ورجاله رتب الصفوف على أكمل وجه؛ العمالقة والغيلان، العمالقة في المقدمة سيسقطون الأسوار الأمامية بأجسادهم الضخمة وقوتهم الكبيرة، يليهم قوات المشاة من ملاعين البشر والأقزام سيكونون الفوج الثاني ليتقدموا لمساعدتهم عند إسقاطهم للأسوار الأمامية لينقضوا على السور

الثاني للقلعة، بينما هو والفرسان من القناطير وملاعين البشر سينتظرون حتى تفتح الأبواب ليسقطوا من في القلعة جميعهم، عندما بدأ السور الأمامي يتصدع بشكل أكبر ويسقط أمامهم بعض أجزائه أعطى الإشارة لكتائب المقاليع والمنجنيق أن تتوقف عن القصف ليعلم الجميع في خارج القلعة وداخلها أن تلك هي الإشارة التي تسبق الهجوم. علم «أراجونيس» أنه ورجاله دائمًا ما يتحملون العبء الأكبر في كل معركة يخوضونها توجب عليهم أن يكونوا الفيلق الأول في هجومهم على مدينة «النور» عاصمة الشمال السابقة، كما تحملوا عبء اقتحام المانع المائي في معركة «آلانا» ومواجهة جيش الغرب بمفردهم ليسقطوه في بداية مشوارهم لإخضاع الغرب، لكن مهامهم الجسام لم تتوقف فقد تحمل فيلق العمالقة وفيلق الغيلان تسلق الجبال الوعرة المحيطة بمدينة «النسور» عاصمة الغرب في ساعات معدودة ليقذفوا تلك المدينة من أعلى ويخضعونها في قبضتهم بعد أن سهلوا مهمة اقتحام القلعة على «دوجلاس» ورجاله، والآن سيكونون هم الفوج الأول الذي يواجه الأخطار لاقتحام أسوار ميناء اللؤلؤة. تلقوا إشارة الهجوم لينطلق هو والعمالقة بسرعة وقوة حاملين أوتادهم العملاقة نحو الأسوار الأمامية للقلعة، لتصيح

حناجرهم بأصوات وصيحات عالية قادرة على أن تبث الرعب في قلوب المدافعين بداخل القلعة، ليتبعهم الغيلان يجرون ويدفعون تلك الألات العملاقة التي سيهدون بها الجدران، بينما تعالت صيحات النصر مهللة خلفهم في جيش الملاعين ليتقدموا خطوة تلو الخطوة نحو الأسوار التي عانت كثيرًا من القصف، بينما «بيدرو» قادته يشاهدون هذا التقدم ليحفزوا رجالهم صائحين فيه بالثبات وألا يتأثروا بما يرونه أمامهم، لم تمض إلا دقائق بسيطة حتى وصل العمالقة نحو الأسوار على طيلة خط الهجوم يدقون النقاط الأكثر تضررًا من القصف ليبدأ عملهم الحقيقي وتؤتي ضرباتهم أكلها مع تحفيز من «أراجونيس» ورجاله لبعضهم البعض، ليلحق بهم الغيلان متأخرين بعض الشيء لكن قوتهم الغاشمة جعلت العمل يبدو أسهل حينما وحد الجميع جهوده لتمضي دقائق قليلة بعدها نجحوا فيها بإحداث ثغرات في الجدار الدفاعي ليحفزهم «أراجونيس» على توسعة تلك الثغرات التي بدأت تكشف أمامهم الأسوار الأمامية ليروا من خلفها أسوار القلعة الحقيقية. أعطى «دوجلاس» الإشارة للفوج الثاني من الجيش بالتقدم لينطلق المشاة نحو الأمام بسرعة كبيرة صائحين، فبقاؤهم في الأيام الماضية وهم يفرضون هذا الحصار قد انتهى الآن، ليركضوا بأقصى ما

لديهم من قوة محملين بالسلالم وأدوات تسلق الجدران لتبدأ المعركة الحقيقية الآن في اكتساحهم لميناء اللؤلؤة. في داخل الميناء خلت الشوارع من العامة فقد احتمى الجميع في السراديب والملاجئ الخاصة، لذلك الأسطول البحري بدأ يتحرك بتشكيلاته مع انطلاق المشاة للأمام ليعطيهم جونزالو الإشارة الأولى ليبدأوا بعمليات القصف نحو القوات المتقدمة والتي بالفعل سعت لكي تبتعد عن مرمى نيران المدفعية البحرية لأسطول الغرب الذي كثف هجماته وبشدة في تبادل للإطلاق بين قطعة البحرية كأولى خطوات الدفاع التي وضعها أبناء الغرب للزود عن مدينتهم الأخيرة. راقب «دوجلاس» الوضع عن كثب محدثًا نفسه مجددًا بأنهم ليسوا بهذا الغباء لكي يجعلوا رجالهم في مرمى نيران المدفعية البحرية، فقد أخذوا حذرهم بالبعد بالقدر الكافي عن الساحل القريب ليكثف رجاله هجومهم على الأسوار مباشرة دون الالتفات لهذا الميناء اللعين، بينما أعلى الأسوار تحفز الرماة منتظرين إشارة قادتهم الذين انتظروا اقتراب الطلائع الأولى لمشاة الملاعين ليأخذوا الإذن ببداية الإطلاق، لتنهال الأسهم من السماء على طلائع المشاة تصيب بعضهم وتحصد أرواح البعض الآخر كأول الخطوات الدفاعية. لم يتوقف مشاة الملاعين عن التقدم رغم سيل السهام التي

انهالت عليهم ليحالوا الاحتماء بدروعهم لينجحوا أخيرًا في عبور الأسوار الأمامية للقلعة ليتقدموا صوب السور الثاني محاولين عبوره. ليعطي «أراجونيس» إشارته لكافة رجاله بأن يهاجموا الأسوار الثانية بسهامهم العملاقة ليبدأوا الهجوم على المدافعين أعلى الأسوار ليشعروا بتلك السهام التي أسقطت عدد منهم وليأخذوا الإشارة بالتراجع للخلف والاحتماء، ليعطي هذا مجالًا لكافة مشاة الملاعين بالتقدم للأمام بشكل أكبر ليحاولوا تسلق الجدران، بينما حاول الغيلان أن يدقوا الجدران بمعداتهم ليساعدهم المشاة بعبور تلك المعدات ودفعها من الأسوار الأولى للأسوار الثانية، راقب «بيدرو» و»براجوس» الوضع عن كثب ينتظرون اللحظة المثلى ليستخدموا سلاحهم الرادع، بينما «أنطوي» يحث الرجال على الثبات في دفاعهم، ليتمتم «براجوس» (هيا تقدموا للأمام نريد أن نحصي أكبر قدر ممكن منكم، فالآن سنعلم مدى فاعلية أسلحة القديسين).

توقد الدفاع داخل القلعة ليشعر الملاعين أن هجومهم الآن أصبح سهلًا للغاية؛ فاقتحامهم للسور الأمامي جعل مهمتهم أسهل بل أرعب المدافعين الذين توقفوا عن صدهم ليشعل هذا الأمر الحماسة في قلوب الجميع، ليتقدموا جميعًا نحو الأسوار مرددين اسم «السيد»، ليقسموا أنه سيعلوا رايته

خفاقة على تلك القلعة الأخيرة، بينما راقب «دوجلاس» الهجوم بفخر ليرى أن خطته قد أتت أكلها الآن كما يجب، راقب «براجوس» تقدمهم أكثر وأكثر عن كثب حتى أصبح مشاتهم بالكامل في مرمى الأسوار ليصيح في رجاله حوله الآن، ليهرع رجاله بدق أجراس القلعة التي اعتلت الأسوار لتتوالى الأجراس في إصدار أصواتها على طيلة الأسوار الدفاعلية للقلعة لتبدأ مرحلة الحسم، ليقوم الرجال بإشعال تلك الحبال السميكة التي لم يلحظها الملاعين أسفلهم والتي تم نقعها في الزيت المغلي والمواد الملتهبة التي أتوا بها من «أرض القديسين»، ليساعد هذا على اشتعالها بشكل أسرع لتتحرك النيران فيها بسرعة كبيرة كالنهر الهائج الذي يتحرك نحو مصبه الأخير بقوة جارفة، ليلحظ الملاعين أخيرًا تلك النيران التي تتحرك أسفلهم بسرعة شديدة ليحاولوا إيقافها لكن الأوان قد فات، تتحرك النيران نحو مصبها الأخير نحو تلك القدور التي نشرت على طيلة أسوار القلعة لينشب عنها صوت صم أذان العامة المختبئين في الملاجئ والسراديب ليسود بينهم فزع كبير معتقدين أن تلك هي نهايتهم وأن الملاعين قد دنوا منهم بشكل كبير. لم يسيطر فرسان الملاعين على خيولهم من هول الانفجار الذي حدث أمامهم لتفر الخيول هربًا ويسقط بعضهم بينما وقف «دوجلاس»

ذاهلًا وهو يرى نصف جيشه وتلك النيران تأكله إنه لا يعلم أي نوع من السحر أو الأسلحة استخدمه المدافعون في القلعة لينفجر هذا السور أمامهم بهذا الشكل العظيم، بينما نيرانه الزرقاء قد تعالت نحو السماء عالية وصوته قد أصم الجميع من حوله ليسمعوا بعدها صرخات رجالهم تتعالى وهم يحترقون في هذا الحجيم الذي دفع بهم إليه، ليعود بذاكرته لأيام سابق قد مضت عندما هاجموا مقاليعهم العملاقة التي نصبوها على جنوب الميناء وأسقطوها بقذائف غريبة النوع، والآن يسقطون الأسوار لكنه لم يكن يعي ما يتوجب عليه أن يفعله فقد أفقدته الصدمة عقله وألجمت لسانه عن النطق بأي شيء. أخذ هذا الصفير بعض الوقت ليهدأ تدريجيًا في أذان المدافعين داخل القلعة فحتى هم لم يتوقعوا مثل هذا الضجيج أو المفعول، لينظر الرجال من الأعلى يجدون الأسوار الأمامية قد تحطمت والنيران قد أشتعلت في كل مكان وقد تراكمت الجثث المتفحمة في ساحة الموقعة ومن لم تمته النيران بعد قد أخذ يهرول من اشتعالها بجسده، ليصيح فيهم «أنطوي» بأن يهجموا عليهم الآن ليقضوا عليهم لتنهال السهام والرماح من كل حدب وصوب أعلى القلعة تستهدف أجساد الملاعين تتلوها قدور من الزيت المغلي تشوي جلودهم تتبعها سهام

غمست أطرافها المدببة في النيران لتتجه مشتعلة نحوهم، ليحرصوا على إبقاء النيران مشتعلة بكل مكان. بينما تقدم بعض قطع الأسطول البحري لأقصى نقطة ممكنة على مقربة من الشاطئ ليكثفوا هجومهم عليهم ليسقط المهاجمين من الملاعين واحدًا تلو الآخر، ومن يفلح في النجاة منهم يهرع مشتعلًا نحو القوات المتبقية في الخلف، والذين لم يفهموا ما يحدث بعد لكنهم كانوا يساعدون رفاقهم بإخماد تلك النيران التي التهمت أجسادهم إن نجحوا في الاقتراب منهم، ليمضي الجميع ليلة مغايرة؛ الملاعين ذاقوا أولى أيات الجحيم على أبواب ميناء «اللؤلؤة»، بينما المدافعين لم يتوقفوا عن مواصلة حصد أرواحهم بعد أن ازدادت بداخلهم الحماسة والقوة فهم يرون نتاج عملهم الآن بنجاحهم في صد الملاعين بل أذاقوهم ويلات الحرب التي تكبدها إخوانهم في باقي بقاع الغرب من قبل.

***

أمضى رجال الأمير«روبرت» ليلتهم في كشف الفخاخ الموضوعة على جانبي الطريق ليتقدموا ببطءٍ شديد حتى طمأنوه أنهم أمنوا الطريق بما يكفي، ليعطي الأمير «روبرت» الأمر لرجاله ليكونوا على أهبة الاستعداد القصوى فيبدو أن

الأمور في «بوزان» ليست بخيرٍ، ليتقدم الفيلق المصاحب له بانضباط كامل بعد أن كانت تسودهم حالة من المرح في بداية رحلتهم تلك، تقدمت قوات جيش الجنوب حتى اقتربت بمقدار كافٍ من سجن «بوزان» ليشير طلائع الجيش بوجود قوات ركب من الفرسان يتقدم صوبهم، ليأمر الأمير «روبرت» بالتوقف والاستعداد لمواجهة المقبلين عليهم، تأهب الجميع ليمضي بعض الوقت قبل أن يقترب إليهم هذا الركب الذي عرفه هذا الفارس الذي حمل برسالة من «بوزان» إلى مملكة الجنوب ليصيح بالجميع توقفوا إنه القائد «أداميوس»، ليشير إليهم الأمير»روبرت» بالتوقف قليلًا قبل أن يقترب منهم «أداميوس» ورجاله من حرس السجن لينطلق إليه هذا الفارس ويحييه ويخبره أنه بصحبته الأمير «روبرت» وفيلق حربي أتى من عاصمة الجنوب لردع التمرد القائم في «بوزان» بعدما أرسله القائد «إيفان» برسالة لجلب المدد، تفهم «أداميوس» حديثه ليتقدم بكل وقار واحترام تجاه الأمير «روبرت» محييًا إياه بكل ود وعرفان، فطلب منه الأمير أن يخبره بالوضع الآن، فأخبره أن الوضع الآن تحت السيطرة فما حدث هو نوع من التمرد من بعض المساجين، نعم أحدث الأمر الكثير من الخسائر؛ ولذا أرسلنا لطلب المدد لكن بعدها نجحنا في السيطرة على الوضع بداخل السجن،

والقائد «إيفان» طلب نصب بعض الشرك والفخاخ على الطرقات للإمساك بأي هارب، أما الآن فالوضع هادئ حيث اتخذ القائد «إيفان» قرار بإيداع السجناء في زنازينهم لمدة من الزمن مع العقاب الفردي لهم. أعجب الأمير بما سمعه لكن أصر على رؤية الوضع بنفسه؛ لم يكن أمام «أداميوس» سوى الترحيب بالأمير «روبرت» وبركبه ليخبره أن القلعة ستزداد شرفًا بتشريفه، ليقودهم بعدها هو والفيلق القادم معه نحو القلعة، ليعتقد «روبرت» أن نزهته لن تكون عسيرة وعم من جديد المرح على القوات المصاحبة له، أما «أداميوس» فكان يقوم بدوره الذي وضعه الأمير «ليدلي» على أكمل وجه ليكون هو الطعم الذي يقودهم نحو الشرك الحقيقي. بداخل «بوزان» استعد الأمير «ليدلي» وجيشه الجديد يستعد الآن لاختبار قوتهم لأول مرة إما أن يثبتوا جدارتهم أو أن تكون تلك نهايتهم قبل أن يبدأوا، انتشر الرجال أعلى الأسوار بزي حراس السجن يظهر بعضهم للقادمين والأغلب اختفى عن أعين الناظرين، تقدم «أداميوس» بثقة كبيرة وبرفقته الجيش القادم من الجنوب لتبدأ القوات بعبور أبواب القلعة تباعًا، ليعبر بالفعل السرايا الأولى لجيش الجنوب ويبدأون الانتشار في ساحة القلعة الأمامية وهم يراقبون حراس القلعة الذين تعالت صيحاتهم محيين إياهم ليشعروا بإنتهاء

رحلتهم قبل بدايتها، ليعبر بعدهم الأمير «روبرت» وحاشيته ومعهم «أداميوس» الذي تأخر قليلًا مدعيًا إشرافه على دخول كافة القوات، امتلأت الساحة الأمامية عن أخرها بعد أن عبر بنجاح نحو نصف قوات الأمير «روبرت» الذي بدأ يبحث عن «أداميوس» الذي اختفى تمامًا عن الأنظار ليصيح في الجميع:

-أين قائد هذا السجن اللعين؟ ألا يعلم أن في حضرتهم أمير صاحب سمو ملكي؟

لم يكد ينهي كلامه حتى وجد الأبواب الحديدية للقلعة قد أغلقت فجأة لتفصل قواته عن بعضها البعض قبل أن يظهر الكثير من الرماة أعلى الأسوار فجأة ليصعد أعلى الأسوار رجل وقف الجميع خلفه.

-بل لتقل أن بحضرتهم خونة أتصبوا الحكم من ملوكهم.

بدت الصدمة على محيا «روبرت» الذي عرف هذا الرجل جيدًا فلم يكن إلا الأمير «ليدلي» هذا الأسير الذي أتى من أجل اصطحابه نحو عاصمة الجنوب، لكن صدمته تلك لم تدم طويلًا قبل أن يصيح «ليدلي» في رجاله بكل قوة معطيًا إياهم إشارة البدء، لتنهال السهام من أعلى الأسوار تحصد أرواح رجاله بالداخل، لتتعالى صيحاتهم من الألم، ليحل

الاضطراب جليًا في تحركات الرجال في الخارج، لتسود الفوضى في فيلق الجنوب الذي أصبح صيدًا سهلًا، قبل أن يعتلي فوج آخر من قوات «ليدلي» الأسوار ليسكبوا الزيت المغلي على القوات التي تتواجد خارج القلعة وتنهال عليهم السهام تحصد أرواحهم لتزداد الفوضى أكثر بين صفوفهم.
حاول «روبرت» أن يعيد تنظيم رجاله لكنه وجدهم يسقطون حوله واحدًا تلو الآخر، بينما سارع حرسه الخاص ليلتفوا حوله لتأمينه، فقد احتمى رجال الأمير «ليدلي» بالنقاط العالية ليهاجموهم منها ويضعوا المتاريس في كل موضع يؤدي للصعود للأعلى، ليحاول رجال «روبرت» أن يحتموا داخل القلعة نفسها لكن أبوابها كانت موصدة ليندفعوا جميعًا نحوها محاولين اقتحامها لتستجيب لهم تلك الأبواب أخيرًا وتنفتح أمامهم، لكن فتحت على أحد أبواب الجحيم، فقد وجدوا أمامهم مقلاع صغير صوب تجاههم بمواد حارقة التهم أجسادهم فور انطلاقه لينقض من خلفه «مارتي» وديجو» وخلفهم العديد من الرجال ليحصدوا أرواحهم، بينما «أداميوس» قد اهتم بالانقضاض على من هم عن الأسوار من الداخل ليهاجمهم هو وقدر من رجاله ليضعوهم بين المطرقة والسندان يجزوا الرؤوس ويهشموا الصدور ويقطعوا الأوصال بكل قوة وعنف، لينشغل الرماة بحصد

أرواح من في الخارج الذين بدوا أكثر فرصة للنجاة، ليصيح فيهم فرسانهم بالتراجع للخلف فقد نصب لهم كمين محكم ليحاولوا الفرار لكنهم وجدوا «إدجار» ورجاله من عصابة «الفولكا» يعتلون المرتفعات حول القلعة يحصدون أرواح من يحاول الفرار ليقعوا هم أيضًا في فخ آخر قبل أن يطلق الأمير«ليدلي» سهمًا نحو السماء، علم «إدجار» أنه إشارة للجزء الثاني من الخطة لينقض بمن معه من رجال بالخارج عليهم يهاجموهم، قبل أن يرى الأمير «ليدلي» أن الأوضاع قد حسمت بالداخل لتفتح الأبواب سريعًا لينطلق ومع ركب من الفرسان يساعدون «إدجار» ورجاله، شعر هؤلاء المساجين بأنفسهم يقومون بشيء ذى قيمة؛ فبعد أن كانوا سارقين أو مجرمين أو قطاع طرق أو ربما أناس ألقوا في السجون ظلمًا ما بين فرسان وجنود لم يرضخوا لما حدث في «زاندو» ليصبحوا في ظرف أيام قليلة نواة لجيش جديد لأمير حقيقي يسعى لإعادة الاتزان لتلك الأرض من جديد، وثقوا به بعد أن عاهدهم على العدل ليبدأوا أولى خطواتهم بإعلان «بوزان» نقطة انطلاق المقاومة في كل أرض «زاندو» ليعملوا السيف في أجساد جنود «تيري» الغاشمين، يذيقونهم بعض مما أذاقوه من خيانة وقتل لأهل الجنوب؛ لكي يجلسوا سيدهم على عرش ليس من حقة، ليمر نهار طويل

عليهم في «بوزان» لن ينسوه أبدًا بعد أسقطوا أول معتدٍ عليهم حصدوا أرواحهم وأسروا قائدهم الذي جلس مرتجفًا في محبسه، فلم يكن يعلم ما المصير الذي يواجهه قبل أن يسمع أصوات الأبواب تفتح ليجد أمامه الأمير «ليدلي» يقف بكل قوة وهيبة للملوك الحقيقين ليرمقه بعض الوقت قبل أن يحدثه:

-الآن عليك أن تعلم أنك في حضرة صاحب سمو ملكي حقيقي.

***

لم تكن صدمة وذل الأسر الذي وقع فيه «روبرت» أقل وطأة من صدمة الهزيمة التي حظى بها «دوجلاس»؛ نصف جيشه قد احترق أمام أبناء الغرب سقط «أراجونيس» ورجاله من العمالقة والغيلان وثلثي مشاة الجيش في هذا الشرك الذي أحكم لهم وسقط فيه هو ورجاله، ليعلم وقتها أنه قد تلقى هزيمة قاسية أمام المدافعين بداخل ميناء»اللؤلؤة» فلم يتبقى معه إلا الفرسان والقناطير فقط، ويعلم جيدًا أنهم غير كافين لاقتحام تلك الأسوار، كما أصبح يخشى من القوة الغاشمة تلك التي استخدمها أبناء الغرب في تلك المعركة فلم يعد يتحكم في أي ذرة

في عقله أو يملك أي قدرة على التفكير، فبعد أن كان يريد إنهاء المعركة قبل قدوم تعزيزات أخرى قادمة من قلعة «بلاجا» توجب عليه الآن أن ينتظرهم بخيبة أمل ليعاني ما عناه «أراجونيس» عندما سخر منه هو لفقدانه كم كبير من الجنود في معركة «ألانا»، أما هو الآن خسر المعركة وخسر أكثر من نصف جيشه أيضًا. سادت حالة من الفرحة بداخل ميناء اللؤلؤة العامة سعداء بما فعله رجالهم وقادتهم المقاتلين ليردعوا الملاعين عنهم، بينما قادتهم قد أيقنوا أن حيلهم قد نفذت ولم يبقى أمامهم إلا معجزة من زمن قد ولى ليصدوا هجمات أخرى، لكنهم عزموا جاهدين على الاستعداد لجولة أخرى بما يمتلكونه من موارد وقوات، لم يكن يعلم «كلارك» ما يحدث في ميناء «اللؤلؤة»، لكنه استقبل رجاله في ميناء «راوش» بأرض القديسين أخذوا يتبضعوا مما يحتاجونه من مؤن تحت رعاية الملك «ترادوس» الذي لم يعلم «كلارك» قراره بعد بشأن نصرتهم، لكنه علم أنه في أسوء الأحوال سيعود لقومه بالمؤن والسلع اللازمة لهم، أما أبناء الجليد فتقدمت سفنهم ببطءٍ نحو الجنوب تزيح تلك الكتل الثليجية التي تكتلت في بحر الشمال الجليدي يسعون لإزاحتها حتى يصلوا لمنطقة يمكنهم منها التقدم بشكل أسرع، حفزتهم

الملكة «إلينا» وقادة المملكة فهم يسعون من أجل نبوءتهم المقدسه ليعودوا كمخلصين لأهل «زاندو» مما هم فيه. في أقصى الجنوب جلس «أندرو» يراقب أهل «المنجالا» ليرى إن كان هؤلاء قادرين على أن يكون سندًا حقيقيًا ونواة لجيش يقوده الأمير «ليدلي» لتحرير «زاندو»، فهو يراهم أناس بسطاء أنقياء القلب لكنهم محاربون شجعان يؤمنون وبشدة بنبوءتهم وهذا ما يميزهم الإيمان بما يقوم به. أما الأمير «فيليب» فقد أوشك على إنهاء رحلته واقترابه من دياره يريد أن يعود سريعًا ليتناقش مع الحكيم «توساني» ومع رجاله عما وصل إليه في مهمته تلك والنجاح الذي وصلوا إليه، بينما كلا من «كيجان» وتيري» عادوا مستاءين لديارهم شعروا بكونهم مكسورين عندما أخبروا رجالهم أنهه سيتركون قطعًا من أرضهم للأمراء «آل بنتلي»، بينما في مدينة الشمس استمرت الاحتفالات بالزفاف الملكي يحاول «أتريموس» كسب ود عروسه وهي تراوغة قدر المستطاع لكنه لمس حب صادق في قلبه لها جعله يصبر عليها كل هذا الوقت بدون زواج حقيقي.

***

أرهقت «ميلسا» من القراءة لتعود لسؤال عمها «شوبار» أن

يخبرها بباقي الحكاية بسرعة أكبر فلم تعد تملك أي طاقة للقراءة في تلك الليلة، ليبتسم عمها وهو يشعل غيليونه قبل أن يجيبها:

-يجب أن تكملي أنتِ القصة يا عزيزتي، فهذا هو تاريخ أجدادك من أسسوا لزاندو التي نراها اليوم، ويجب أن تتعلمي هذا التاريخ جيدًا، لكن ما قام به الأمير «ليدلي» كان نواة أولى لجيشه الخاص وصمود أهل الغرب في ميناء «اللؤلؤة مازال يضرب به المثل حتى الآن؛ فهم البقعة الوحيدة في أرض «زاندو» التي لم تخضع للملاعين لكن لتعلمي ما هو مصيرهم وإن كان صمودهم سيستمر أما لا، إذن عليكِ أن تكملي قراءة ذلك.

-أعتقد أن الغجر في الجنوب كان لهم دور وكذلك الملكة «إلينا» وجيشها.

-غدًا نكمل القصة يا عزيزتي، أما الآن فلتخلدي لنومك لا أريد أي شكوى من المعلم «جواتشي» تجاهك من جديد.

أنهى الحكيم «شوبار» حديثه لتطيعه «ميلسا» وتعيد الكتاب لموضعه قبل أن تطبع قبلة على جبينه شاكرة إياه لتذهب لفراشها وتخلد لنومها وهي محملة بشغفٍ كبير لإكمال قصة الأجداد هؤلاء الرجال الذين صنعوا تاريخ

«زاندو» الجديد.

***

لم تكتمل بعد؛ فلم ينهِ رواة «زاندو» قص تاريخهم حتى الآن

فهذا ما وصلنا من «زاندو» حتى هذه اللحظة.